العشاء الرباني

عوض سمعان

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

المحتويات

مقدمة: هذا الكتاب	
الباب الأول: تأسيس العشاء الرباني والعقائد الخاصة به:	
١- الأسماء التي تطلق على العشاء الرباني	
٢- تاريخ استعمال الخبز والخمر في المراسيم الدينية وغيرها	
٣- الظروف التي أحاطت بتأسيس العشاء الرباني	
٤- حديث المسيح عن العشاء الرباني	
٥- الغرض من العشاء الرباني	
٦- العقائد الخاصة بالعشاء الرباني	
الباب الثاني: العشاء الرباني والإيمان الحقيقي	
١- معنى "التغذي بجسد المسيح ودمه" الوارد في (يوحنا ٦)	
٢- شرح الآيات الخاصة بالموضوع السابق	
٣- الاعتراضات الموجهة ضد هذا الشرح والرد	
٤- أدلة تاريخية وعقلية تؤيد الشرح المذكور	
الباب الثالث: حجج القائلين بالاستحالة والحلول والرد عليها	
١- الحجج الخاصة بالمجاز والرمز والإشارة	
٢- الحجج الخاصة بالتذكار والشركة والأسرار	
٣- الحجج الخاصة بالقربان والخدمة والمذبح	

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٤- الحجج الخاصة بالكهنوت في العهد الجديد	
٥- الحجج الخاصة بوجود آيات في العهد القديم تدل على الاستحالة	
٦- الحجج الخاصة بوجوب الإيمان بالاستحالة أو الحلول، دون بحث أو مناقشة	
٧- الحجج الخاصة بالمقارنات الدينية والضرورة القانونية	
الباب الرابع: تاريخ الاستحالة والحلول	
١- أقوال القديسين القدماء كما يرويها الذين يؤمنون بالاستحالة والذين لا يؤمنون بها	
٢- مقارنة بين الأقوال التي يرويها كل من الفريقين ومناقشتها	
٣- أدلة عن عدم اعتقاد القديسين القدماء بالاستحالة أو الحلول الحرفي.	
٤- التاريخ الحقيقي للاستحالة والحلول	
الخاتمة	
المراجع	

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقدمة: هذا الكتاب

للعشاء الرباني مكانة سامية لدينا نحن المسيحيين، ولذلك كان الكاتب يهتم به منذ حداثته أكثر من أي موضوع ديني آخر. ولما وجد في دور الشباب أن الطوائف المسيحية تختلف بشأنه اختلافاً كبيراً, وأن لكل طائفة حججاً خاصة تعتمد عليها في تأييد عقيدتها, عكف على دراسة ما سجله الكتاب المقدس عنه, وما سجله أيضاً رجال الدين في كل الطوائف, حتى تتجلى له الحقيقة. ثم أصدر منذ ربع قرن تقريباً كتاب "العشاء الرباني" يوضح فيه حقيقة هذا العشاء, ويشرح الآيات الخاصة به. فتعرض بعض رجال الدين لنقده شفوياً وتحريرياً, فقابل نقدهم جميعاً بصدر رحب وعاد إلى كتابه يدرسه بكل تدقيق, فوجد أنه لم يخطئ في شيء, وأن السبب في نقدهم يرجع إلى أن هذا الكتاب كان موجزاً – ولذلك درس من جديد موضوع العشاء الرباني في مراجع أكثر, فأسفرت الدراسة عن إصدار الكتاب الذي يقدمه للقراء الآن.

وكل ما يرجوه الكاتب في هذه المقدمة, أن يضع القراء أمامهم أن الحقيقة هي بنت البحث, وأن من يرفض دراسة الآراء المخالفة لرأيه, أو يدرس هذه الآراء بروح تختلف عن تلك التي يدرس بها الآراء الموافقة له, لا يتيسر له إدراك الحقيقة إطلاقاً. ولذلك قال الرسول: "امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسن" (١ تسالونيكي ٥: ٢١). كما وصف قوماً بأنهم أشرف من غيرهم, لأنهم قبلوا رسالته بكل نشاط, وكانوا يفحصون الكتب المقدسة كل يوم باجتهاد, لكي يروا إن كانت رسالته تتوافق مع هذه الكتب أم لا تتوافق (أعمال الرسل ١٧: ١١- ١٢). إذاً علينا أن نستمع لكل الآراء الدينية, حتى المخالفة منها لرأينا, وأن ندرسها جميعاً في ضوء الوحي الإلهي, لكي نعرف حكمه عليها, وحكمه هو فصل الخطاب بشأنها.

وقد فعل ذلك جميع الأتقياء في كل الطوائف, فمن المأثور عن القديس ديونسيوس الذي عاش في القرن الثاني أنه قال: إن الله أعلن له أن يقرأ كل ما يمكن أن يصل إليه من كتب, لأنه يستطيع أن يمتحن كل شيء ويصححه, وإن هذا هو السبب في إيمانه منذ البداءة (يوسابيوس ص ٣١٦). ومن المأثور عن بعض أتقياء الأرثوذكس القدامى أنهم قالوا "إن انقياد الإنسان وراء الغير, يُفقده شخصيته ويجعله عاجزاً عن التصرف في شيء من تلقاء ذاته. ولما كان الله يتطلب من المؤمنين أن يكونوا أقوياء الشخصية, وجب عليهم ألا يلقوا بقيادتهم إلى إنسان ما, بل أن يسمعوا لكثيرين وأن يقرأوا لكثيرين, حتى تنطلق أرواحهم حرة من كل قيد تبحث عن الحق أينما كان, غير خاضعة أو مقدسة لفريق خاص من الناس" (كتاب انطلاق الروح ص ٢٩- ٣٠), لأن بهذه الوسيلة وبها وحدها, يمكن للنفوس أن تدرك الحق بوضوح وجلاء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ختاماً أسجل شكري لكل الذين أمدوني بالمراجع التي تطلبها هذا البحث،كما أسجل شكري للدكتور طمسون ودكتور بطرس عبد الملك والخوري جرمانوس لطفي لمعاونتهم لي في دراسة ما كان من هذه المراجع باللغات اليونانية والعبرانية والسريانية – جزى الله الجميع خير الجزاء.

المؤلف

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الباب الأول

تأسس العشاء الرباني والعقائد الخاصة به

١

الأسماء التي تطلق على العشاء الرباني

العشاء الرباني، أو بالحري الخبز والخمر اللذان نتناولهما بالشكر تذكاراً لموت المسيح, تنفيذاً لوصيته القائلة "اصنعوا هذا لذكري" (لوقا ٢٢: ١٩), يُسمى في الكتاب المقدس "عشاء الرب" (١ كورنثوس ١١: ٢٠) و"مائدة الرب" (١كورنثوس ١٠: ١٦) و"كسر الخبز" (أعمال ٢: ٧) و"كأس البركة" (١كورنثوس ١٠: ١٦). وكان المسيحيون في القرون الأولى يطلقون عليه "أفخارستيا" "أي الشكر" لأن الصلاة التي كانوا يرفعونها لله أثناء ممارسة العشاء الرباني, كانت شكراً وشكراً فحسب, مقتدين في ذلك بالمسيح نفسه, فقد سجل الوحي عنه أنه عند تأسيس هذا العشاء, ".... شكر.... وشكر" (لوقا ٢٢: ١٩).

أما عند القائلين بالاستحالة, أو بالحري بتحول العشاء الرباني إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته, فيسمى "سر المذبح", و"الأسرار الرهيبة", و"ذبيحة الاستغفار", و"الذبيحة غير الدموية", بل أنها وليدة الاعتقاد بالاستحالة.

٢

تاريخ استعمال الخبز والخمر في المراسم الدينية وغيرها

كان تناول الخبز والخمر معاً من العادات المألوفة لدى اليهود قديماً, فكانوا يمارسونها عند مواساة من مات قريب أو صديق له. وكان الله ينهي قديسيه عن هذه العادة عند انتشار الشر ونـزول قضائه على الأشرار حتى لا يعزوا ذويهم بتعزية ما (حزقيال ٢٤: ١٧, إرميا ١٦: ٦و ٧). كما كانوا يمارسون هذه العادة في كل سبت, فكان رب الأسرة يأخذ رغيفاً وكأساً, وبعد أن يرفع الشكر لله من أجلهما, يقدمهما لأفراد أسرته لكي يأكلوا ويشربوا.

وفي عيد الفصح كان اليهود كعائلات أو أصدقاء يأكلون مع خروف الفصح فطيراً ويشربون خمراً (لوقا ٢٢: ١٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولعل السبب في استعمال الخبز والخمر في هاتين المناسبتين وغيرهما من المناسبات, يرجع إلى أنهما كانا الطعامين الأساسيين اللذين يعتمد عليهما سكان اليهودية والبلاد المجاورة لها قديماً. ويتضح هذا من الآيات التالية:: "وكثرة حنطة وخمر" (تكوين ٢٧: ٢٨) و"... حتى آتي وآخذكم إلى أرضٍ مثل أرضكم, أرض حنطة وخمر, أرض خبز وكروم" (إسعيا ٣٦: ١٧) و"لإخراج خبز من الأرض... وخمر تفرح قلب الإنسان" (مزمور ١٠٤: ٢٥) و"عضدته بحنطة وخمر" (تكوين ٢٧: ٣٧) و"كثرت حنطتهم وخمرهم" (مزمور٤: ٧) و"يجرون إلى جود الرب على الحنطة وعلى الخمر" (إرميا ٣١: ١٢). وإذا كان الأمر كذلك, فلعل الخبز والخمر, أو الخبز والخلّ (راعوث ٢: ١٤) كانا يستعملان لديهم بدلاً من الخبز والماء لدى غيرهم. ولا غرابة في ذلك, فمعظم الناس في الجهات الباردة لا تزال تستعمل النبيذ بدلاً من الماء عند تناول الطعام.. كما أن بعض النباتيين من الانجليز والألمان والدانمركيين لا يتناولون من الطعام سوى الخبز والنبيذ.

ولم تكن الخمر التي تستعمل في عيد الفصح من النوع الذي يُسْكر– لأنه لم يكن مسموحاً بوجود أي نوع من الخمير في هذا العيد (خروج ١٢: ١٣) – إذ أنها (كما يقول المؤرخون) كانت عصير العنب الطازج أو نقيع الزبيب قبل أن يعتريه تخمير. وبهذه المناسبة نقول إن الكلمة المعروفة في اللغة العربية بـ "الخمر", تقابلها في اللغة العبرية عشر كلمات تدل على عشرة أنواع منها, أهمها "ياين" و"تشمار" و"مثيخار". والأول هو عصير العنب الطازج, والثاني هو عصير العنب المركّز, والثالث هو عصير العنب المخمّر. والصنف الأخير هو المسكر, أما الصنفان الأولان فلا يُسكران (Young's Concordance, p.1655). ولعل كلمة "ياين" العبرية, هي بعينها كلمة "وين" العربية, وهي بعينها كلمة "wine" الانجليزية مع تحريف بسيط في اللفظ. والكلمة الانجليزية يطلقها الانجليز على الخمر, والكلمة العربية يطلقها العرب على العنب الأسود (قاموس المحيط ج ٤ ص ٧٦). فضلاً عن ذلك فإن العرب أيضاً يطلقون كلمة واحدة على الخمر وعلى عصير العنب قبل أن يختمر (أو بالحري عن الرشح الذي يصدر عن العنب) وهذه الكلمة هي السلاف (مختار الصحاح صفحة ٣١٠).

وكانت الصلاة التي يرفعها اليهود لله في عيد الفصح قبل أكل الخبز هي "مبارك أنت يا الله ملك العالم, الذي تخرج لنا من الأرض خبزاً", أو "مبارك أنت يا الله لأنك تعطينا خبز الحياة". وكانت الصلاة التي يرفعونها له قبل تناول الخمر هي "مبارك أنت يا الله الذي أعطيتنا ثمر الكرمة", أو "مبارك أنت يا الله من أجل كرمة داود" (The Jewih Passover p.5).

ويرى فريق من الشراح أن المسيح استخدم عند تأسيس العشاء الرباني, عادة استعمال اليهود للخبز والخمر في عيد الفصح بصفة خاصة, وفي كل سبت بصفة عامة,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بعد أن حوّل الخبز والخمر من طعامين عاديين إلى تذكار لموته مصلوباً (أو بالحري لموته بطريقة ينفصل فيها دمه عن جسده). ولهم في ذلك حجتان: (الحجة الأولى) أن الفصح كان رمزاً من الرموز لكفارة المسيح عن البشرية, وأن معظم ما كان يجري في الفصح من أعمال كان رمزاً لهذه الكفارة في نواحيها المتعددة (١ كورنثوس ٥: ٧). (الحجة الثانية) أن المسيحيين في القرون الأولى كانوا يمارسون العشاء الرباني في اليوم الأول من كل أسبوع (أعمال الرسل ٢٠: ٧), لكي يتذكروا موت المسيح ويشكروا الله من أجل كل البركات الروحية الأبدية التي حصلوا عليها بسببه, وذلك بالمقابلة مع اليهود الذين كانوا يتناولون الخبز والخمر كل سبت, لكي يشكروا الله لتفضله عليهم بهما طعاماً وشراباً للحياة الجسدية على الأرض.

ويرى فريق آخر من الشراح أن المسيح استخدم عند تأسيس هذا العشاء, عادة استعمال اليهود للخبز والخمر عند تعزية من مات قريب أو صديق له, وحجتهم في ذلك أن المسيح عمل العشاء الرباني قبل موته على الصليب.

لكن الرأي الأول (كما أرى) أقرب إلى الصواب, إذ فضلاً عن أن الحجتين اللتين وردتا مع هذا الرأي لهما وجاهتهما, فإن فرصة ممارسة العشاء الرباني ليست فرصة عويل واكتئاب بل هي فرصة تسبيح وابتهاج (متى ٢٦: ٢٦ – ٢٩). فضلاً عن ذلك فإن المسيح لم يطلب منا أن نبكي عليه مثل الوثنيين الذين كانوا يبكون على تاموز وعشتاروت (كما يقول بعض النقاد), بل طلب منا أن نبكي على أنفسنا وعلى خطايانا كما قال لبنات أورشليم من قبل (لوقا ٢٣: ٢٨).

والحق أن ذكرى موت المسيح تختلف عن ذكرى موت الناس جميعاً, لأنه موته كان موتاً اختيارياً لتحقيق مقاصد الله من جهة خلاص البشرية والإنعام عليها بالحياة الأبدية (غلا ١: ٢, عبرانيين ١٠: ٧, ٢٨, يوحنا ٣: ١٦), ولأنه بعدما مات لأجل هذه الغاية الكريمة, قام منتصراً على الموت انتصاراً باهراً أثبت به أنه ابن الله كما قال (رومية ١: ٤). فضلاً عن ذلك, فإن الموت لا يمكن أن يسود عليه فيما بعد (رومية ٦: ٩), كما ساد على الذين قاموا مرة منه بواسطة معجزة من المعجزات (٢ ملوك ٤: ٣٥, يوحنا ١١: ٤٤, لوقا ٧: ١٥, ٨: ٥٥), الأمر الذي يدل على أننا بممارسة العشاء الرباني لا نتذكر مسيحاً ميتاً أو مسيحاً معرضاً للموت, بل مسيحاً مات مرة لأجل مجد الله وخيرنا, ولكنه الآن حي وسيبقى حياً إلى أبد الآباد.

أما الدعوى بأن استعمال العشاء الرباني عند المسيحيين مقتبس من عبادة مثرا الوثنية (كما يقول بعض النقاد), فهي دعوى باطلة من أساسها, لأن عبادة مثرا كانت تتطلب من المشتركين فيها أن يتناولوا معاً خبزاً وماء (وليس خبزاً وخمراً), وذلك للدلالة

 All rights reserved © 2008-2018

على تآلفهم وارتباطهم معاً. فضلاً عن ذلك فإن أتباع المسيح كانوا بعيدين عن هؤلاء الوثنيين بعداً شاسعاً, لا يسمح بانتقال عقيدة مثرا إليهم بطريق مباشر أو غير مباشر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣

الظروف التي أحاطت بتأسيس العشاء الرباني

إذا تأملنا سيرة المسيح له المجد, وجدنا أنه كان يضع الصليب نصب عينيه في كل حين, ولذلك كان يتحدث عنه من وقت إلى آخر لكي يوجه أنظار الناس إليه وإلى قيمته الثمينة (اقرأ مثلاً: يوحنا ٣: ١٦, متى ٢٠: ٢٨). وكان كل يوم يمر به يقرّب إليه آلام الصليب, ومن الناحية الأخرى يقرب إليه اليوم السعيد الذي كان عتيداً أن يقدّم فيه للبشرية الخاطئة بركات الفداء الثمينة. لكن في نبل يسمو فوق كل نبل, لم يحصر نظره في الصليب وما كان سيلاقيه عليه من آلام, بل تطلع إلى البركات التي كان عتيداً أن يقدمها للبشرية من ورائه, ولذلك تقم إلى الصليب بخطوات راسخة ثابتة (لوقا ٥٩: ٥١ و إشعياء ٥٠: ٥-٦).

وإن كانت ساعة الصلب ساعة مرعبة مخيفة, إن واجهها إنسان نسي ما عداها وانحصرت أفكاره فيها وحدها, لكن المسيح عندما اجتاز فيها لم ينس شيئاً من الأشياء. ولذلك نراه يأمر تلاميذه في ذلك الوقت, فيما يأمرهم به من أعمال, أن يُعدّوا الفصح. مع أن شخصاً في مكانه لم يكن ليفكر في الفصح إطلاقاً, إذ أنه كان عيداً من الأعياد التي تمارس بالفرح والابتهاج, الأمر الذي لا يتناسب مع حالة نفس بينها وبين الصليب ساعات معدودات. غير أن المسيح غضّ النظر عن هذه الحالة واتكأ مع تلاميذه حول الفصح – والفصح كما ذكرنا كان رمزاً من الرموز البارزة التي تشير إلى موته كفارة عن البشرية الخاطئة (١ كورنثوس ٥: ٧).

ولذلك لا شك أنه ارتسم أمام السيد في هذه الفرصة خروف الفصح, الذي سفك دمه مرة في أرض مصر رمزاً لفداء الشعب القديم وخلاصه (خروج ١٢: ٧- ١٤), كما ارتسمت أمامه النيران التي اجتازها هذا الخروف حتى انشوى وأصبح مهيأ للأكل. فتجلى لديه وقتئذٍ بصورة واضحة ظاهرة أن الساعة قد أتت لكي يحقق هذا الرمز, فيقدم نفسه كفارة, لكن ليس بصفة رمزية عن نفر من الناس كما كانت الحال مع خروف الفصح, بل بصفة حقيقية فعلية عن جميع الناس دون استثناء. ويجوز بسبب هذه الكفارة, ليس فقط في آلام جسدية, كالتي يجوز فيها الشهداء, بل وفي آلام نفسية أشد هولاً من هذه الآلام بما لا يقاس, ذلك لأنه رضى أن يكون فادياً لهم إلا إذا تحمل الآلام التي يستحقونها عوضاً عنهم. والآلام التي يستحقونها لا تعادلها في هولها آلام في الوجود, إذ أنها جهنم بعينها[١]. ولا شك

[١]- فآلام الكفارة لم تكن الآلام التي احتملها المسيح من اليهود عندما صلبوه, كما يظن البعض (لأن هذه الآلام لم تكن سوى آلام الاستشهاد التي كان الشهداء يحتملونها من أجل الحق. ولو كانت آلام المسيح مثلها لكان يفرح بها كما كانوا يفرحون), بل أن آلام الكفارة كانت هي العذاب الذي يستحقه البشر إلى الأبد بسبب خطاياهم, وقد تلقى المسيح هذا العذاب الذي في نفسه – بوصفه ابن الإنسان – نيابة عنهم جميعاً عندما كان معلقاً على الصليب. وهذه الآلام هي التي جعلته يصرخ لله قائلاً "إلهي إلهي لماذا تركتني" (متى ٢٧: ٤٦). وترْكُ الله للمسيح وقتئذٍ, أو بالحري عدمُ تقديم أية معونة له تخفف من آلامه المذكورة, دليلٌ على أن المسيح احتمل عذاب الخطيئة إلى النهاية, ومن ثم كانت فديته فدية قانونية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أيضاً أن المسيح وهو على هذه الحال كان ينتقل ببصره من تلميذ إلى تلميذ, وعواطفه تتجه نحوهم واحداً واحداً بالحب والحنان, إذ كانوا خاصته الذين أحبهم إلى المنتهى (يوحنا ١٣: ١) وكان عتيداً أن يبذل نفسه فدية عنهم وعن غيرهم من البشر, حتى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣: ١٦). وإذ فاضت هذه العواطف الكريمة في نفسه, انطلقت إلى لسانه في حديث عذب رقيق, فقال لتلاميذه: "شهوةً اشتهيتُ أن آكل هذا الفصح معكم" (لوقا ٢٢: ١٥). فلم يكن اشتهاؤه أن يأكل الفصح (لأن الفصح جعل للخطاة أما هو فبار. والبار لا يشتاق إلى كفارة وبالتالي لا يشتاق إلى ذكرى لها), إنما كان اشتهاؤه أن يأكل الفصح مع تلاميذه. فقد كان مزمِعاً أن يفارقهم بالجسد بعد ساعات قليلة, ولم تكنْ هذه الفرصة إلاّ فرصة الوداع التي أراد أن يجلس معهم فيها ولو قليلاً لكي يكشف لهم عن أعماق محبته لهم, ويبلغهم ما هم في حاجة إليه من نصح وإرشاد.

ثم تنازل كعادته ليشارك تلاميذه في شعورهم من جهة العيد فأكل, ولعله لم يأكل في هذه الليلة إلاّ قليلاً, فقد كان طعامه الرئيسي أن يتمم مشيئة الذي أرسله (يوحنا ٤: ٣٤), وهوذا الوقت قد حان لإتمامها, لذلك لا شك أنه عندما كان تلاميذه يتغذون بخروف الفصح كانت أفكار المسيح ترسم أمامه جميع التلاميذ الذين سيقبلون إليه من جميع الشعوب إلى نهاية الدهر, وهم مجتمعون من حوله يتغذون بقلوبهم من شخصه, فانتعشت نفسه أمام أهوال الصليب التي كانت تجول في خاطره انتعاشاً عظيماً، لأن رغبته في أن يرى البشرية وقد أُعتقت من الخطية ونتائجها وتمتعت بالحياة الروحية معه إلى الأبد, ولو على أساس موته هو كانت كافية لأن تبعث إلى نفسه بكل سرور وابتهاج. وقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة فقال عن المسيح "من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي" (عبرانيين ١٢: ٢).

إن خروف الفصح الذي كان التلاميذ يأكلونه, لم يكن في نظرهم حتى هذه الساعة, إلاّ تذكاراً للإحسان الذي عمله الله للشعب القديم, عندما خلّصهم من سيف الهلاك وأعتقهم من عبودية فرعون (خروج ١٢: ١٣- ١٧). لكن وإن كان هذا الخلاص له عظمته, غير أنه لا يُقاس بالخلاص الذي كان المسيح عتيداً أن يعمله للبشرية بأسرها, لينقذها من الخطية ونتائجها. وإن كان العتق من عبودية فرعون له قيمته, غير أنه لا يقاس بالعتق الذي كان المسيح عتيداً أن يعمله لهذه البشرية, ليحررها من عبودية الشيطان وقسوته. ولذلك بينما كان التلاميذ يأكلون الفصح قدّم لهم المسيح ذكرى أفضل من ذكرى هذا الفصح بدرجة لا حدَّ لها, ذكرى أخرى تذكّرهم بخلاصهم من الخطية ونتائجها, وبصيرورتهم أبراراً أمام الله وأهلاً للوجود معه إلى الآباد (رومية ٥: ١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٤

حديث المسيح عن العشاء الرباني

١- قال الوحي "أخذ (يسوع) خبزاً وشكر وكسر" (لوقا ٢٢: ١٩), وبالتأمل في هذه العبارة نلاحظ ما يأتي:

(أ) "أخذ خبزاً"- إن الخبز مثال للمسيح من ناحيتين رئيسيتين. فالخبز قوام الحياة الجسدية, والمسيح قوام الحياة الروحية. والخبز اجتاز في النار حتى أصبح طعامنا الجسدي, والمسيح احتمل نار دينونة الخطية عوضاً عنا, لكي يكون طعامنا الروحي الذي يهبنا حياة إلى الأبد, ولذلك قال المسيح مرة عن نفسه "أنا هو خبز الحياة" (يوحنا ٦: ٣٥).

(ب) "وشكر" – إن الشكر كما نعلم، لا يصدر إلاّ من نفس راضية فرحة, ولذلك فالمسيح وإن كان قد خيّم عليه ظل الصليب وقتئذٍ, غير أنه كان راضياً وفرحاً أيضاً. وطبعاً ليس هناك من سبب لذلك سوى أنه (أي المسيح) كان عتيداً أن يحمل عن البشرية آثامها ونتائج آثامها. وبذلك يكون له المجد قد تحول بقلبه وفكره عما كان ينتظره على الصليب من أهوال وآلام, وارتقى إلى الله ومشيئته الصالحة من جهة خلاص البشرية, واستطاع حتى بوصفه ابن الإنسان, أن يتوافق مع الله في مشيئته المذكورة إلى التمام[٢]. ومن ثم استطاع أن يشكر ويشكر في هذا الوقت العصيب.

(ج) "وكسر" – إن الخبز الذي كان يستعمل عند اليهود في عصر المسيح, كان خبزاً رقيقاً مجففاً مثل الرقاق عندنا, ولذلك كانوا لا يقطعونه بل يكسرونه. والخبز كما عرفنا فيما سلف, هو رمز للمسيح. وكما أن هذا الخبز إن لم يكسر, لا يكون مهيئاً للأكل, كذلك لو كان المسيح لم يكسر أو بالحري لم يمت, لما كان لنا أن نتغذى به كطعامنا الروحي إلى الأبد. ولا شك أن المسيح كان يكسر الخبز وقتئذٍ بكل تؤدة وتأنٍ, وفي قلبه شعور عميق بمعنى هذا الكسر. كما أنه بكسره للخبز بيده وحده, إشارة إلى أنه هو الذي يقدم نفسه للموت بمحض إرادته. وقد سبق المسيح ونادى بهذه الحقيقة من قبل فقال عن نفسه "ليس أحد يأخذها مني, بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً" (يوحنا ١٠: ١٨).

---

[٢] - نعم إن المسيح بوصفه "ابن الله", متوافق مع الآب كل التوافق منذ الأزل الذي لا بدء له إلى الأبد الذي لا نهاية له, وذلك لوحدة جوهرهما, وهو اللاهوت. وبوصفه "ابن الإنسان" استطاع أن يكون أيضاً متوافقاً مع الآب كل التوافق, وذلك بواسطة الطاعة المطلقة له (فيلبي ٢: ٨). ولذلك نرى أنه وإن كان قد قال مرة للآب "يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس (أي آلام الصليب)" (لوقا ٢٢: ٣٧) وذلك بسبب قداسته المطلقة ونفوره من أن يعتبر كأثيم, غير أنه قال له بعد هذه العبارة مباشرة "ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك", ومن ثم رضي بالصليب, ولم ينزل عنه إلا بعد أن قال هذه الكلمة الخالدة "قد أكمل" (يوحنا ١٩: ٣٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢- "وأعطاهم قائلاً: هذا هو جسدي, الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري" (لوقا ٢٢: ١٩), وبالتأمل في هذه العبارة نلاحظ ما يأتي:

(أ) "هذا هو جسدي" – إن تقديم الخبز إلى التلاميذ لكي يأكلوه بعد قول المسيح عنه إنه جسده, إشارة إلى منحهم ليس فقط امتياز التغذّي القلبي بشخصه, بل أيضاً امتياز الاشتراك الروحي في جسده, أو بالحري امتياز صيرورتهم أعضاء في هذا الجسد بصفة روحية. فقد قال الرسول عن الخبز الذي نكسره إنه "شركة جسد المسيح" (١ كورنثوس ١٠: ١٦), وعن المؤمنين إنهم صاروا "أعضاء جسد المسيح من لحمه وعظامه" (أفسس ٥: ٣٠). ولا شك أن المسيح نطق بهذا القول وقتئذٍ مشبعاً بعواطف قلبه الحارة, فأكسبه تأثيراً عميقاً في نفوس تلاميذه. ولا شك أيضاً أن تلاميذه عندما كانوا يأكلون الخبز بأفواههم, كانوا يفكرون في قول السيد المسيح "خذوا كلوا هذا هو جسدي" (متى ٢٦: ٢٦), ويتأملون فيما يحمله هذا القول من معانٍ جديدة, ترقى بالنفس إلى آفاق روحية سامية كل السمو.

(ب) "الذي يبذل عنكم" – إن هذه العبارة تدل بوضوح على أن موت المسيح على الصليب, لم يكن استشهاداً فحسب (كما يقول بعض الفلاسفة) بل كان أيضاً كفارة عن البشرية الخاطئة. ولذلك قال بطرس الرسول "فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا, البار من أجل الأثمة, لكي يقربنا إلى الله" (١ بطرس ٣: ١٨).

(ج) "اصنعوا هذا لذكري" – نلمس في هذه الوصية عواطف المسيح الكريمة, التي تعلقت بتلاميذه وبنا نحن المؤمنين, فهو يريد في محبته الفائقة أن نذكره نحن البشر المساكين. قد نقول في اعتدادنا بأنفسنا إننا لا ننساه أبداً, لكن أليس التلميذ الذي قال له مرة "إني مستعد أن أمضي معك إلى السجن وإلى الموت", هو أول من نسيه وأنكره؟! فالمسيح يعلم تمام العلم أننا ننسى, وننسى بكل أسف الأمور الروحية الهامة قبل الأمور الدنيوية التافهة, ولذلك أعطانا هذا التذكار. أما هو فليس في حاجة إلى تذكار منا يتذكرنا به، فأسماؤنا منقوشة على كفه وعلى قلبه, ونحن في كل حين أمام عينيه (أشعياء ٤٩: ٦, خروج ٣٩: ٤- ٢٤), بل ونحن بمثابة أعضاء جسمه كما ذكرنا فيما سلف.

٣- "ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم, فشربوا منها كلهم. وقال لهم "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين" (مرقس ١٤: ٢٣- ٢٤), وبالتأمل في هذه العبارة نلاحظ ما يأتي:

(أ) إن الخمر التي كانت في الكأس, هي أقرب مثال للدم من ناحيتين رئيسيتين, فكلاهما أحمر اللون, وكلاهما حياة الجسم الذي يجري فيه. فالخمر هي حياة الكرمة, والدم هو حياة الجسد. فضلاً عن ذلك فإن المسيح شبه نفسه بالكرمة (يوحنا ١٥: ١), وعصارة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكرمة أو العنب دعيت بالوحي "دم العنب" (تكوين ٤٩: ١١، تثنية ٣٢: ١٤). وهذه الخمر لم تكن طبعاً مسكراً, لأنه لم يكن يسمح بوجود أي نوع من الخمير في أسبوع الفصح كما ذكرنا في الفصل الثاني.

(ب) "وشكر" – نرى هنا دليلاً آخر على التوافق الذي كان بين المسيح في تجسده, وبين الله أبيه, حتى في الساعات التي كانت تفيض فيها نفس المسيح بالأحزان والأهوال... كان قد شكر عندما أخذ الخبز, وبعد أن فرغ تلاميذه من الأكل وجاء دور الكأس, نراه يشكر أيضاً. فالفترة التي انقضت في الأكل, مع ما كان يجول في نفسه أثناءها من خواطر أليمة عن الصليب, لم تكن لتقلل من سروره بتقديم ذاته للموت, عوضاً عن البشر.

(ج) "وأعطاهم, فشربوا منها كلهم" – لا شك أن المسيح عندما أخذ الكأس ورأى دم الكرمة فيها, ارتسم أمامه دمه الكريم الذي كان عتيداً أن يجود به بعد قليل, وما كان هذا أيضاً ليؤثر في شعوره, أو يقلل من عزمه على تقديم ذاته للموت فدية وكفارة, بل ظل كما كان في كامل ثباته وهدوئه, ولذلك استطاع أن يقول لتلاميذه بملء فيه "اشربوا منها (أي من الكأس)كلكم, لأن هذا هو دمي" (متى ٢٦: ٣٨)- وشربهم من الخمر بعد قول المسيح إنها دمه، إشارة واضحة إلى اشتراكهم في حياته, لأن الحياة هي في الدم (لاويين ١٧: ١١), أو على الأقل لأن وجود الدم في الجسم دليل على وجود هذه الحياة فيه, وأيضاً في الفوائد الجليلة التي نتجت من سفك دمه هذا. وهذه الفوائد هي الغفران والتبرير, والسلام والتطهير, وغير ذلك من البركات (أفسس ٢: ٢٨, رومية ٣: ٢٤- ٢٨, يوحنا ٥: ٢٤, أعمال ١٥: ٩).

(د) "الذي للعهد الجديد"- إن المسيح بموته على الصليب, وضع لنا أساس العهد الجديد, فدخلنا بذلك في علاقة جديدة مع الله لم يكن لنا بها عهد من قبل على الإطلاق. ولذلك قال الرسول "الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً" (٢ كورنثوس ٥: ١٧- ١٩). كما أشار إلى معاملة الله معنا في العهد الجديد, فقال على لسانه تعالى "هذا هو العهد الجديد: أجعل نواميسي في أذهانهم, وأكتبها على قلوبهم, وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. لأني أكون صفوحاً عن آثامهم, ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد" (عبرانيين ٨: ٨-١٢). وطبعاً يرجع السبب في ذلك إلى أن كفارة المسيح على الصليب, قد حققت كل مطالب عدالة الله وقداسته إلى الأبد, من جهة كل من يؤمن إيماناً حقيقياً في كل العصور والأجيال (عبرانيين ٩: ١٢).

(هـ) "الذي يسفك من أجل كثيرين" – إن الدم الكريم لم يسفك من أجل التلاميذ وحدهم, بل من أجل كثيرين. وما التلاميذ الذين وجّه المسيح إليهم هذا الخطاب, إلا باكورة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هؤلاء الكثيرين أو الممثلون لهم. فقد قال الوحي "هكذا أحب الله العالم (بأسره) حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به, بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦).

٤- وأقول لكم من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا, إلى ذلك اليوم حين أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي" (متى ٢٦: ٢٩). وبالتأمل في هذه العبارة نلاحظ ما يأتي:

(أ) إن كلمة "أشرب" الثانية, مستعملة هنا بالمعنى المجازي, لأن ملكوت الآب ليس فيه أكل أو شرب (رومية ١٤: ١٧), ولذلك فنتاج الكرمة الذي سيشربه المسيح مع تلاميذه هناك, لا يراد به إلاّ الفرح والابتهاج, لأن الخمر تستعمل مجازاً لهما (الجامعة ١٠: ١٩). وعدم تمتع المسيح بالفرح والابتهاج إلا عندما يرى تلاميذه (أو بالحري جميع المؤمنين) معه في هذا الملكوت, دليل على محبته الحارة لهم وتعلقه الشديد بهم. ولا غرابة في ذلك, ففي نعمته الغنية شاء أن يكونوا بمثابة أخوة وهو البكر بينهم, وبمثابة العروس وهو العريس معهم, وبمثابة الجسد وهو الرأس لهم (رومية ٨: ٢٩, ١ كورنثوس ١١: ٢, أفسس ١: ٢٣), أي أنه وإياهم أصبحوا وحدة واحدة لا تفكك فيها أو انفصال على الاطلاق.

(ب) وتحدث المسيح بهذه العبارة بعد انتهائه من تقديم العشاء الرباني لتلاميذه، واستعداده للانطلاق عنهم بالجسد, هو في الواقع بمثابة الوداع الحار لهم, وكأنه يقول لهم "إلى اللقاء في أفراح ملكوت الآب", فقد كان واثقاً كل الثقة في كفاية كفارته، وافتتاح الملكوت على أساسها. كما كان واثقاً كل الثقة بأن تلاميذه سيكونون حيث هو, وأنهم سيفرحون معه إلى الأبد, دون أن يكون هناك ما ينـزع فرحهم أو يعطله (يوحنا ١٤: ٢).

٥- "ثم سبّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون" (متى ٢٦: ٢٦- ٢٩). كان المسيح قد شكر مرتين كما مر بنا, وهوذا الآن يسبح[٣] هو وتلاميذه معاً، والتسبيح علامة السرور والسرور العظيم. وإنه لأمر يستحق كل انتباه واعتبار أن يكون المسيح مسروراً وقتئذٍ بمثل هذا السرور, مع علمه أن تلاميذه وهم أقرب الناس إليه, سوف يضنون عليه بسويعات قليلة يقضونها معه, وأنهم سوف يهربون كل واحد إلى مخبئه تاركين إياه وحده, وأن بطرس الشهم الشجاع سوف ينكره أمام جارية لا حول لها ولا طول, وأن يهوذا أمين صندوقه سوف يسلمه للموت مقابل دريهمات معدودات, وأن اليهود الذين أحبهم وأتى لأجلهم, سوف يصلبونه بين مظاهر الهزء والسخرية, وأنه سوف يتقبل في نفسه وحده, كل دينونة الخطية عوضاً عنهم وعن غيرهم من الناس (متى ٢٦: ٣١, يوحنا ١٣: ٢٦).

[٣] - يقول المؤرخون إن اليهود كانوا أثناء الفصح يرنمون مزمور ١١٨ أو المزامير من ١١٣ إلى ١١٨, غير أن المسلم به لدى معظم الشراح, أن المسيح لم يرنم أثناء هذا الفصح مزموراً من المزامير المذكورة, بل أنشأ وقتئذٍ تسبيحاً خاصاً, شأنه في ذلك, شأنه في الصلوات التي كان يرفعها (بوصفه ابن الإنسان) إلى الله أبيه – ويبدو أن الوحي لم يسجل لنا عبارات الشكر أو التسبيح التي فاه بها المسيح عند تأسيس العشاء الرباني, لئلا يستعملها أتباعه كما هي عند ممارسة هذا العشاء, فيصبح شكرهم وتسبيحهم عملاً آلياً بعيداً عن قيادة الروح القدس وتأثيره في القلوب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حقاً إن سرور المسيح في ذلك الوقت العصيب لدليل على أنه يحبنا نحن الخطأة بمحبة لا حد لها, وأنه يحبنا بهذه المحبة, ليس لأننا نحبه أو لأننا نستحق محبته, بل لأنه هو المحبة بعينها (١ يوحنا ٤: ٨)، إذ أن من شأن المحبة ألا تشع سوى المحبة, مهما كانت حالة الناس الذين تتجه إليهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٥

الغرض من العشاء الرباني

مرَّ بنا في الفصل السابق أن المسيح قال لتلاميذه عن العشاء الرباني "اصنعوا هذا لذكري" (لوقا ٢٢: ١١). والحق أن هذا غرض واحد من بين أربعة أغراض سجلها الوحي لهذا العشاء. وللفائدة نتحدث عن كل منها فيما يلي:

١- تذكر المسيح: فعندما ننظر إلى المائدة, وتقع أعيننا على الخبز الذي لم نحصل عليها إلا بعد أن انسحق قمحه واجتاز في النار حتى استوى, وعلى الخمر التي لم نحصل عليها إلا بعد أن اجتاز عنبها في المعصرة حتى انعصر, نتذكر (أو يجب أن نتذكر) أن سيدنا في سبيل فدائنا, قد جرح لأجل معاصينا, وسحق لأجل آثامنا (إشعياء ٥٣: ٥- ٧). وأنه انسكب كالماء, فانفصلت كل عظامه, كما ذاب قلبه كالشمع في وسط أمعائه (مزمور ٢٢: ١٤), فتتجسم بذلك أمامنا محبته الحارة لنا, وعطفه العظيم علينا, وتضحيته الغالية لأجلنا. ومن ناحية أخرى, تزداد محبتنا له, ورغبتنا في خدمته وإكرامه, كما تزداد كراهيتنا للخطية في كل صورة من صورها.

٢- إعلان موت المسيح: فقد قال الرسول للمؤمنين "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز, وشربتم هذه الكأس, تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء" (١ كورنثوس ١١: ٢٦). وعشاء الرب كما نعلم, هو أوضح إعلان عن أن المسيح مات على الصليب من أجلنا, إذ أن وجود الخبز والخمر منفصلاً أحدهما عن الآخر, إشارة واضحة إلى انفصال دم المسيح عن جسده, أو بالحري إلى موته مصلوباً. ولذلك إن اختفت كل الأدلة الدينية والتاريخية التي تثبت أن المسيح مات على الصليب كفارة عن خطايانا, فإن هذا العشاء وحده يبقى شهادة ناطقة عن هذه الحقيقة الثمينة إلى منتهى الأزمنة والعصور.

٣- انتظار مجيء المسيح: إن قول الرسول "إننا كلما أكلنا الخبز وشربنا الكأس, نخبر بموت الرب إلى أن يجيء", الذي ذكرناه في الفقرة السابقة, دليل على أن ممارسة العشاء الرباني لا تدعونا فقط إلى تذكر موت المسيح, بل أيضاً إلى الشخوص بأبصارنا إلى الساعة التي سيجيء فيها إلينا. فهو له المجد لا يريد أن يضع أمامنا موته فحسب, بل ودعوته أيضاً إلينا لكي يأخذنا إليه, ويمتعنا بكل ما هو مذخّر لنا في شخصه المبارك من حب وحنان وغبطة وهناء (يوحنا ١٤: ٣).

وفي وصية الرب للشعب القديم, عن الكيفية التي كان يجب أن تمارس بها فريضة الفصح, ما يشير أيضاً إلى وجوب وجودنا في حالة انتظار لمجيء المسيح, وبصفة خاصة عند ممارسة العشاء الرباني. فإنه كان قد أوصاهم أن يأكلوا خروف الفصح, وأحقاؤهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ممنطقة وأحذيتهم في أرجلهم وعصيهم في أيديهم (خروج ١٢: ١٠), الأمر الذي يدل على وجوب وجودهم على أهبة الاستعداد للانطلاق إلى المكان الذي دعاهم إليه وقتئذٍ. وعلى هذا القياس, فإننا عندما نمارس عشاء الرب نشعر (أو يجب أن نشعر) أن الأرض ليست وطننا الدائم, بل إنها مجرد طريق نعبر فيه إلى السماء. وهذا الشعور من شأنه أن يحول أبصارنا عن أهواء العالم, ويجعلنا على استعداد لملاقاة المسيح بقداسة وطهارة, عندما يدعونا إليه أو يجيء هو إلينا.

٤- الاعتراف بوحدة المؤمنين الحقيقيين: فقد قال الرسول "نحن الكثيرين خبز واحد, جسد واحد. لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد" (١ كورنثوس ١٠: ١٧). ومن هذه الآية يتضح لنا أن الخبز الواحد أو بالحري الرغيف الواحد (كما يتضح من الأصل اليوناني) هو إشارة إلى جسد المسيح, وهو أيضاً إشارة إلى وحدة المؤمنين, وذلك بوصفهم مرتبطين بعضهم ببعض كأعضاء في جسد واحد، وبالمسيح وحده كالرأس والرئيس لهم جميعاً (أفسس ٤: ٢- ٣, كولوسي ١: ١٨). إذاً فعند ممارسة عشاء الرب يغيب عن أذهاننا (أو يجب أن يغيب عنها) كل تفاوت بين بعضنا والبعض الآخر. فلا نعتبر واحداً عظيماً وآخر حقيراً, أو واحداً غنياً وآخر فقيراً. كما يجب أن تزول كل الخصومات على اختلاف أسبابها وأنواعها, ونكون كما نحن أمام الله, جسد المسيح الواحد المنسجمة أعضاؤه بعضها مع البعض الآخر كل الانسجام, تسودنا جميعاً روح الوداعة والتواضع, وتشملنا جميعاً روح المحبة والإخاء, لأننا جميعاً عبيد الله وأسرى نعمته, ولا فضل لأحدنا على الآخر أمام صليبه أو ذكرى صليبه.

كما يجب أن نغض الطرف عن أنفسنا ككنائس أو طوائف, وأن ننظر إلى المؤمنين الحقيقيين في كل العالم كجسد واحد رأسه المسيح, لأننا جميعاً بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد (١ كورنثوس ١٢: ١٣), وإلا فإن العشاء الذي نمارسه لا يكون بعد عشاء الرب بل عشاءنا نحن, وبئس النتيجة. لأننا نكون أرثوذكس وكاثوليك وإنجيليين, ولكن لا نكون مسيحيين لهم فكر المسيح, إذ أن المسيح كما نعلم, يريد أن نكون واحداً, فقد قال "ليكون الجميع واحداً" (يوحنا ١٧: ٢١)[٤].

[٤]- وقد عرف هذه الحقيقة كل المعرفة القديسون الذين عاشوا في القرون الأولى, ولذلك قالوا في قانون الإيمان "نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية" – ورسولية أي مبنية على أساس الرسل أو بالحري على وحي الله الذي أتوا به (أفسس ٢: ٢٠). وبالرجوع إلى الكتاب المقدس يتضح لنا أن هذه الكنيسة ليست ما يسمى لدينا الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية أو الإنجيلية, بل إنها المؤمنون الحقيقيون في كل العالم. فقد قال الوحي عن الكنيسة إنها "جسد المسيح" (أفسس ١: ٢٣) وعن جسد المسيح أنه "المؤمنون الحقيقيون" (أفسس ٥: ٢٠). وهؤلاء المؤمنون قد يختلف بعضهم عن البعض الآخر في بعض العقائد الثانوية (أي التي لا تتعلق بلاهوت المسيح وتجسده وكفاية كفارته) لاختلاف مداركهم أو دراساتهم, ولكن مع ذلك فإنهم واحد, لأنهم مقترنون بالمسيح الواحد – هذه هي الكنيسة التي أعلن الوحي أن المسيح بناها على نفسه بوصفه صخر الدهور (أشعيا ٢٦: ٤, ١كورنثوس ١٠: ٤, أفسس ٢: ٢٠), وأن أبواب الجحيم لن تقوى عليها (متى ١٦: ١٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٦

العقائد الخاصة بالعشاء الرباني

رأينا فيما سلف أن العشاء الرباني عظيم في بساطته وبسيط في عظمته, لكن مما يؤسف له كثيراً أننا اختلفنا من جهته اختلافاً كبيراً كما ذكرنا في المقدمة. ويرجع السبب في ذلك إلى أن فريقاً منا أخذ حديث المسيح (الذي ذكرناه في الفصل الرابع) عن هذا العشاء بالمعنى الحرفي أو المادي, وأخذه الفريق الآخر بالمعنى المجازي أو الروحي, وفيما يلي أهم الآراء بشأنه:

١- الرأي الكاثوليكي والأرثوذكسي[٥]:

يقول الأرثوذكس والكاثوليك إن الخبز والخمر يتحولان بطريقة سرية إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته, وذلك مع بقاء الخبز والخمر كما هما في الشكل واللون والطعم والرائحة. فالتحول الذي يحدث في العشاء الرباني حسب اعتقادهم، هو تحول فعلي لا معنوي, وكل ما في الأمر أنه غير مدرك بالحواس البشرية. كما يقولون إن لهذا العشاء فاعلية ذاتية (أي أن فاعليته مستمدة من ذاته وليست متوقفة على إيمان الذين يقبلونه, فيكون مثل العشاء الرباني لديهم مثل النار التي تشتعل من ذاتها لأن فيها خاصية الاشتعال). وهذه الفاعلية هي منح الذين يتناولون منه الغفران والحياة الأبدية, وإعطاؤهم امتياز التمتع بحلول المسيح في نفوسهم, ومساعدتهم على عمل وصاياه في العالم الحاضر أيضاً.

ويرجع السبب في اعتقادهم هذا إلى فهم حديث المسيح عن العشاء الرباني (الذي ذكرناه فيما سلف) بالمعنى الحرفي, وإلى اعتبار حديثه الوارد في (يوحنا ٦) عن التغذي بجسده ودمه للحصول على الحياة الأبدية, خاصاً أيضاً بالتناول من هذا العشاء (وليس بالإيمان بشخصه), وفهمه تبعاً لذلك بالمعنى الحرفي مثل الحديث الأول[٦].

غير أن الكاثوليك يختلفون عن الأرثوذكس من جهة شروط فاعلية العشاء الرباني. فيقولون إن الله لا يتطلب من المتناولين من هذا العشاء أن يكونوا أنقياء أو أطهاراً, كما يقولون إن فاعليته لا تتوقف على عمل الروح القدس في نفوس هؤلاء. أما الأرثوذكس فيقولون إن فاعلية العشاء الرباني وإن كان لا تتوقف على سلوك الذين يتناولون منه, غير أنه من الواجب عليهم ألا يقاوموا تأثيره في نفوسهم, كما يقولون إنه إذا تناول إنسان من

---

[٥] كلمة "أرثوذكس" معناها "استقامة الرأي", وكلمة "كاثوليك" معناها "جامعة", والمفروض في "استقامة الرأي", هو التمسك بكلمة الله وحدها, وليس بكلمة الله وأقوال القديسين القدماء, لأن هؤلاء القديسين, وإن كانوا على جانب عظيم من التقوى, إلا أنهم لم يخرجوا عن كونهم بشراً معرضين للخطأ نظيرنا. والمفروض في "الكنيسة الجامعة" أنها تجمع كل المؤمنين الحقيقيين في كل البلاد إلى المسيح وحده كالرأس والرئيس, وليس إلى رسول من الرسل أو بطريرك من البطاركة.

[٦] عن المراجع الآتية: (أ) الإفخارستيا (ب) سر العشاء الرباني (ج) أسرار الكنيسة السبعة (د) اللآلئ النفيسة (للأرثوذكس) و (أ) مختصر المقالات اللاهوتية (ب) إيضاح التعليم المسيحي (ج) اللاهوت الأدبي (د) اللاهوت النظري (للكاثوليك).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العشاء الرباني بدون استحقاق لا يفيد منه, وليس هذا فحسب بل ويعرّض نفسه لدينونة الله أيضاً. ولعل الكاثوليك ذهبوا إلى ما ذهبوا إليه, بسبب اعتقادهم أن تحول العشاء الرباني إلى المسيح نفسه, يجعله غير محتاج في أداء أعماله إلى معونة من كائن ما, حتى لو كان هذا الكائن هو الروح القدس – ولكن (على فرض حدوث الاستحالة) فإن الوحي يعلن لنا أن الله لا يمنح بركة إلا حيث يوجد الإيمان (أعمال ١٤: ١٩) وتتوافر القداسة (١ تسالونيكي ٤: ٣), كما يعلن لنا أن الابن والروح القدس هما مع الآب واحد في الجوهر, وأنه لا انفصال لأحدهم عن الآخر, لا في الذات ولا في الأعمال (متى ٢٨: ١٩).

٢- الرأي اللوثري:

ويقول اللوثريون[٧] إن العشاء الرباني هو ذات جسد المسيح ودمه, ليس بمعنى أنه يتحول إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته, أو إلى ذات جسده ودمه فحسب, بل بمعنى أن ذات جسده ودمه يحلان في العشاء المذكور, حلول السيف في الغمد واستقراره فيه. ولذلك يعتقدون أنهم بالتناول من العشاء الرباني, يتناولون ذات جسد المسيح ودمه في غلاف من الخبز والخمر. فالحلول الذي يقولون به إذاً هو حلول فعلي, وكل ما في الأمر غير مدرك بالحواس البشرية. وفاعلية العشاء الرباني لديهم ليست مستمدة من ذاته (كما يقول الأرثوذكس والكاثوليك)بل متوقفة على إيمان الذين يتناولون منه. ولذلك فمثل العشاء الرباني لديهم مثل النار التي لا تنتقل حرارتها إلى الفحم إلا إذا كان جافاً, غير أن جفافه ليس هو العلة التي تجعل للنار خاصية الاشتعال. كما أن فاعلية هذا العشاء لديهم ليست هي كل فاعليته عند الأرثوذكس والكاثوليك, بل هي فقط تمتع المتناولين بحلول المسيح فيهم. لأن اللوثريين يعتقدون أن الحصول على الغفران والحياة الأبدية يكون فقط بواسطة الإيمان الحقيقي بالمسيح, وذلك بناء على ما ورد في (يوحنا ٣: ١٦, أعمال ١٠: ٤٣), وغير ذلك من الآيات[٨].

---

[٧] اللوثريون هم أتباع "لوثر", ولوثر ولد في سكسونيا في القرن الخامس عشر, وكان أبوه قد أعده لدراسة القانون, غير أنه التحق بالدير وعكف على الصوم والتقشف. ولما لم يجد لنفسه سلاماً ثابتاً في ممارسة هذا وذاك, أخذ في دراسة نسخة من الكتاب المقدس كان قد عثر عليها مع أحد أصدقائه. فعرف منها أنه لا سلام للنفس إلا بعد حصولها على الغفران, وأنه لا غفران إلا بواسطة دم المسيح الذي سفك مرة على الصليب (عبرانيين ١: ١٢). ومع أنه اقتنع بهذه الحقيقة وقاوم بابا رومة بعد ذلك بسبب صكوك الغفران التي كان يبيعها للناس, واحتمل في هذ السبيل اضطهاداً عنيفاً منه, غير أنه بسبب تغلغل الكثلكة في نفسه منذ حداثته (كما يقول المؤرخون), كان يعيش طوال حياته تحت تأثير عقائدها الخاصة بالعشاء الرباني وذلك لخطورتها الفائقة. لأن هذا العشاء كان يحاط بالقدسية التي يحاط بها الله نفسه, وكان كل من يشك في كونه ذات المسيح بلاهوته وناسوته, يعتبر كافراً ولا يستحق إلا الهلاك, ولذلك فإن لوثر وإن كان لم يستطع قبول عقيدة الاستحالة لتعارضها مع الواقع ومع خصائص المادة, إلاّ أنه ذهب إلى ما يشبه هذه العقيدة, غير عالم أنه أتى كذلك بأمر يتعارض مع الواقع, ومع خصائص المادة أيضاً, لأن الحلول الذي قال به ليس أمراً واقعياً, إذ أنه غير مدرك أو محسوس مثل الاستحالة تماماً. كما أنه يتعارض مع خصائص المادة, إذ أنه يقضي بدخول جسد المسيح ودمه في الخبز والخمر, مع بقاء الخبز والخمر كما هما دون تغيير أو تبديل.

[٨]- آراء اللوثريين وغيرهم من الطوائف التي ستذكرها فيما بعد مقتبسة من:

(أ) Eucharist The Sacrament Of

(ب) The Christian Sacraments

(ج) The Book Of The History Of Doctrine

(د) At The Lord's Table

(هـ) The Happy Christian

(و) تاريخ الكنيسة لموسهيم

(ز) تاريخ الاصلاح لدوبينيه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويرجع السبب في اعتقادهم, إلى فهم حديث المسيح عن العشاء الرباني الذي ذكرناه فيما سلف بالمعنى الحرفي (كالأرثوذكس والكاثوليك), غير أنهم نفوا اتحاد اللاهوت في هذا العشاء, كما فسروا حديث المسيح عنه تفسيراً يرون أنه لا يتعارض مع الواقع أو مع خصائص المادة. أما من جهة حديث المسيح عن التغذي من جسده ودمه الوارد في (يوحنا ٦) فيعتقدون مثل غيرهم من الطوائف التي سنذكرها فيما بعد, إنه خاص بالإيمان بشخصه, ولذلك يفهمون هذا الحديث بالمعنى المجازي أو الروحي.

٣- الرأي المشيخي أو الكلفيني[٩]:

ويقول المشيخيون أو الكلفينيون إن العشاء الرباني لا يتحول إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته, أو يحوي ذات جسد المسيح ودمه, بل إن المسيح يرافق هذا العشاء بحالة روحية إلى قلوب الذين يتناولون منه بالإيمان, دون أن يطرأ على العشاء تغيير ما, غير أنهم يتفقون مع اللوثريين وغيرهم من الطوائف التي سنذكرها فيما بعد, على أن العشاء الرباني ليست له فاعلية ذاتية, بل أن فاعليته متوقفة على إيمان الذين يتناولون منه. ويرجع السبب في اعتقادهم إلى فهم حديث المسيح عن العشاء الرباني بالمعنى المجازي لا الحرفي (بعكس الأرثوذكس والكاثوليك واللوثريين)، ثم ربط التناول من هذا العشاء حلول المسيح في القلب، لاعتقادهم أن المسيح يرافق العشاء المذكور بحالة روحية. إذ يعتقدون أنه كما ترسل الشمس ضوءها وحرارتها إلى الأرض، مع أنها بعيدة عن الأرض بعداً عظيماً، هكذا الحال من جهة المسيح، فانه وإن كان موجوداً الآن في السماء غير أنه يبعث تأثيراً روحياً في العشاء الرباني يتقبله الذين يتناولون منه بالأيمان على الأرض. ولذلك يؤمنون أنهم بالتناول من هذا العشاء، يستقبلون جسد المسيح مع قوته المحيية، ليس بطريقة مادية يدخل بها جسد المسيح الذي في السماء إلى أفواههم، بل بطريقة روحية يحل بها المسيح في نفوسهم.

٤- الرأي الأسقفي[١٠]

(ح) نظام التعليم في علم اللاهوت القويم
(ط) أصول الإيمان
(ي) الصلاة العامة للأسقفيين.

[٩] - كلمة "المشيخي" مشتقة من نظام الشيوخ الذي يسير عليه المشيخيون, فهم يعينون شيوخاً للقيام بالرعاية الدينية لديهم, والشيوخ هم القسوس بعينهم. وكل ما في الأمر أن كلمة "شيوخ" عربية, أما كلمة "قسوس" فمشتقة من الكلمة السريانية "قشيشو" التي تعني أشخاصاً متقدمين في السن أو "شيوخاً" ومن هذا يتضح لنا أن الذين يقومون بالرعاية الدينية بين المؤمنين يجب أن يكونوا متقدمين في السن. وقد نص الكتاب على هذه الحقيقة فسجل أن من بين الشروط التي يجب توافرها في القسوس قبل قيامهم بأعمالهم, أن يكون لهم أولاد مؤمنون, ليسوا في شكاية الخلاعة ولا متمردين (تيطس ١: ٥- ٦). والمشيخيون وغيرهم من الجماعات التي سنذكرها بعد يحملون اسماً واحداً وهو "الإنجيليون" نسبة إلى الإنجيل. أما التفرقة بين القسوس والشيوخ فقد حدثت على الراجح في القرن الثالث (الدسقولية ص ١٠). ولعل المؤمنين الذين عاشوا في هذا القرن قصدوا بالقسوس الأشخاص الذين يقومون بالخدمة الدينية داخل الكنيسة بغض النظر عن سنهم, وقصدوا بالشيوخ الأشخاص المتقدمين في السن الذين كانوا يهتمون بأمور المؤمنين الروحية خارج الكنيسة, كما هي الحال في بعض الطوائف المسيحية في الوقت الحاضر.

أما كلفن, فهو أبو المشيخية, فقد نشأ في فرنسا في القرن السادس عشر, وبعد أن أتمَّ دراسة القانون, عكف على دراسة الكتاب المقدس. فانتهى به الأمر إلى الانفصال عن المذهب الكاثوليكي والانضمام إلى مذهب لوثر. غير أنه خالفه في اعتقاده من جهة العشاء الرباني, لأنه (كما يقول المؤرخون) لم يكن متأثراً بالكثلكة تأثر لوثر بها.

 All rights reserved © 2008-2018

ويقول الأسقفيون إن العشاء الرباني هو سر جسد المسيح ودمه, وأن المسيح في هذا السر هو قوت روحي للمؤمنين. لأنهم يعتقدون أنهم يتناولون المسيح بحالة روحية عند التناول من العشاء الرباني. أما من جهة علاقة العشاء الرباني بجسد المسيح ودمه, فيقولون أنهما لا يحلان في هذا العشاء بل يحلان في المؤمنين, لأن الخبز والخمر لا يتحولان إلى ذات جسد المسيح ودمه, أو يحل ذات جسده ودمه فيهما, بل أنهما يظلان كما هما خبزاً وخمراً. ولذلك فاعتقادهم يشبه اعتقاد المشيخيين, إذ أن كلمة "سر" مستعملة عند الأسقفيين بمعنى "علامة" كما كانت تستعمل عند المسيحيين في القرون الأولى.

٥- الرأي الزونجلي

ويقول الزونجليون[١١] إن العشاء الرباني لا يتحول إلى المسيح أو يحل المسيح فيه. وليس هذا فحسب بل ويقولون أيضاً إن المسيح لا يقترن به بأي اقتران يؤدي إلى حلوله في نفوس الذين يتناولون العشاء المذكور، لأنهم يعتقدون أن حضور المسيح لا يكون إلا بالروح وسط المؤمنين الحقيقيين الذين يجتمعون حول هذا العشاء، كما يحدث بناء على وعده الكريم عندما يجتمعون باسمه للعبادة والصلاة (متى١٨:٢٠). وفاعلية العشاء الرباني لديهم، مثل فاعليته لدى الطوائف الثلاث السابق ذكرها، تتوقف على الحالة الروحية للذين يتناولون منه. غير أنهم ينفردون بالقول إن هذه الفاعلية ليست هي حلول المسيح في قلوب الذين يتناولون من العشاء الرباني، بل هي إعلان الروح القدس لنفوسهم مقدار ما تحمله المسيح من الآلام في سبيل التكفير عنهم، وبذلك يتذكرون هذه الآلام ويتأثرون بها في نفوسهم تأثراً يملأهم بالمحبة الله، ويساعدهم على مواصلة السير في طريقه بتواضع وإخلاص. أما من جهة حلول المسيح في القلب، فيعتقدون بناء على ما جاء في (افسس٣:١٧،غلاطية٢:٢٠) انه بالإيمان الحقيقي وصلب أهواء الجسد وشهواته.

---

[١٠] - الأسقفية, هي كنيسة إجلترا, وتنقسم إلى قسمين: قسم يتبع في عبادته نظماً تشبه النظم المستعملة عند الكاثوليك, وقسم آخر يتبع في عبادته نظماً تشبه النظم المتبعة عند الإنجيليين, ولكن مع اختلافهما في نظم العبادة لا يؤمنان بالاستحالة أوالحلول. ويرجع السبب في تسمية هذه الكنيسة بالأسقفية إلى أنها تقيم أساقفة يشرفون على أعمال القسوس فيها – ولكن الكتاب المقدس يعلن لنا أن الأسقف هو القسيس, وأن القسيس هو الأسقف. فقد ذكر عن بولس الرسول أنه أرسل مرة إلى أفسس "واستدعى قسوس الكنيسة". فلما جاؤا إليه قال لهم: "احترزوا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة" (أعمال ٢٠: ١٨). كما ذكر عن الشيوخ (أو القسوس) في كريت أنهم أساقفة (تيطس ١: ٤- ٧). فضلاً عن ذلك فإننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس نجد (أولاً) أنه لم يكن في الكنيسة في العصر الرسولي أساقفة وقسوس وشمامسة, بل كان فيها فقط أساقفة وشمامسة (فيلبي ١: ١) (ثانياً) أن الرسول لم يعلن لتلميذه تيموثاوس مميزات الأساقفة والقسوس والشمامسة, بل أعلن له مميزات الأساقفة والشمامسة فحسب (١تيموثاوس ٣: ١- ٨), الأمر الذي يدل على أن الأسقف هو القسيس وأن القسيس هو الأسقف كما ذكرنا.

وكلمة "أسقف" ليست عربية, بل معربة عن الكلمة اليونانية "أبسكوبوس" ومعناها "ناظر". ومن هذا يتضح أن الشخص الذي كان يُقام للرعاية الروحية بين المؤمنين كان يسمّى قسيساً بالنسبة إلى سنّه ويسمّى أسقفاً بالنسبة إلى عمله.

والتفرقة بين الأسقف والقسيس حدثت في أواخر القرن الثاني, عندما ازداد عدد القسوس وقام النزاع بينهم من جهة شئون الخدمة التي كانوا يقومون بها, فاستحسنوا أن ينتخبوا لهم رئيساً أطلقوا عليه وحده لقب "الأسقف", لكي يوزع عليهم أعمالهم ويقضي في المنازعات التي تقوم بينهم (تاريخ موسهيم ٣١, ٣٢, ٦٢, ٦٣) – أما الاعتراض بأن إطلاق لقب القسيس على الأسقف يرجع إلى أن الأسقف يقوم أحياناً بعمل القسيس مع أنه ليس قسيساً, فلا يجوز الأخذ به, لأن الكتاب المقدس لا يدعو الأسقف قسيساً بل يدعو القسيس أسقفاً, وهذا لا يمكن حدوثه إلا إذا كان القسيس هو الأسقف, والأسقف هو القسيس.

[١١] "الزونجليون" هم أتباع زونجلي, الذي نشأ في سويسرا في القرن السادس عشر, وقد كان في أول الأمر كاثوليكياً, لكن بدراسته لموضوع العشاء الرباني في ضوء الكتاب المقدس, وجد أنه طالما أن المسيح موجود بجسده الآن في السماء, وأن جسده مادة تتحيز بالحيز الذي توجد فيه, لذلك لا يمكن أن يكون المسيح موجوداً بجسده هذا على الأرض في الوقت الحاضر تحت أي شكل من الأشكال. ومن ثم لا يمكن أن يكون العشاء الرباني هو ذات جسد المسيح ودمه, أو أن ذات جسده ودمه يحلان في هذا العشاء. ولذلك كانت له مع لوثر مناقشة حادة من جهة هذا الموضوع, سنذكر طرفاً منها في الباب الرابع.

 All rights reserved © 2008-2018

ويرجع السبب في اعتقادهم إلى فهم حديث المسيح عن العشاء الرباني بالمعنى المجازي لا الحرفي، ثم تفسيره تفسيراً يتفق مع فهمه بهذا المعنى، دون أن يسندوا إلى هذا العشاء فائدة أو خاصية لم ينص الكتاب المقدس عليها.

٦- رأي الكويكرز[١٢]

ويرى الكويكرز – أو الأصدقاء – أن العشاء الرباني الذي عمله المسيح لم يكن إلا رمزاً للتغذي الروحي بشخصه، ولذلك لم يجدوا ضرورة لممارسة هذا العشاء.. واكتفوا بأنهم عند كسر الخبز في كل وجبة يتناولونها يذكرون موت المسيح على الصليب. غير أن كثيرين منهم أقلعوا في أوائل القرن الحالي عن هذا الرأي، وذلك تحت تأثرهم بالآيات الواردة في (أعمال ٢:٤٢، ٧،١:٢٠ كورنثوس١٥:١٠، ١١: ٢٧). والتي تنادي بوجوب ممارسة العشاء الرباني بالانفصال عن الواجبات العامة، ومن ثم أخذوا في ممارسته على النمط المتبع عند الإنجيليين تقريباً.

وقد سبق الكويكرز إلى عدم ممارسة العشاء الرباني جماعة من الغنوسيين الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى (والذين ظهروا بعد ذلك باسم البوليسيين والكاترنيين والمانيخيين، فيما بين القرنين التاسع والثاني عشر)، وجعلوا ديانتهم مزيجاً من المسيحية والوثنية. غير أن الغنوسيين لم يمارسوا العشاء الرباني، لأنهم كانوا يعتقدون أن الخبز والخمر هما من عمل إله الشر، لكونهما من نتاج الأرض (التي حسب اعتقادهم خلقت بواسطة هذا الإله) ولذلك رأوا ألا يستعملوها في أمر خاص بإله الخير. الذي بحسب اعتقادهم هو الخالق للسماء والنور والروح فحسب- وقد اندثرت بدعتهم من زمن بعيد.

هذه هي أهم العقائد الخاصة بالعشاء الرباني، ومنها يتضح لنا أن الاختلاف الجوهري بينها ينحصر في أن بعضها ينص على أن العشاء الرباني يتحول إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته، أو أن ذات جسده ودمه يحلان في هذا العشاء، وأن البعض الآخر ينصّ على أن العشاء الرباني يظل كما هو دون تغيير أو تبديل، وأن التحول الذي يحدث فيه (إن جاز أن يسمى تحوّلا)، هو تحول معنوي أو اعتباري فحسب، وذلك بسبب كون هذا العشاء تذكاراً لموت المسيح على الصليب.

وسندرس في البابين التاليين الحجج التي يقول بها كل فريق من المسيحيين، حتى تظهر لنا الحقيقة بكل جلاء ووضوح.

[١٢] الكويكرز هم جماعة أسسها جورج فوكس في القرن السادس عشر، وكانت تنادي بما تدعوه "النور الباطني" – وهو حسب اعتقادها وجود معرفة غريزية في نفس كل إنسان من جهة طريق الخلاص والحياة الأبدية – ولذلك فإن الإنسان حسب رأي الكويكرز ليس في حاجة إلى وحي من السماء عنهما. ويبدو من آرائها أنها كانت تجنح إلى التطرف في عقائدها رغبة منها في مخالفة الكنيسة الكاثوليكية. ومع ذلك كان الكويكرز أنصار السلام والإنسانية، وكانوا يدعون إلى المودة والحرية ردحاً طويلاً من الزمن. ولكن يبدو أن هذه الحرية قادتهم إلى الحرية المطلقة، أو بالحري إلى الإباحية، فأساءوا في سلوكهم وتصرفاتهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الباب الثاني

العشاء الرباني والايمان الحقيقي

١

معنى "التغذي بجسد المسيح ودمه"

(الوارد في يوحنا ٦)

مرّ بنا في الباب السابق أن الذين يؤمنون بالاستحالة, يعتقدون أن الآيات الواردة في (يوحنا ٦), عن التغذي بجسد المسيح ودمه للحصول على الحياة الأبدية, لا يراد بها الإيمان بالمسيح بل التناول من العشاء الرباني, ولذلك يفهمونها بالمعنى الحرفي لا المجازي.

ومرّ بنا في الباب المذكور أيضاً أن الذين لا يؤمنون بالاستحالة, يعتقدون أن هذه الآيات, لا يراد بها العشاء الرباني بل الإيمان بالمسيح, ولذلك يفهمونها بالمعنى المجازي لا الحرفي.

وإن اختلف الفريقان المذكوران في المراد بهذه الآيات أو معناها, غير أنهما يتفقان على أن الأيات الخاصة بتأسيس العشاء الرباني وممارسته, هي الواردة في (متى ٢٦, مرقس ١٤, لوقا ٢٢, ١ كورنثوس ١١), والتي ذكرنا خلاصتها في الفصل الرابع من الباب السابق.

إزاء ما تقدم, رأينا من الواجب أن نأتي بمقارنة بين الآيات الواردة في (يوحنا ٦) التي يختلف هذان الفريقان بشأن معناها, وبين الآيات الواردة في (متى ٢٦, مرقس ١٤, لوقا ٢٢, ١ كورنثوس ١١) التي يتفقان على أنها خاصة بتأسيس العشاء الرباني وممارسته, لكي نعرف إذاً كانت الآيات الأولى خاصة بهذا العشاء كما يقول الذين يؤمنون بها. ثم نرد بعد ذلك على الاعتراضات التي توجه ضد هذه المقارنة.

أولاً – المقارنة

١- الكلمة المستعملة للتعبير عن "الجسد" في الآية "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه, فليس لكم حياة فيكم" الواردة في (يوحنا ٦), تختلف في اللغة اليونانية عن الكلمة المستعملة للتعبير عن "الجسد" في الآية "هذا هو جسدي" وغيرها من الآيات الخاصة بتأسيس العشاء الرباني وممارسته, المذكورة في (متى ٢٦, مرقس ١٤, لوقا ٢٢, ١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كورنثوس ١١). ففي اللغة اليونانية تستعمل كلمة "ساركس" معناها "لحم", بينما كلمة "سوما" معناها "جسد". ولذلك نرى في الترجمة الإنجليزية (مثلاً) أن كلمة "جسد" الواردة في (يوحنا ٦) هي "flesh أي لحم", بينما الواردة في الإصحاحات الخاصة بتأسيس العشاء الرباني وممارسته هي "body أي جسد". ولذلك فمن المستبعد أن يكون حديث المسيح الوارد في (يوحنا ٦) عن وجوب التغذي بجسده ودمه, خاصاً بالعشاء الرباني.

وإطلاق المسيح على "الجسد" الوارد ذكره في (يوحنا ٦)كلمة تختلف عن تلك التي أطلقها على "الجسد" الوارد ذكره في الإصحاحات الخاصة بتأسيس العشاء الرباني وممارسته, لم يكن جزافاً بل لسبب خاص, لأن المسيح كان مدققاً كل التدقيق في جميع أقواله وأعماله. وليس من العسير علينا أن نعرف هذا السبب, إذا وضعنا أمامنا أن المسيح كان يتحدث في (يوحنا ٦), عن نفسه بوصفه غذاء البشرية ومصدر حياتها. ولما كان هناك شبه بين المسيح وبين اللحم من ناحية التغذية (لأن المسيح هو غذاء الروح, واللحم هو غذاء الجسد), كان من البديهي أن يستعمل المسيح عن نفسه في هذه المناسبة كلمة "ساركس" التي تعني "اللحم". أما عند تأسيس العشاء الرباني, فنظراً لأنه كان يريد أن يترك لتلاميذه تذكاراً يتذكرون به تقديم جسده (وليس لحمه فقط) فدية عن نفوسهم, كان من البديهي أن يستعمل عند تأسيس هذا العشاء, كلمة "سوما" التي تعني "الجسد".

٢- فضلاً عن ذلك, فإننا إذا تأملنا الآيات الواردة في (يوحنا ٦), نجد أن الغرض من التغذي بجسد المسيح ودمه في هذه الآيات, هو الحصول على الحياة الأبدية. فقد قال المسيح في الآيات المذكورة "اصنعوا هذا لذكري". ولذلك لا يكون التغذي بجسد المسيح ودمه الوارد في (يوحنا ٦) خاصاً بالعشاء الرباني كما يقول المؤمنون بالاستحالة, لأن الغرض من تناولهما في الإصحاحات التي يجمعون مع غيرهم من المسيحيين على أنها خاصة بتأسيس العشاء الرباني وممارسته.

وإذا كان الأمر كذلك, فما المراد بالتغذي من جسد المسيح ودمه الوارد في (يوحنا ٦)؟ - للإجابة على ذلك نقول:

بما أن السبيل إلى الحياة الأبدية الذي لا يقبل تأويلاً ما, والذي يعلنه الوحي في كل سفر من أسفاره بكل وضوح وجلاء, هو الإيمان بالمسيح أو بالحري الإيمان الحقيقي به, فقد قال "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد, لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية[١٣]" (يوحنا ٣: ١٦).

[١٣] ويعوزنا الوقت إذا أردنا أن نحصي الآيات التي تدل على أن الخلاص والحياة الأبدية هما بالإيمان أو بالحري الإيمان الحقيقي, ولذلك نكتفي بما يأتي: قال المسيح "من يؤمن بالابن تكون له الحياة الأبدية, ويقيمه الابن في اليوم الأخير". و"الحق الحق أقول لكم, إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني, فله حياة أبدية". و"أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي, فلن يموت إلى الأبد" (يوحنا ٦: ٤٠, ٥: ٢٤, ١١: ٢٥). وقال بولس الرسول "وليس لي بري الذي من الناموس, بل الذي بإيمان المسيح, البر الذي من الله بالإيمان". و"لكن بنعمة الرب يسوع نؤمن أن نخلص". و"لأنكم بالنعمة مخلصون, بالإيمان, وذلك ليس منكم هو عطية الله". و "آمن بالرب يسوع فتخلص

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبما أن المسيح أعلن لنا في (يوحنا ٦) أن الحياة الأبدية تتوقف على الأكل من جسده والشرب من دمه, ولا يمكن أن يكون هناك سبيلاً مختلفاً للحصول على الحياة الأبدية الواحدة, أحدهما بواسطة الإيمان الحقيقي بالمسيح, والثاني بواسطة الأكل من جسده والشرب من دمه.

إذاً فالأكل من جسد المسيح والشرب من دمه الوارد في (يوحنا ٦), هو بعينه الإيمان الحقيقي بشخصه؛ ,أن الإيمان الحقيقي بشخصه, هو عين الأكل من جسده والشرب من دمه, إنما بأسلوب مجازي.

قد يبدو هذا الاستنتاج غريباً لأول وهلة لدى بعض القراء, ولكن سيظهر صدقه بكل وضوح وجلاء عند شرح الآيات الواردة في (يوحنا ٦) في الفصل التالي. ولذلك نكتفي هنا بالقول إن الاختبار العملي, إلى جانب النصوص المقدسة التي سبق بيانها, يدل أيضاً على أن الحياة الأبدية هي فقط بواسطة الإيمان الحقيقي, لأننا نرى كثير من الذين يواظبون على التناول من العشاء الرباني كل يوم أو كل أسبوع, يحيون حياة بعيدة عن الله كل البعد, الأمر الذي يدل على أنه لا نصيب لهم في الحياة الأبدية على الإطلاق. بينما نرى المؤمنين الحقيقيين في كل الطوائف المسيحية دون استثناء, يحيون حياة التقوى والقداسة, الأمر الذي يدل على أنهم من أتباع الله, وأن لهم حياة أبدية معه.

أنت وأهل بيتك". و"لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من بين الأموات خلصت, لأن القلب يؤمن به للبر, والفم يعترف به للخلاص. لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يخزى" (رومية ١٠: ٨, أفسس ٢: ٨, أعمال ٥: ١١). وقال بطرس الرسول "نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس" (١ بطرس ١: ٩). وقال يوحنا الرسول "وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله, ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يوحنا ٢٠: ٣١)- وهذا الإيمان كما يتضح من الكتاب المقدس ليس مجرد الاعتراف الشفوي بالمسيح, بل هو عمل روحاني به تتصل النفس بالله, وتثق كل الثقة في كفاية كفارته في المسيح – والله يجيب على هذه الثقة بمنح النفس خلاصه الأبدي وما يترتب عليه من بركات.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً – الاعتراضات والرد عليها

(١) الإنجيل المكتوب بالآرامية (وهي اللغة التي كان المسيح يتحدث بها عندما كان على الأرض) يستعمل كلمة واحدة لكلمتي "الجسد" الواردتين في (يوحنا ٦) وفي (متى ٢٦, مرقس ١٤,..,..), وهذه الكلمة هي "فجرى" أي "جسدي", ولذلك يكون التغذي بجسد المسيح ودمه الوارد في (يوحنا ٦) خاصاً بالعشاء الرباني (الرد على العشاء الرباني ص ٣٠).

الرد: فضلاً عن أن الغرض من تناول جسد المسيح ودمه الوارد في (يوحنا ٦), يختلف كل الاختلاف عن الغرض من تناولهما في الإصحاحات الخاصة بتأسيس العشاء الرباني وممارسته, الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذا: إن المسيح وإن كان قد تكلم بالآرامية عندما كان على الأرض, لكن إنجيل يوحنا كتب في أول الأمر باليونانية, اللغة الدولية وقتئذٍ. ولذلك تكون اللغة اليونانية هي اللغة التي يعتمد عليها في دراسة الإنجيل. أما الإنجيل المكتوب بالآرامية فهو مترجم عن اليونانية في القرن الثالث, وقد استعمل الذين ترجموه إلى هذه اللغة كلمة واحدة وهي "فجرى". للكلمتين السابق ذكرهما (كما فعل الذين ترجموا الإنجيل إلى العربية), لأن هذه الكلمة تستعمل لديهم للدلالة على الجسد واللحم معاً, كما هي الحال في اللغة العربية وبعض اللغات الأخرى. ولكن هذا لا ينفي الحقيقة الواقعة, وهي أن اللغة الأصلية للكتاب المقدس تبيّن أن المسيح استعمل للتعبير عن "الجسد" الوارد ذكره في الفصول الخاصة بتأسيس العشاء الرباني وممارسته, وأنه لم يفعل ذلك جزافاً, بل لسبب خاص كما ذكرنا فيما سلف.

(٢) إن حديث المسيح الوارد في (يوحنا ٦) عن التغذي بجسده ودمه, وإن لم يكن خاصاً بتأسيس العشاء الرباني أو كيفية ممارسته, لكنه وعد من المسيح بإعطاء هذا العشاء, لذلك يكون خاصاً به (الدرة البهية ص ١٠٠).

الرد: فضلاً عن أن الغرض من تناول جسد المسيح ودمه الوارد في (يوحنا ٦), يختلف كل الاختلاف عن الغرض من تناولهما في الإصحاحات الخاصة بتأسيس العشاء الرباني وممارسته كما ذكرنا فيما سلف, الأمر الذي لا يدع مجالاً للظن بأن حديث المسيح في (يوحنا ٦) خاص بالعشاء الرباني نقول: إن إنجيل يوحنا الذي تحدث في الإصحاح السادس منه عن وجوب التغذي بجسد المسيح ودمه, لا يتحدث بعد هذا الإصحاح عن تأسيس العشاء الرباني أو ممارسته. و الجائز إطلاقاً أن بما أنه ليس من يسجل الوحي وعداً للمسيح في كتاب, ثم لا يسجل في هذا الكتاب بعد ذلك تنفيذ المسيح للوعد المذكور, لذلك فإن الاعتراض المذكور لا مجال له بأي وجه من الوجوه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(٣) إن الوحي ترك الكتابة عن تأسيس العشاء الرباني في إنجيل يوحنا, اكتفاء بما كتبه عن ذلك في أناجيل متى ومرقس ولوقا (أسرار الكنيسة السبعة ص ٩٧).

الرد: إن كل إنجيل قائم بذاته وكامل أيضاً بذاته, والدليل على ذلك أن كل إنجيل أرسل في أول الأمر إلى جماعة من الناس غير التي أرسل إليها الآخر. كما أن الأناجيل لم ترسل وقتئذٍ إلى الجماعات التي أرسل إليها في وقت واحد, بل أرسلت إلى هذه الجماعات في أوقات متباعدة: فإنجيل متى أرسل في أول الأمر إلى العبرانيين سنة ٣٩م, وإنجيل مرقس إلى الرومانيين سنة ٦١م, وإنجيل لوقا إلى اليونانيين سنة ٦٣م عن طريق شخص يدعى ثاوفيلس كان من أبرز معاصريه ثقافة وتديناً, وإنجيل يوحنا أرسل إلى الفلاسفة بصفة خاصة سنة ٩٨م لكي يوضح لهم أزلية "الكلمة" أو بالحري "اللوغوس", الذي كانوا يبحثون عنه بعقولهم ولكنهم لم يهتدوا إلى حقيقته – وقد كانت هذه الأناجيل متفرقة في القرن الأول، ولمكنا جمعت مع أعمال الرسل ورسائلهم في كتاب واحد في أوائل القرن الثاني.

ولذلك لو كان الحديث الوارد في إنجيل يوحنا عن التغذي بجسد المسيح ودمه وعداً من المسيح بإعطاء العشاء الرباني، لكان الوحي قد سجل شيئاً عن تأسيس هذا العشاء في الإنجيل المذكور، حتى يرى الذين كانوا يقرؤونه دون غيره من الأناجيل، كيف حقق المسيح وعده بإعطاء جسده ودمه مأكلاً ومشرباً بالفم، كما يقول المؤمنون بالاستحالة.

(٤) أخيراً يقولون: ليس من المعقول أن يخلو إنجيل يوحنا من تسجيل شيء عن العشاء الرباني، وإلا لكان الذين أطلعوا على هذا الإنجيل دون غيره من الأناجيل في القرن الأول، قد حرموا من ممارسة هذا العشاء، ولذلك يكون حديث المسيح الوارد في (يوحنا٦) عن التغذي بجسده ودمه، خاصاً بالعشاء المذكور.

الرد: فضلا عن أن الغرض من تناول جسد المسيح ودمه الوارد في (يوحنا٦)، يختلف كل الاختلاف عن الغرض من تناولهما في الاصحاحات الخاصة بتأسيس العشاء الرباني وممارسته، الأمر الذي لا يدع مجالا للظن بأن حديث المسيح الوارد في (يوحنا٦) خاص بالعشاء المذكور كما سلف القول، فإن إنجيل يوحنا كُتب سنة ٩٨م، أي بعد كتابة الثلاثة الأناجيل الأخرى بمدة تتراوح بين ٣٧ سنة و ٥٩ سنة، وفي هذه المدة كان العشاء الرباني يمارس عند جميع المسيحيين في كل البلاد (اقرأ مثلا أعمال٢٠،٤٢:٢ ١كورنثوس١٠:١١)، ومن ثم لم تكن هناك ضرورة حتمية تستدعي تسجيل موضوع العشاء الرباني في هذا الإنجيل – فمثل العشاء الرباني من هذه الناحية مثل المعمودية المسيحية تماماً، فإنه لم يسجل أمر المسيح بها إلا متى ومرقس (متى ٢٨:١٩، مرقس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٦:١٦)، ومع ذلك كانت تمارس عند جميع المسيحيين في كل البلاد منذ العصر الرسولي (أعمال٢،٤١، ٨:١٢، ١٨:٨)، لأنهم كانوا جميعاً على علم بضرورتها وكيفية ممارستها.

ومع كلّ فحديث المسيح الوارد في (يوحنا٦)، وإذا لم يكن خاصاً بالعشاء الرباني، إلا أن له علاقة وثيقة بهذا العشاء، لأن الذين تغذوا بجسد المسيح ودمه روحياً، أو بتعبير آخر آمنوا به إيماناً حقيقياً كما سبقت الإشارة، هم الذين يستطيعون ممارسة العشاء الرباني حسب مشيئة الله، ويذكرون في قلوبهم بحق عمل المسيح المجيد الذي قام به على الصليب لأجلهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢

شرح الآيات الخاصة بالتغذي بجسد المسيح ودمه

في(يوحنا٦)

يجدر بنا قبل البدء في شرح هذه الآيات، أن نلقي نظرة على فحوى الاصحاح السادس من إنجيل يوحنا. ففي الآيات من (١-١٥)، يتحدث الوحي عن المعجزة التي أشبع بها المسيح آلاف اليهود من خمسة أرغفة وسمكتين، وعن إعجابهم به ورغبتهم في جعله ملكا عليهم لكي يأمنوا شر الجوع في ظلاله. وفي الآيات من (١٦-٢١)، يتحدث الوحي عن معجزة تهدئة البحر الذي كاد يبتلع التلاميذ جميعاً. وفي الآيات من (٢٢-٢٤)، يتحدث الوحي عن بحث اليهود عن المسيح لكي يشبعهم من الخبز والسمك كما فعل من قبل. وفي الآيات من(٢٥-٦٩)، يذكر الوحي أن اليهود عندما وجدوا المسيح يحوّل نظرهم من الطعام المادي إلى الطعام الروحي (أو بالحري إلى شخصه وحده، بوصفه خبز الله الذي يهب الحياة الأبدية الذين يتغذون به، أو بالحري يقبلونه في قلوبهم)، انفضوا عن المسيح ورفضوه، ومن ثم فهذا الاصحاح ليس خاصاً بالعشاء الرباني، وذلك لسببين:

(الأول) إن المسيح أعطانا العشاء الرباني، ليس لكي تكون لنا الحياة الأبدية كما تنص الآيات الواردة في (يوحنا٦)، بل لكي تتذكر محبته لنا وموته على الصليب من أجلنا، كما ذكرنا في الفصل الخامس من الباب السابق.

(الثاني) إن العشاء الرباني ليس طعاماً روحياً بل هو طعام مادي. أما قول المؤمنين بالاستحالة إنه روحي لأنه ليست له فضلات، كالطعام الذي كان آدم يأكله في الفردوس (الافخارستيا ص ١٢٨) فليس بصواب. لأن الطعام الروحي لا يلمس باليد أو يؤخذ بالفم، بل يدرك بالعقل ويؤخذ إلى النفس. أما من جهة الطعام الذي كان آدم يأكله في الجنة فنقول: إن آدم كان إنساناً من لحم ودم مثلنا، ولذلك لا شك أنه كان يقضي حاجته بعد الطعام الذي كان يتناوله، مثله في ذلك مثل الطيور والحيوانات التي كانت معه في الجنة. وإذا كان الأمر كذلك، فليس هناك أي استثناء للقاعدة المعروفة لدينا، وهي أن كل طعام يمر عن طريق الفم لا بد أن تكون له فضلات، وتبعاً لذلك لا يكون العشاء الرباني الذي نأكله بأفواهنا طعاماً روحياً (كما يقول المؤمنون بالاستحالة) ومن ثم لا يكون هو موضوع حديث المسيح في (يوحنا٦) كما ذكرنا.

ولما كانت الآيات من (٢٥-٦٦) هي وحدها التي يختلف بعضنا عن البعض الآخر في معناها، رأينا أن نخصها الآن بالشرح والتفسير. وهذه الآيات كما يتضح لكل من يتأملها، تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(القسم الأول) ويشمل الآيات من (٢٥ ٥٠)، خاص بوجوب الإيمان بالمسيح.

(القسم الثاني) ويشمل الآيات من (٥١-٦٣)، خاص بوجوب التغذي بجسد المسيح ودمه.

(القسم الثالث) ويشمل الآيات من (٦٤-٦٩)، خاص بوجوب الإيمان بالمسيح مثل القسم الأول تماماً، ويتضح كل ذلك بالتفصيل مما يلي:

أولا- الآيات التي تنص على وجوب الإيمان بالمسيح

آية ٢٥- لما التقى المسيح باليهود بعد بحثهم عنه فترة من الزمن، قالوا له "يا معلم متى صرت هنا"؟ - هذا السؤال يدل في ظاهره على أن اليهود كانوا يحبون المسيح ويسعون وراءه، لكنه يدل في الواقع على اهتمامهم بالطعام المادي دون سواه، كما يتضح من الآية التالية.

آية ٢٦ – "أجابهم يسوع وقال: "الحق الحق أقول لكم، أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم"- هذه الاجابة تدل على معرفة المسيح بما كان يجول في نفوس اليهود من خواطر. فهم لم يطلبوه لأنهم آمنوا به وأحبوه، بل لأنهم أكلوا من بين يديه حتى شبعوا، وأرادوا الآن أن يأكلوا حتى يشبعوا أيضاً.

آية ٢٧- "اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية، الذي يعطيكم ابن الإنسان"- ما كان أحوج اليهود إلى الاصغاء لهذه النصيحة، فكان عليهم أن يتحولوا وقتئذ عن الطعام المادي البائد الذي لا يغذي إلا الجسد، وأن يسعوا وراء الطعام الروحي الباقي الذي يغذي النفس ويعطيها حياة إلى الأبد.

آية ٢٨ – " وقالوا له:ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟" أو بالحري " ماذا نفعل حتى نعمل الأعمال التي يريدها الله، حتى نحصل على الطعام الباقي الذي ذكرته لنا؟"- هذا السؤال يدل في ظاهره على استجابة اليهود لنصيحة المسيح الواردة في قوله السابق "اعملوا...."، ولكنه يدل في الواقع على عدم فهمهم لهذه النصيحة، لأن المسيح قال لهم في الآية السابقة إنه سيعطيهم (بنفسه) هذا الطعام، ولذلك كان عليهم أن يعلموا أن العمل الذي طلب منهم القيام به، ليس هو العمل الظاهري بل العمل الباطني، أو بالحري إعداد النفس وتهيئتها لقبول الطعام المذكور.

آية ٢٩ – "أجاب يسوع وقال لهم: هذا هو عمل الله (أو بالحري هذا هو العمل الذي يريده الله) أن تؤمنوا بالذي هو أرسله"- أعلن المسيح لليهود بهذه الإجابة أن الله لا يطلب من الناس أن يقوموا بأعمال صالحة لكي يحصلوا على الحياة الأبدية، بل أن يؤمنوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بالمسيح لكي يحصلوا عليها. ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذه الأعمال، وإن كانت لها قيمتها وقدرها، إلا أنها لا تكفي للحصول على الغفران أو تأهيل النفس للتوافق مع الله[١٤].

آيتا ٣٠و٣١: فقالوا له: فأية آية تصنع، فنرى ونؤمن بك، ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب: "أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا" - كان المسيح قد عمل أمام اليهود معجزات كثيرة، لكن لقصورهم الروحي من جهة، وشدة تعلقهم بالطعام المادي من جهة أخرى، رأوا أن هذه المعجزات أقل شأناً من معجزة نـزول المن في عهد موسى النبي، ولذلك لم يجدوا (حسب رأيهم) مبرراً يدعوهم إلى الإيمان بالمسيح.

آيتا٣٢ و ٣٣ – "فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم، ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم" – هذه العبارة تتحدث عن نوعين من الخبز.

(الأول) المن أو الخبز الذي أعطاه الله لبني إسرائيل في العهد القديم.

(الثاني) الخبز الحقيقي (أو خبز الله) الذي يعطيه الآب من السماء في العهد الجديد، وهذا الخبز هو المسيح. ويسمى "خبز الله" لأنه موضوع شبع الله وسروره، فقد قال عنه "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (متى ٣:١٧). وقد أشار تعالى في العهد القديم إلى هذه الحقيقة فقال عن القربان الذي كان رمزاً للمسيح إنه "طعامى" (العدد ٢٨:٢) – وطبعاً كلمتا "خبز" و"طعام" مستعملتان هنا في المعنى المجازي، لأن الله لا يأكل بالمعنى الحرفي.

والخبز الثاني (كما يتضح من الآيتين اللتين نحن بصددهما) يختلف عن المن من ناحيتين رئيسيتين:

---

[١٤] لأن الأعمال الصالحة (أولاً) لا تستطيع أن ترد إلى حق الله (الذي اعتدينا عليه بارتكاب الخطية) كرامته بالدرجة التي يصبح معها كأنه لم يُعتمد عليه إطلاقاً... إذ أن حق الله غير محدود في قدره, بينما أعمالنا الصالحة مهما كثرت فهي محدودة, والأشياء المحدودة لا تفي حقاً غير محدود (ثانياً) إن هذه الأعمال كما نختبر في نفوسنا, لا تستطيع أن تسمو بنا إلى حالة القداسة التي تؤهلنا للتوافق مع الله في صفاته السامية – هذا من ناحيتنا. ومن ناحية الله فإنه لا يتساهل مع الخطية على الإطلاق لأنه لكماله المطلق لا تقل عدالته عن رحمته, أو قداسته عن محبته, ومن ثم لا يمكن أن يغفر خطايانا أو يقربنا إليه لمجرد قيامنا بالأعمال الصالحة. ولذلك قال الكتاب المقدس "لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه" (رومية ٣: ٢٠). كما نبرهن على أن الخلاص هو عطية من الله للمؤمنين الحقيقيين, وليس أجرة للأعمال الصالحة التي يقومون بها, فقال "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان, وذلك ليس منكم, هو عطية الله. ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد" (أفسس ٢: ٩). وقال "إذاً نحسب الإنسان يتبرر بدون أعمال الناموس" (رومية ٣: ٢٧- ٢٨) وقال "أما الذي لا يعمل (شيئاً كثمن للخلاص) لكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر, فإنه يحسب له براً" (رومية ٤: ٤- ٥). وقال "متبررين مجاناً (أي بدون مقابل من جانبكم) بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رومية ٣: ٢٤).
لكن وإن كانت الأعمال الصالحة ليست في حد ذاتها بكافية لأن تكون ثمناً للخلاص أو الحياة الأبدية للسببين السابق ذكرهما, لكنها ضرورية كثمر طبيعي للإيمان الحقيقي, ولولاها لا يكون الإيمان حقيقياً (يعقوب ٢: ٢٠). فضلاً ذلك فإن لها جزاء خاصاً عند الله ليس في العالم الحاضر فحسب, بل وفي العالم الآتي أيضاً (١ كورنثوس ٣: ١٤, ١٥), وذلك بالإضافة إلى الحياة الأبدية, التي هي هبة من الله للمؤمنين الحقيقيين (رومية ٦: ٢٣).

 All rights reserved © 2008-2018

(الأولى) المن أعطاه الله لبني إسرائيل وحدهم في فترة خاصة من الزمن، ثم منعه عنهم بعد ذلك. أما الخبز الحقيقي أو خبز الله نفسه، فيعطيه الله الآب للعالم، أي لجميع الناس في كل العصور دون استثناء

(الثانية) إن المن هلك معظم الذين أكلوه (١ كورنثوس ١٠:٣)، أما الخبز الحقيقي أو خبز الله، فلا يهلك أحد من آكليه، بل تكون لهم جميعاً الحياة الأبدية – ومما تجدر ملاحظته في هذه المناسبة، أن المن مع كونه خبزاً مادياً، لكن الوحي لا يدعوه "الخبز الحقيقي" لأن معظم الذين أكلوه قد هلكوا. ومن هذا يتضح لنا أن "الحقيقي" لا يراد به المادي، أو على الأقل لا يراد به المادي وحده، بل والروحي أيضاً.

آيتا ٣٤ و ٣٥ – " فقالوا يا سيد: أعطنا في كل حين هذا الخبز. فقال لهم يسوع: أنا هو خبز الحياة. من يقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً" – كان اليهود يعتقدون أن الخبز الحقيقي أو خبز الله، الذي يهب الحياة للعالم، هو طعام مادي يؤكل بالفم وينـزل إلى الجوف مثل المن، فهدم المسيح هذا الاعتقاد من أساسه، إذ أعلن لهم أن هذا الخبز هو شخصه بالذات، وأن السبيل للإفادة منه (ليس أكله بالفم تحت شكلي الخبز والخمر، كما يقول المؤمنون بالاستحالة)، بل الإقبال إليه والإيمان به. فقد قال "من يقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي لا يعطش أبداً"، أو بتعبير آخر تكون له الحياة الأبدية التي لا يعوزه معها شيء.

آية ٣٦ – "ولكنني قلت لكم إنكم رأيتموني ولستم تؤمنون" – من هذه العبارة يتضح لنا أن موقف اليهود إزاء المسيح لم يكن عدم الإيمان بأن العشاء الرباني يتحول إلى المسيح، بل عدم الإيمان بأن المسيح نـزل من السماء (كما قال لهم في الآيتين ٣٢،٣٣)، وذلك على الرغم من رؤيتهم له ومشاهدتهم لمعجزاته، وتحقق كل النبوات التي قيلت في توراتهم عن المسيح في شخصه، سواء أكان من جهة الصفات التي يتصف بها أم الأعمال التي يقوم بها – اقرأ مثلا (اشعيا٧:١٤ مع متى ١:١٨ – ٢٥) و (اشعيا ٩:١ و٢ مع متى ٤: ١٣ – ١٦، يوحنا ٨:١٢) و (اشعيا ١١:٢ مع متى ٣:١٦) و (اشعيا٥:٣٥-١٠ مع لوقا ١٨: ٣٥ - ٤٣، مرقس ٧:٣٢ – ٣٧) و اشعيا ٤٢: ١-٤ مع متى ١٢: ١٤ – ١٤ – ٢١) و (اشعيا ٦١: ١ – ٣ مع لوقا ٤: ١٤ – ٢٢) و (ميخا ٥: ٢ مع متى ٢: ١ – ٦) و (زكريا ٩: ٩ مع يوحنا ١٢:١٢ – ١٩).

آية ٤٠ – "لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني، إن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" – من هذه الآية يتضح لنا أن الحياة الأبدية لا تمنح بواسطة التناول من العشاء الرباني، أو بواسطة هذا التناول والايمان معاً (كما يقول

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المؤمنون بالاستحالة)، بل تمنح فقط بواسطة رؤية المسيح والايمان به، أو بالحري بواسطة الإتيان اليه بالقلب والايمان به بالحق.

آيتا ٤١ و٤٢ – "فكان اليهود يتذمرون عليه لأنه قال: أليس هذا هو يسوع ابن يوسف، الذي نحن عارفون بأبيه وأمه، فكيف يقول هذا إنني نـزلت من السماء؟" – من هذه العبارة يتضح لنا أيضاً أن تذمر اليهود لم يكن راجعاً إلى عدم إيمانهم بأن العشاء الرباني يتحول إلى المسيح، بل كان راجعاً إلى نفورهم من قوله إنه نـزل من السماء، إذ كانوا يعتقدون بناء على ما لديهم من معلومات بشرية، أن المسيح لم يكن إلا ابناً ليوسف النجار، ومن ثم لا يمكن (حسب وجهة نظرهم) أن يكون قد نـزل من السماء كما قال.

آية ٤٧ "الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بي فله حياة أبدية" – من هذه الآية يتضح لنا كذلك، أن الحياة الأبدية هي فقط بواسطة الايمان بالمسيح أو بالحري الايمان الحقيقي به، كما ذكرنا فيما سلف.

ثانياً – الآيات التي تنص على وجوب التغذي

بجسد المسيح ودمه

آية ٥١ – "أنا هو الخبز الحي الذي نـزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد" – يعتقد الذين يؤمنون بالاستحالة أن الفعل "يأكل" هنا، يراد به المعنى الحرفي أو المادي، ويعتقد الذين لا يؤمنون بها أن هذا الفعل يراد به المعنى المجازي أو الروحي، ولكي تتضح لنا الحقيقة نقول:

(أ) إن المسيح قال لليهود في الآيات (٣٤ و ٣٥ و٤٠ و٤٧) "إن كل من يؤمن به تكون له الحياة الأبدية". وإن مقارنة بسيطة بين قوله هذا، وبين قوله في آية (٥١) التي نتحدث عنها الآن وهي "إن أكل أحد من هذا الخبز (أو بالحري من شخصه) يحيا إلى الأبد"، ترينا أن المسيح لا يمكن أن يكون قد قصد بالأكل من شخصه، الأكل بالفم، بل قبوله بالايمان في النفس، لأنه لا يمكن أن تكون هناك وسيلتان مختلفتان للحصول على الحياة الأبدية: الأولى بواسطة الأيمان به، والثانية بواسطة الأكل بالفم من شخصه، كما ذكرنا في الفصل السابق.

(ب) ومما يثبت أيضاً أن المسيح لم يقصد بالأكل من شخصه سوى الايمان به، أننا إذا رجعنا إلى أقواله، نجد أنه لا يستعمل "واو العطف" بين الآيات الخاصة بالايمان به، وبين الخاصة بالأكل من شخصه. فهو لم يقل مطلقاً للناس "أن يؤمنوا به وأن يأكلوا من شخصه"، بل قال فقط "أن يؤمنوا به" كما ذكرنا في شرح الآيات (٣٤ و٣٥ و٤٠ و٤٧)،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكل ما في الأمر أنه عندما شبه نفسه بعد ذلك بالخبز في (آية ٥١)، قال لهم "أن يأكلوا منه"، لأن الخبز الذي شبه نفسه به، يؤكل ولا يؤمن به.

وقد عبر المسيح عن الايمان به بالأكل، لأن هناك شبهاً بين الايمان بشخصه وبين الأكل، إذ كما أنه لا فائدة من الطعام إلا إذا أكلناه وامتصته أجسادنا، هكذا الحال من جهة موقفنا إزاء المسيح، فإن تصديقنا لرسالته دون تفتح نفوسنا له وقبولنا إياه في داخلها غذاء وحياة لها، لا يجدي علينا خيراً (يوحنا١٢:١). والقائلون بالاستحالة يعرفون هذه الحقيقة كل المعرفة، فقد قال: "يعبر عن الاتحاد باللاهوت بالأكل" (الافخارستيا ص ١١٧). ولذلك فالآية (٥١) ليست إلا إيضاحاً للآيات (٣٤ و ٣٥ و٤٠ و٤٧)، للتنبير على أن الإيمان بالمسيح يجب أن يكون حقيقياً وعملياً مثل الأكل تماماً.

(ج) فإذا أضفنا إلى ذلك (أولا) أن المسيح استعمل فيما سلف كلمتي "الجوع" و"العطش" بالمعنى المجازي أيضاً (ثانياً) أن استعمال كلمة الأكل "بالمعنى المجازي لم يكن غريباً عن اليهود، فقد استعملت في توراتهم بهذا المعنى، إذ قال إرميا النبي (مثلا) لله " وجد كلامك فأكلته " (إرميا١٦:١٥). (ثالثاً) أن تلمودهم نفسه استعمل عبارة "أكل المسيح" بمعنى قبوله بفرح (تفسير إنجيل يوحنا للقس د. ابراهيم سعيد)، أو بالحري الإيمان به بسرور، اتضح لنا أن اليهود لا بد أنهم أدركوا أن الأكل من المسيح هو بعينه الايمان به، وأن الايمان به هو بعينه الأكل منه.

تابع آية ٥١ – والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" – من هذه الآية يتضح لنا أن الوسيلة التي بها يعطينا المسيح جسده لكي تكون لنا الحياة الأبدية، ليست هي تقديمه لنا في أيدينا تحت شكلي الخبز والخمر (كما يعتقد المؤمنون بالاستحالة)، بل هي بذله كفارة من أجل حياتنا وحياة العالم بأسره، ولذلك تكون إفادتنا من جسده ليست بواسطة الأكل منه بأفواهنا تحت شكلي الخبز والخمر كما يعتقدون، بل فقط بواسطة قبول حقيقة بذل نفسه نيابة عنا، أو بالحري بواسطة الايمان القلبي بهذه الحقيقة كما ذكرنا.

آية٥٢ – "فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟" – من هذه الآية يتضح لنا أن خصام اليهود لم يكن راجعاً إلى عدم رغبتهم في الأكل من جسد المسيح أو عدم قدرتهم على الأكل منه (كما يقول المؤمنون بالاستحالة)، بل أن خصامهم هذا كان راجعاً إلى عدم إيمانهم أن المسيح يقدر أن يعطيهم جسده لكي يأكلوه، لأن سؤالهم لم يكن "كيف نقدر (نحن) أن نأكل جسده؟"، بل كان "كيف يقدر (هو) أن يعطينا جسده لنأكل؟".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والآن لنسأل أنفسنا: هل الصعوبة التي قامت أمام اليهود، كان عدم إيمانهم أن المسيح يقدر أن يعطيهم جسده لكي يأكلوه بأفواههم، أم عدم إيمانهم أن المسيح يقدر أن يعطيهم جسده كفارة لكي تكون لهم الحياة الأبدية بواسطة الأكل الروحي منه، أو بالحري بواسطة الإيمان الحقيقي به؟!

الجواب: لا شك أن الصعوبة الثانية التي قامت أمام اليهود، وذلك لسببين:

(الأول) إن المسيح لم يكن قد أنبأ أحداً بعد بشيء عن العشاء الرباني الذي يعتقد القائلون بالاستحالة أنه يتحول إلى المسيح، وأن الأكل منه هو عين الأكل من المسيح، ولذلك على فرض حدوث استحالة في هذا العشاء، لا يكون المسيح قد قصد بحديثه السابق حث اليهود على الأكل من العشاء المذكور، وإلا لكان قد طلب منهم الرجم بالغيب، الأمر الذي يتنـزه عنه كل التنـزيه.

(الثاني) إن اليهود كانوا يدركون أن المسيح لم يقصد بالأكل من شخصه سوى الإيمان به، إذ فضلا عن الأدلة التي تثبت هذه الحقيقة كما ذكرنا في شرح (آية ٥١)، فليس هناك إنسان عاقل لم يسمع عن العقيدة التي تدعى الاستحالة، مثل اليهود وقتئذ، يمكن أن يتسرب إلى ذهنه أن المسيح كان يطلب من الناس أن يمزقوا جسده الذي كان يعيش فيه إذ ذاك، ثم يأكلوه بأفواههم حتى تكون لهم الحياة الأبدية.

آيتا ٥٣ و ٥٤ – "فقال لهم يسوع، الحق الحق أقول لكم، إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" – هذا هو رد المسيح على سؤال اليهود "كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟" – وفي ضوء هذا الرد نقول: لو كان خصام اليهود راجعاً إلى فهمهم أو فهم بعضهم كلمة "الأكل" بالمعنى الحرفي، لكان المسيح قد قال لهم (مثلا) "لا تتخاصموا، فإني سوف أعطيكم جسدي تحت هيئة الخبز (كما يقول المؤمنون بالاستحالة)، حتى تستطيعوا أن تأكلوه بكل سهولة"، وذلك كي يصنع حداً لخصام لا يكون له مبرر أو داعٍ.

لكن رده على سؤالهم المذكور بالقول "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم" لا يعلل إلا بأحد أمرين: (الأول) إما أن المسيح وقف إزاء اليهود موقف العناد والاستفزاز فأضاف إلى وجوب الأكل من جسده، وجوب الشرب من دمه، لكي يزيدهم غضباً وانفعالاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(الثاني) وإما أنه أضاف إلى وجوب الأكل من جسده، وجوب الشرب من دمه، للدلالة على وجوب الإيمان بأن الفادي الذي يبذل دمه كفارة عنهم، كما قال لهم من قبل في الشطر الأخير من (آية ٥١).

أما السبب الأول فغير معروف على الاطلاق، لأن المسيح كان حليما كل الحلم وديعاً كل الوداعة، لا يثير الناس أو يضع العراقيل في سبيلهم. بينما السبب الثاني معقول ومقبول، لأنه لما كان الخلاص هو بواسطة الايمان الحقيقي بكفارة المسيح، التي انفصل فيها دمه عن جسده، كان من البديهي أن يعبر المسيح عن وجوب الايمان بأنه الفادي الذي يكفر عن الخطايا، بوجوب الأكل من جسده والشرب من دمه.

ومما يدل أيضاً على أن السبب الثاني هو المعقول والمقبول معاً، أن اليهود كانوا أثناء حديث المسيح معهم عن التغذي بجسده ودمه، ويستعدون لعمل تذكار خروف الفصح (يوحنا٦: ٤)، وكان من المناسب أن يوجه المسيح أنظارهم وقتئذ إلى شخصه بوصفه الفادي الحقيقي، الذي لم يكن خروف الفصح إلا رمزاً له، حتى كما أفادوا من لحم ودم هذا الخروف مرة في أرض مصر بطريقة مادية، وتمتعوا إذ ذاك بخلاص أرضي وقتي، كان عليهم بالأولى أن يفيدوا من جسد المسيح ودمه بطريقة روحية، لكي يتمتعوا بخلاص سماوي أبدي.

آية ٥٥ – "لأن جسدي مأكل حق (أو حقيقي)، ودمي مشرب حق (أو حقيقي)" – الحق أو الحقيقي هو الذي له وجود فعلي، والذي يكون له وجود فعلي قد يكون مادياً وقد يكون روحياً. فالايمان والتقوى والقداسة كلها أمور حقيقية، ومع ذلك فإنها ليست مادية. والمؤمنون بالاستحالة يعرفون ذلك كل المعرفة، فقد قالوا "الروحيات حقائق" (الافخارستيا ص ٦٦). والحق أو الحقيقي هو أيضاً الدائم أي الذي ليس فانياً أو زائلا. فنحن نقول: "غنى هذا العالم ليس حقيقياً" بمعنى أنه "فان وزائل". وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن قول المسيح "جسدي مأكل حق"، ليس معناه أنه طعام مادي يؤكل بالفم تحت هيئة الخبز (كما يقول المؤمنون بالاستحالة)، بل معناه أنه طعام روحي يدوم تأثيره في النفس إلى الأبد، وذلك بالمقابلة مع الطعام المادي البائد الذي لا بد أن يجوع كل من يأكل منه. وأن قوله "دمي مشرب حق" ليس معناه أنه شراب مادي يشرب بالفم تحت هيئة الخمر (كما يقولون)، بل معناه أنه شراب روحي يدوم تأثيره في النفس إلى الأبد، وذلك بالمقابلة مع الشراب المادي البائد الذي لا بد أن يعطش كل من يشرب منه.

وليس هذا بالأمر الغريب، فالمسيح قال عن نفسه إنه "الكرمة الحقيقية"، وإنه "الخبز الحقيقي"، كما قال عنه الوحي إنه "النور الحقيقي" (يوحنا ١:٩، ٦:٣٢، ١٥:١)، ليس بمعنى أنه شجرة كرمة، أو خبز مصنوع من الدقيق، أو نور من الأنوار الطبيعية أو الصناعية، بل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بمعنى أنه أصل المؤمنين وحاملهم، والقائم بتغذيتهم وإرشادهم في الحياة. ولذلك فإن قول المسيح عن جسده ودمه إنهما "مأكل حق ومشرب حق"، لا يراد به أنهما طعام مادي يؤكل بالفم تحت أي شكل من الأشكال، كما ذكرنا فيما سلف.

آية ٥٦ – "من يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فيّ وأنا فيه" – بما أن ثباتنا في المسيح وثبات المسيح فينا، هو في الواقع تعبير آخر للتمتع بالحياة الأبدية، لأنه ليست هناك حياة أبدية بالانفصال عنه (أعمال ١٢:٤، ١ يوحنا ٥: ١٢). وبما أن الحياة الأبدية (كما اتضح لنا مما سلف)، تتوقف على الإيمان الحقيقي بالمسيح، يكون المراد بالأكل من جسد المسيح والشرب من دمه لأجل الثبات فيه، هو أيضاً عين الإيمان الحقيقي بشخصه. ومما يؤيد ذلك، أن الوحي أعلن بصراحة تامة أن الثبات في الله هو بواسطة الايمان بالمسيح، فقد قال "من اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه وهو في الله" (١ يوحنا ٤: ١٥) (ولا غرابة في ذلك فإن الاعتراف بالمسيح في القرون الأولى كان مصحوباً بالاضطهاد، وليس من المعقول أن يتحمل الاضطهاد إلا من كان مؤمناً حقيقياً)، كما قال "لأنكم بالايمان تثبتون" (٢ كورنثوس ١: ٢٢ – ٢٤)، وقال "إن ثبت فيكم ما سمعتوه من البدء (أو بالحري إن كان لكم إيمان حقيقي)، فأنتم أيضاً تثبتون في الابن وفي الآب" (١ يوحنا ٢: ٢٤).

آية ٥٧ – "كما أرسلني الآب الحي، وأنا حي بالآب، فمن يأكلني يحيا بي" – إن المسيح بوصفه "الابن الأزلي" له حياة ذاتية (يوحنا٥: ٢٦، ١١: ٢٥، أعمال ٣: ٥)، ولذلك فحياته بالآب الوارد ذكرها في هذه الآية يراد بها حياته بوصفه "ابن الانسان"، لأنه بهذا الوصف لم يكن يعمل من نفسه شيئاً (يوحنا ٥: ١٩)، بل كان الآب الحال فيه هو الذي يعمل الأعمال (يوحنا ١٠:١٤).

وحياة المسيح بالآب هي طبعاً بالروح وليس بالجسد، لأن الآب روح ولا جسد له على الإطلاق (يوحنا ٤: ٢٤). وبما أن المسيح أعلن لنا في هذه الآية أن حياتنا به هي على نمط حياته بالآب، يكون أكلنا من المسيح الذي تتوقف عليه حياتنا به، هو بالروح وليس بالجسد، أو بتعبير آخر بواسطة قبوله بالإيمان في النفس، وليس بواسطة أكله بالفم تحت أي شكل من الأشكال.

آية ٥٨ – "هذا هو الخبز الذي نـزل من السماء" – هذه الآية هي خاتمة حديث المسيح عن التغذي بجسده ودمه، ومنها يتضح لنا أنه استعاض عن كلمتي "الجسد" و"الدم" بكلمة "الخبز" وحدها، كما أنه كف عن استعمال عبارات الأكل من جسده والشرب من دمه. وطبعاً لو كان المسيح أراد بالأكل والشرب منهما المعنى الحرفي، لما فعل ذلك على الإطلاق، بل لنبّر ونبّر على وجوب الأكل من الأول والشرب من الثاني إلى النهاية. ولذلك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فقوله في خاتمة هذا الحديث عن نفسه إنه فقط "الخبز" الذي نـزل من السماء، كما قال تماماً في أول الأمر (آية ٣٤)، دليل على أنه لم يقصد بالتغذي من جسده ودمه سوى اتخاذ شخصه حياة للنفس وغذاء روحياً لها كما ذكرنا.

آية ٦١ – "فقال كثيرون من تلاميذه، إن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه؟!" – إن الكلام الصعب الذي لم يقدر هؤلاء التلاميذ أن يسمعوه، لا يمكن أن يكون عن وجوب التناول من جسد المسيح ودمه بالفم (كما يقول المؤمنون بالاستحالة)، لأنه لو كان الأمر كذلك، لما اكتفى التلاميذ المذكورون بالقول "إن هذا الكلام صعب، من يقدر أن يسمعه"، بل لكانوا قد سألوا المسيح قائلين مثلاً:

"كيف تطلب منا أن نأكل لحمك، وأنت انسان نهى الله عن قتله أو ذبحه؟!"

أو كيف تطلب منا أن نشرب دمك، والدم عامة منهى عن شربه؟!". فقد قال الله "كل انسان من بيت إسرائيل ومن الغرباء النازلين في وسطهم يأكل دماً، اجعل وجهي ضد النفس الآكلة للدم وأقطعها من شعبها، لأن نفس الجسد هي في الدم. "فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم، لأن الدم يكفر عن النفس" (لاويين ١٧: ١٠ – ١٤، تثنية ١٢: ١٦: ٢٣).

أو كانوا يقولون: "هل لحمك ودمك يكفيان لنا نحن الحاضرين أمامك!! وإن كانا يكفيان، فماذا يأكل غيرنا من الناس، وعددهم ملايين الملايين، حتى تكون لهم الحياة الأبدية؟! ثم إن أكلنا لحمك، فبأي طريقة من الطرق نأكله، هل نأكله نيئاً أو مشوياً بالنار مثل خروف الفصح؟!"

أو "هل اللحم والدم اللذان يؤخذان بالفم ويذهبان إلى الجوف، يمكن أن يؤهلانا للحياة الأبدية، أم أن حفظ الناموس هو الذي يؤهلنا لهذه الحياة. كما تعلمنا من الكتبة والفريسيين؟!"

أو بغير ذلك من الأسئلة التي تخطر ببال أشخاص لم يسمعوا عن العقيدة التي تدعى الاستحالة، حتى يعرفوا السبيل الحقيقي للحصول على الحياة الأبدية، هذا السبيل الذي يشتاق إلى معرفته بالتدقيق كل من تهمه الحياة المذكورة.

وإذا كان ذلك كذلك، يكون الكلام الصعب الذي لم يقدر هؤلاء التلاميذ أن يسمعوه، هو قول المسيح عن نفسه في آخر حديثه السابق (آية ٥٨)، إنه "نـزل من السماء"، لأنهم كانوا يعتبرون قوله هذا تجديفاً شنيعاً. ومما يثبت ذلك أننا رجعنا إلى تاريخ المسيح، نجد أن الموضوع الوحيد الذي كان اليهود لا يستطيعون سماعه منه، وفي الوقت نفسه كانوا لا يستطيعون تخطئته فيه، هو شهادته عن نفسه أنه "ابن الله النازل من السماء"، لأن أعماله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تدل على صدقها. ولذلك نرى أنهم دون بحث أو مناقشة حاولوا مرتين أن يرجموه بالحجارة (يوحنا ٨: ٥٨، ٥٩ ١٠: ٣٠ – ٣٦). كما حاولوا قبل ذلك أن يقتلوه[١٥] (يوحنا ٥:١٧،١٨).

وعند الصليب نرى أن الموضوع الوحيد الذي كان يصعب عليهم سماعه من المسيح، هو شهادته عن نفسه بأنه "ابن الله" حتى أن رئيس كهنتهم ضاق به ذرعاً، ومزق ثيابه وصرخ لهم قائلاً: "قد جدف ". فأجابوه على الفور: "إنه مستوجب الموت". ومن ثم أخذوه وقادوه إلى الصليب (مرقس ١٤: ٦٤ – ٦٦)، الأمر الذي يدل على أن الكلام الصعب الذي لم يقدروا أن يسمعوه من المسيح في (يوحنا ٦)، كان هو شهادته عن نفسه انه ابن الله النازل من السماء، لكي يهب الحياة الأبدية لكل من يؤمن به كما ذكرنا.

ومما تجدر الإشارة اليه في هذه المناسبة، أن تسليم المسيح للصلب، لم يكن رغماً عنه بل كان بإرادته وحده، فقد كانت حياته ملكاً خاصاً له، وما كان لأحد أن ينتزعها منه بأي شكل من الأشكال (يوحنا ١٠:١٨) ولذلك نقرأ في الإنجيل أنه هو الذي أسلم نفسه للجند بمحض إرادته (يوحنا ١٨: ٨ -٩)، عندما رأى أن ساعته قد جاءت لكي يتمم مشيئة الله التي أتى إلى العالم من أجلها. وقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة فقال لليهود عن المسيح "هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق (أي ليس بمشيئة الاسخريوطي أو اليهود أو الرومان) وبأيدي أثمة صلبتموه" (أعمال ٢: ٢٣).

آيتا ٦١ و ٦٢ – فقال لهم "أهذا يعثركم؟ فان رأيتم ابن الانسان صاعداً إلى حيث كان أولاً..." – هذا هو رد المسيح على قول تلاميذه "هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه". وفي ضوء هذا الرد نقول: لو كانت الصعوبة التي قامت أمامهم خاصة بكيفية الأكل من جسد المسيح والشرب من دمه بالمعنى الحرفي (ولهم العذر في ذلك، فالدم عامة منهى عن شربه، والبشر منهى عن قتلهم وأكل لحمهم، فضلا عن ذلك فإنهم لم يكونوا قد سمعوا مطلقاً عن العقيدة التي تدعى الاستحالة، كما ذكرنا فيما سلف)، لما كان المسيح أجابهم بهذه الإجابة، بل كان قد قال لهم (مثلاً) "لا يصعب عليكم قبول كلامي، فإني سوف أعطيكم جسدي ودمي تحت شكلي الخبز والخمر (كما يعتقد القائلون بالاستحالة)". وذلك كي يهدأ تلاميذه ويواصلوا السير معه، لأجل خيرهم وخير الآخرين معهم.

لكن رده عليهم بالقول المحذوف منه جواب الشرط "أهذا يعثركم؟ فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولا..."، دليل على أنه أراد بحديثه السابق أن يؤمنوا أنه نـزل من السماء كما قال لهم من قبل في (آية ٥٨). ولا غرابة في ذلك، فالقاعدة العامة هي أن الفعل المقدر في جواب الشرط، يجب أن يكون متوافقاً مع سياق الحديث. وبما أن

[١٥] - أما السبب في عدم إساءة اليهود للمسيح عند حديثه الوارد في (يوحنا ٦), فيرجع (كما أرى) إلى أنهم كانوا لا يزالون تحت تأثير الخبز والسمك اللذين أشبعهم بهما, ولذلك اكتفوا بالتذمر عليه, والنفور من سماع شهادته عن نفسه كما ذكرنا أعلاه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحديث السابق كان عن نـزول المسيح من السماء، يكون فعل "النـزول" هو المقدر في جواب الشرط المذكور، لأن حذف المعلوم جائز. وبذلك تكون تكملة الآية التي نتحدث عنها هي "... فإن العثرة ستزول من أمامكم وتؤمنون أني نـزلت من السماء، كما قلت لكم من قبل".

ومما يثبت ذلك أنه عندما قام المسيح من الأموات آمن كثير من اليهود بأنه حقاً ابن الله الذي نـزل من السماء (يوحنا ٢:٢٢، رومية١:٤)[١٦]

آية ٦٣ – "الروح هو الذي يحيي. أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" – سواء أكان المراد بـ "الروح" هنا، "الروح القدس" أم الروح البشرية (لأن اللغة اليونانية القديمة التي كتب بها الكتاب المقدس في أول الأمر (مثل اللغة العربية لدينا) ليست بها حروف كبيرة (cabital letters)، حتى يمكن التفرقة من الناحية الكتابية بين أسماء الأعلام والأسماء العامة المشابهة لها في الهجاء. فكلمة "الروح" ترد في هذه الآية وفي غيرها من الآيات، مبدوءة بحرف صغير (small letter)، ولذلك فإنها بحسب رسمها الكتابي، تعني "الروح القدس" كما تعني "الروح البشرية")، وسواء أكان المراد بـ "الجسد" هنا، "الطبيعة البشرية" أم "الجسد المادي" لأنه أتى بالمعنى الأول في (غلاطية ٥: ٢٤) وبالمعنى الثاني في يهوذا ٩)، فإن قول المسيح في هذه الآية إن كلامه هو روح وحياة، يدل على أن حديثه عن كونه ابن الله النازل من السماء، الذي يجب أن نتغذى به، هو حديث روحي لا مادي، وأننا إذا قبلنا شخصه في قلوبنا، يكون روحاً وحياة لنا.

أما قول بعض المفسرين الذين لا يؤمنون بالاستحالة (إن الجسد في هذه الآية يراد به "جسد المسيح"، لأن هذا الجسد لا يفيد أرواحنا بشئ إذا أكلناه بالفم)، فليس بصواب. لأنه وإن كان السبب الذي ذكروه لا شك في صدقه على الاطلاق (لأن إفادتنا من المسيح لا تكون بواسطة الأكل منه بأفواهنا (تحت أي شكل من الأشكال) بل بواسطة قبوله بالايمان في قلوبنا)، غير أنه نظراً لأن المسيح لم يتكلم قط عن الأكل من جسده بالمعنى الحرفي، ولا اليهود فهموا أنه كان يتكلم عن الأكل منه بهذا المعنى كما اتضح لنا مما سلف، لذلك لا يكون قد قصد بـ "الجسد" هنا، جسده الذي كان يعيش فيه وقتئذ.

[١٦] ذهب بعض المفسرين إلى أن جواب الشرط هنا تقديره: "فإن الصعوبة تزداد أمامكم".. ويغلب على الظن أنهم ذهبوا إلى ذلك لأنهم أخذوا الآية التي نحن بصددها كأنها (فماذا يكون موقفكم, أو كيف يكون موقفكم إن رأيتم...؟). ولكن كلمتي "ماذا" و"كيف" المذكورتين ليس لهما أساس في الأصل اليوناني. فضلاً عن ذلك فإن رؤية اليهود للمسيح وهو صاعد إلى السماء لا تزيد أمامهم الصعوبة من جهة الإيمان بأنه ابن الله النازل من السماء, بل تزيد هذه الصعوبة من أمامهم تماماً كما ذكرنا. أما القول إن جواب الشرط المحذوف هو "فإنكم سوف تقبلون أن تأكلوا جسدي وتشربوا دمي" (الافخارستيا ص ٣٩), فليس بصواب على الإطلاق, لأن المسيح لم يكن قد ذكر لليهود من قبل شيئاً عن العشاء الرباني (الذي يقول المؤمنون بالاستحالة إنه يتحول إلى ذات جسد المسيح ودمه). ولذلك لا يعقل أن حديثه وقتئذٍ كان خاصاً بهذا العشاء, لأن المسيح لا يطلب من الناس الرجم بالغيب كما ذكرنا فيما سلف.

 All rights reserved © 2008-2018

ثالثاً – الآيات الأخيرة التي تنص على وجوب الايمان بالمسيح

الآية ٦٤ – "ولكن منكم قوم لا يؤمنون" – لو كان المسيح قصد بحديثه السابق المعنى الحرفي له، لكان قد قال لليهود "لكن منكم قوم يرفضون الأكل من جسدي والشرب من دمي".أما قوله "لكن منكم قوم لا يؤمنون"، لا يترك مجال للشك في أنه قصد بحديثه المذكور المعنى المجازي أو الروحي، الذي هو الايمان الحقيقي بشخصه كما ذكرنا.

آية ٦٥ – "لأن يسوع من البدء علم من هم الذين يؤمنون، ومن هو الذي يسلمه" – وهذه الاشارة من جانب يوحنا الرسول تُرينا أيضاً أن المسيح قصد بحديثه السابق المعنى الروحي الذي ذكرناه. لأنه لو قصد المعنى الحرفي، لقال يوحنا "لأن يسوع من البدء علم من هم الذين يقبلون الأكل من جسده والشرب من دمه، ومن هو الذي يرفض"، وليس "من هم الذين يؤمنون، ومن هو الذي يسلمه".

آية ٦٦ – "من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه" – لو كان المسيح قصد بحديثه المذكور المعنى الحرفي، لقال لتلاميذه المذكورين عندما أخذوا في الانصراف عنه "لا ترجعوا إلى الوراء، فإني لا أطلب منكم أن تأكلوا جسدي وتشربوا دمي اللذين ترونهما الآن، بل اني سوف أعطيكم إياهما تحت شكلي الخبز والخمر (كما يقول المؤمنون بالاستحالة)، حتى تستطيعوا أن تأكلوا الأول وتشربوا الثاني دون نفور أو اشمئزاز". وذلك ليس من باب الشفقة والعطف عليهم فحسب، بل وأيضاً من باب المصادقة على أقوال التوراة، التي تنهي عن شرب الدم وأكل اللحم البشري.

وبما أن المسيح لم يتصرف هذا التصرف، أو قام بأي محاولة للإبقاء على تلاميذه المذكورين، فلا بد إذاً من التسليم بأحد أمرين:

(الأول) إما أن المسيح كان يسعى لإثارة نفوس تلاميذه وتضليلها دون مبرر أو داعي.

(الثاني) وإما أنه قصد بحديثه السابق المعنى الروحي، الذي هو الإيمان بشخصه رباً وفادياً، وأن تلاميذه فهموا أنه يقصد هذا المعنى بعينه كما ذكرنا في شرح (آية ٥١).

لكن السبب الأول غير معقول أو مقبول، إذ أن المسيح كان عطوفاً كل العطف وشفوقاً كل الشفقة على تلاميذه وغير تلاميذه، بينما السبب الثاني معقول ومقبول، لأنه لما كانت الحياة الأبدية تتوقف أولا وأخيراً على الإيمان بالمسيح رباً وفادياً (كما ذكرنا فيما سلف)، كان من البديهي ألا يعبأ المسيح بانصراف تلاميذه عنه، لأن عدم إيمانهم به بهذا الوصف يجعلهم غير مهيئين للافادة منه، سواء أبقوا معه أم انصرفوا عنه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

آية ٦٧ – "فقال يسوع للاثني عشر (رسولاً) ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا؟!" – لو كان المسيح قصد بحديثه السابق المعنى الحرفي له، وأبى أن يفسره لليهود ولتلاميذه السابق ذكرهم لسبب من الأسباب، هل كان يخفي تفسيره عن رسله الاثني عشر، لا سيما وقد أخذوا هم أيضاً في الانصراف عنه مثل غيرهم؟ الجواب: طبعاً كلا، لأن هؤلاء الرسل دون غيرهم من التلاميذ، هم الذين قربهم إليه بصفة خاصة، وأعدهم بشتى الوسائل لنشر رسالته في العالم، كما أعلن لهم من قبل، أن لهم دون غيرهم قد أعطيت معرفة أسرار ملكوت السماوات (متى ١٣: ١١). إذاً فعدم صدور كلمة واحدة من المسيح إلى رسله وقتئذ، تدل على أنه سيعطي جسده ودمه تحت شكلي الخبز والخمر، وتركه إياهم لكي ينصرفوا عنه إذا شاءوا، كما انصرف غيرهم، دليل أيضاً على أنه قصد بحديثه السابق المعنى الروحي له، وهو الإيمان بشخصه رباً وفادياً، لأن عدم الإيمان به بهذا الوصف، يجعلهم مثل غيرهم من اليهود غير مهيئين للإفادة منه، سواء أبقوا معه أم انصرفوا عنه.

آية ٦٩ – "فأجاب سمعان بطرس: يا رب إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي" – ومن هذه الاجابة يتضح لنا أن الحقيقة التي رفض اليهود قبولها هي (كون المسيح هو ابن الله الحي النازل من السماء، لكي يهب الحياة الأبدية للذين يؤمنون به)، لأنه لو قصد المسيح بحديثه السابق وجوب الأكل من جسده والشرب من دمه بالمعنى الحرفي (تحت أي شكل من الأشكال)، لما اكتفى بإجابة سمعان هذه، لأنها تكون حينئذ خارجة عن الموضوع، بل وتكون تهرباً من الاستجابة لما كان المسيح يطلبه منه ومن غيره من اليهود. لكن المسيح رضي بإجابة سمعان هذه كل الرضى، ولم يحاول أن يأخذ إقراراً آخر منه بقبول الأكل من جسده (أي جسد المسيح) والشرب من دمه، وهذا دليل ليس بعده دليل على أن إجابة سمعان هذه، هي ما كان المسيح يتطلبها من اليهود أثناء حديثه معهم عن الأكل من جسده والشرب من دمه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣

الاعتراضات الموجهة ضد الشرح السابق والرد عليها

١- لما قال اليهود للمسيح "يا سيد اعطنا في كل حين هذا الخبز".

(آية ٣٤)، لم يجبهم بالقول إن الإيمان به هو ذلك الخبز، بل بالقول إنه نفسه هو الخبز المذكور، ولذلك يكون شخصه وليس الإيمان به، هو خبز الحياة (الافخارستيا ص ٨٥)

الرد: إننا لا نقول إن الإيمان هو خبز الحياة، بل نقول إنه السبيل للتمتع بخبز الحياة. أما خبز الحياة، فهو المسيح وحده، كما ذكرنا في شرح آيتي (٣٤ و ٣٥)، ولذلك ليس هناك مجال لهذا الاعتراض.

٢ – إن المسيح قال عن نفسه "هذا هو الخبز الذي نـزل من السماء لكي يأكل منه الإنسان"، ولم يقل "لكي يؤمن به الإنسان"، وهذا دليل على أن المسيح طلب من سامعيه أن يأكلوا من شخصه، لا أن يؤمنوا به فقط (الافخارستيا ص ٨٨).

الرد: لما شبّه المسيح نفسه بالخبز، اقتضى التعبير أن يستعمل كلمة "الأكل" بدلا من كلمة "الإيمان" لأن الخبز الذي شبه نفسه به، يؤكل ولا يؤمن به، وليست هذه أول مرة يستعمل المسيح فيها هذا الأسلوب، فإنه عندما شبه نفسه بالباب، لم يقل "إن آمن بي آحد فيخلص"، بل قال" إن دخل بي أحد فيخلص" (يوحنا ١٠: ٩). وعندما شبه نفسه بالكرمة، "إن كان أحد لا يؤمن بي يطرح خارجاً"، بل قال "إن كان أحد لا يثبت في يطرح خارجاً" (يوحنا ١٥: ٦). الأمر الذي يتناسب مع تشبيه نفسه بالباب والكرمة.

٣ – إن المسيح تحدث عن وجوب الايمان بشخصه في (آية ٢٩). ثم انتقل بعد ذلك إلى موضوعه الرئيسي، وهو سر العشاء الرباني، فتحدث عنه في الآيات (٣٢ – ٤٢)، ولذلك فقوله بعد ذلك، إن "كل من يرى الآب ويؤمن به، تكون له حياة أبدية"(آية ٤٧). هو قول عرضي، أراد به حث اليهود على الإيمان به، لكي يتهيئوا للتناول من العشاء الرباني الذي هو ذات جسده ودمه (الافخارستيا ص ٨٦ - ٨٨).

الرد: إن المسيح لم يكن يتحدث عن موضوعين. بل عن موضوع واحد هو الإيمان بشخصه، لأنه لم يقل مطلقاً لسامعيه أن يؤمنو به وأن يأكلوا منه (باستعمال حرف العطف "واو")، وكل ما في الأمر أنه كان يشبه هذا الإيمان بالأكل من جسده والشرب من دمه، للدلالة على وجوب قبول شخصه رباً وفادياً في النفس، مثل قبول الطعام في الجوف، كما ذكرنا في شرح الآيات (٥١ – ٥٣). فضلا عن ذلك، فليست (آية ٤٧) وحدها التي تنص على وجوب الإيمان بالمسيح في (يوحنا ٦)، حتى كان يجوز القول إنها عرضية، بل ان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الآيات التي تنص في هذا الاصحاح على وجوب الإيمان بشخصه كثيرة، كما أن بعضها ورد بعد الانتهاء من عبارات الأكل من جسد المسيح والشرب من دمه كما اتضح لنا من شرح الآيات (٦٤ – ٦٦)، الأمر الذي يدل على أن حديث المسيح من أوله إلى آخره، كان عن وجوب الإيمان به كما ذكرنا.

٤ – إن المسيح كان يتحدث مع سامعيه عن وجوب القيام بمفهومين (الأول) هو الأكل من جسده، و(الثاني) هو الشرب من دمه. وهذا دليل على أنه قصد بحديثه معهم سر العشاء الرباني، لأنه لو قصد بحديثه المذكور أن يؤمنوا به، لطلب منهم القيام بمفهوم واحد، لأن الإيمان شيء واحد (الدرة البهية ص ١٠٠).

الرد: ان المسيح كان يطلب من سامعيه لا أن يؤمنوا فقط بأنه ابن الله النازل من السماء، بل وأيضاً بأن الفادي لنفوسهم كما ذكرنا في شرح الآيات (٦٣ – ٥٥). وبما أنه لم يكن من الممكن أن يصبح فادياً إلا إذا بذل نفسه فدية (أو بالحري إلا إذا انفصل دمه عن جسده لأنه مكتوب "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة")، كان من البديهي أن يعبر عن وجوب الايمان بأنه الفادي بمفهومين، هما الأكل من جسده والشرب من دمه.

٥ – إن الفعلين "أعطى" و"أبذل" الواردين في الآية "الخبز الذي أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يوحنا ٦: ٥١)، يردان في الأصل اليوناني في صيغة الاستقبال. وهذا دليل على أن المسيح قصد بحديثه الوارد في (يوحنا ٦)، العشاء الرباني وليس الايمان بشخصه، لأن هذا العشاء هو الذي كان عتيداً أو يقدمه في المستقبل. أما موضوع الإيمان بشخصه فكان يقدمه لسامعيه أثناء حديثه المذكور. وكان من الواجب عليهم أن يؤمنوا به وقتئذ (الافخارستيا ص ٨٤ و٨٩ و٩٢).

الرد: إن الفعلين اللذين يثبتان سواء أكان حديث المسيح خاصاً بالتناول من العشاء الرباني،أم الإيمان بشخصه، ليسا هما "أعطى" و"أبذل"، بل هما "يأكل" "ويشرب" (لأنهما هما اللذان يحددان أن موقف اليهود إزاء المسيح وقتئذٍ)، وهذان الفعلان يردان في الأصل اليوناني، ليس في صيغة الاستقبال بل في صيغة الحاضر. فالمسيح لم يقل "من سوف يأكل من جسدي ويشرب دمي، سوف تكون له الحياة الأبدية"، بل قال "من يأكل جسدي (الآن) ويشرب دمي (الآن) فله (الآن) حياة أبدية".

وبما أن العشاء الرباني لم يكن قد عمل بعد، إذاً ليس من الجائز أن يقال إن المسيح طلب من اليهود وقتئذ أن يتناولوا هذا العشاء لكي تكون لهم حياة أبدية. وإذا كان الأمر كذلك فإن حديثه الوارد في (يوحنا ٦) لا يكون خاصاً بالعشاء المذكور، بل بالايمان بشخصه كما ذكرنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن الفعلين "أعطى" و"أبذل" ليسا خاصين بالعشاء الرباني (كما يقول المؤمنون بالاستحالة)، بل إنهما خاصان بتقديم المسيح نفسه كفارة على الصليب. ومما يثبت هذه الحقيقية أن المسيح قال في هذه العبارة" الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي (سوف) أبذله من أجل حياة العالم"، والذي بذله المسيح من أجل حياة العالم، لم يكن الخبز الذي أعطاه لتلاميذه في العشاء الرباني (لأن هذا الخبز أكله التلاميذ ونـزل إلى جوفهم)، بل جسده الذي كان يعيش فيه وقتئذ. ونظراً لأن المسيح لم يكن قد بذل جسده بعد عند حديثه الوارد في (يوحنا ٦)، كان من البديهي أن يستعمل الأفعال الخاصة بالبذل في صيغة الاستقبال، ولذلك ليس هناك مجال لهذا الاعتراض على الاطلاق.

٦ – لو كان حديث المسيح الوارد في (يوحنا ٦) خاصاً بالايمان بشخصه، لترتب على ذلك أن الإثني عشر رسولا لم يكونوا قد آمنوا بالمسيح إلى ذلك الوقت، والحال أنهم كانوا قد آمنوا به من قبل كما جاء في (متى ٢١:٣٢) (الافخارستيا ص ٧٥).

الرد: إن جميع الذين كانوا يؤمنون أن المسيح هو ابن الله حتى ساعة هذا الحديث، كانوا يؤمنون أنه فقط ابن الله[١٧] بمعنى المسيا أو الشخص المعين من الله للقضاء على الأشرار، ثم الملك على الأرض والسلام فيها (لوقا ٢٤: ٢١)، وذلك بناء على ما جاء في (مزمور ٢ وأشعياء ٢، ٤، ٩،١١،٤٠ ودانيال ٧،٩ وميخاه٥،٤ وحجى ٢ وزكريا ٦)، وليس أيضاً بمعنى البن الأزلي النازل من السماء لكي يعطي حياة أبدية للذين يؤمنون به. لأن الايمان بالمسيح بهذا الوصف كان بعيداً كل البعد عن أذهانهم، ولم يكن لأحد أن يدركه إلا بإعلان خاص من الله (متى ١٦: ١٧). ولكن عندما قام المسيح من بين الأموات نبرهن للناس أنه حقاً ابن الله كما قال (رومية ١:٤). وكان أول من منَّ بوعي وحق أن المسيح هو ابن الله، بمعنى "الابن الأزلي" أو بمعنى "الله معلناً" هو توما الرسول، وذلك عندما صاح قائلاً للمسيح: "ربي وإلهي" (يوحنا ٢٠: ٢٨).

كما أنه لم يكن آمن أحد من اليهود حتى ساعة الحديث المذكور، أن المسيح هو الفادي الذي أتى ليبذل نفسه فدية عن العالم. فبطرس نفسه كان لا يصدق هذه الحقيقة، بل وكان يعارض المسيح بشأنها أشد المعارضة، حتى استحق أن يقول له المسيح "اذهب عني يا شيطان" (متى ١٦: ٢١ – ٢٣). ولذلك اقتضى الأمر أن يطلب المسيح من تلاميذه

---

[١٧] يدعى المسيح ابن الله في الكتاب المقدس بمعنيين:
(الأول): بمعنى المعلن لله ومقاصده أزلا (يوحنا ١: ١-٥، ١٨ وعبرانيين ١: ٣ وكولوسي ١: ١٥).
(الثاني): بمعنى المولود من العذراء لإعلان نعمة الله للناس في العالم (لوقا ١: ٣٥).
أما القول بأن المسيح يدعى ابن الله لأنه مولود من الآب قبل كل الدهور، ولادة الأشعة من النور) فليس بصواب، لأن هذا القول فضلا عن أنه ليس له أساس في الكتاب المقدس، فهو ينفي أقنومية "الابن" القائمة بذاتها منذ الأزل، كما يجعل الله مركباً. لأن صدور كائن من كان آخر دليل على أن الكائن الثاني مركب، والحال أن الله لا تركيب فيه على الإطلاق (لأن المركب حادث والله ليس بحادث). ولذلك فالصواب أن يقال (إن المسيح موجود مع الآب قبل كل الدهور وليس مولوداً منه قبلها)، كما أعلن الوحي (يوحنا ١:١). كما أن القول (إن الابن مساو للآب في الجوهر) ليس بصواب لأن هذا القول يجعل للابن جوهراً مستقلاً عن جوهر الآب، والحال أن جوهرهما واحد وهو اللاهوت، ولذلك فالصواب أن يقال (إن الابن واحد مع الآب في الجوهر).
(١) تحدثنا عن هذه الحقيقة بالتفصيل في كتاب "الله – ذاته ونوعه وحداثته"، فليرجع إليه القارئ إذا أراد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وجميع اليهود على السواء عند حديثه الوارد في (يوحنا ٦)، أن يؤمنوا أنه ليس فقط ابن الله النازل من السماء، بل وأيضاً الفادي الذي يبذل نفسه فدية من أجلهم ومن أجل غيرهم من البشر. ولو كانوا قد درسوا التوراة دراسة دقيقة لعرفوا هذه الحقيقة، لأن التوراة لم تتنبأ فقط عن بنوة المسيح لله وملكه على الأرض، بل وأيضاً عن موته كفارة عن البشرية (انظر أشعياء ٥٣ ومزمور ٢٢، ٦٩ وزكريا ١٢). وكان من الواجب أن يقوم المسيح بالفداء قبل الملك، لأنه لا معنى لملكه على الأرض قبل التكفير عن الخطية والقضاء على شوكتها. لكن اليهود عامة غضوا النظر عن ضرورة الفداء وحصروا أفكارهم في الملك وحده، ولذلك لم يقبلوا المسيح عندما أتى إليهم للخلاص من عقوبة الخطية وسلطانها.

٧ – لو أن المسيح أراد بوجوب الأكل من جسده والشرب من دمه المعنى الحرفي، الذي هو الايمان بشخصه، لكان قد قال ذلك للناس بصراحة حتى لا يتذمروا أو يتخاصموا. وبما أنه على العكس كان يصر المرة بعد الأخرى على وجوب الأكل من جسده والشرب من دمه، إذاً لا بد أنه كان يقصد بحديثه معهم المعنى الحرفي (الافخارستيا ص ٣٧).

الرد: فضلا على أن تذمر اليهود وخصامهم لم يكونا راجعين إلى فهمهم أو فهم بعضهم حديث المسيح بالمعنى الروحي، كما اتضح لنا من شرح الآيات (٥١ – ٦١). نقول: إن مطالبة الناس بأمر جديد دون شرحهم له إذا تعذر عليهم إدراك كيفية القيام به، لا يعتبر من الصواب في شيء. وإذا كان الأمر كذلك، وفرضنا أن المسيح كان يأمر سامعيه أن ياكلوا من جسده ويشربوا من دمه بالمعني الحرفي، وأن سامعيه فهموا أنه يقصد هذا المعنى بعينه، لكن تعذر عليهم إدراك كيفية تنفيذه عملياً (ولهم العذر في ذلك، كما ذكرنا في شرح آية ٦١)، يكون إصرار المسيح على أمره في هذه الحالة، ليس (والعياذ بالله) من الصواب في شيء. إذ أن مهمته كمعلم صالح كانت تتطلب منه وقتئذ أن يعلن لهم أنه سيعطيهم جسده ودمه تحت شكلي الخبز والخمر (كما يقول المؤمنون بالاستحالة). وبما أنه لم يعلن لسامعيه شيئاً من ذلك، يكون قد قصد بالأكل من جسده والشرب من دمه, الإيمان بشخصه رباً وفادياً، ويكون سامعوه أيضاً قد أدركوا أنه يقصد هذا المعنى بعينه كما ذكرنا في شرح آيتي (٥٣ و ٥٤). وفي هذه الحالة يكون له الحق وكل الحق أن يصر على أمره وألا يتراجع عنه إطلاقاً.

٨ – إن السبب في تحريم شرب الدم يرجع إلى أنه يثير الشهوة البهيمية ويدفع شاربيه إلى التهور والمعصية.كما أنه ليست هناك نسبة تجمع بين شرب دم الحيوان وشرب دم المسيح الذي يجعل شاربيه أشخاصاً روحيين وملائكة قديسين!! ولذلك يكون المسيح قد قصد بالشرب من دمه المعنى الروحي (الرد على العشاء الرباني ص ٥٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرد (أ) إن الكتاب المقدس يعلن لنا أن تحريم شرب دم الحيوان، لا يرجع إلى أنه يثير الشهوة البهيمية كما يقول صاحب هذا الاعتراض، بل إلى أن الله جعله كفارة عن النفس كما ذكرنا في الفصل السابق، وشهادة الكتاب المقدس أصدق من شهادة الناس جميعاً. فضلا عن ذلك، فاننا إذا تناولنا بأفواهنا دم المسيح (تحت أي شكل من الأشكال، كما يقول المؤمنون بالاستحالة) يكون في هذه الحالة طعاماً مادياً، والطعام المادي لا يفيد إلا الأجساد.

(ب) أما الكيفية التي يجعلنا الله بها أشخاصاً روحانيين، وأفضل من ملائكة قديسين (إن كان هناك مجال للمقارنة)، فهي بواسطة حلول المسيح بالإيمان في نفوسنا، كما يتضح من (أفسس ٣: ١٧)، لأن الخطية التي نشكو منها ونريد التسامي فوقها، ليست في أجسادنا بل في نفوسنا (والدليل على ذلك أن يد اللص (مثلا) لا تفرق في شئ عن يد الرجل الأمين من حيث التركيب الجسماني لها، لكن الفرق بين اللص وبين الأمين، ينحصر في أن نفس الأول غير أمينة، ولذلك توحي إليه بالسرقة، أما نفس الثاني فأمينة، ولذلك توحي إليه بالأمانة) – هذا، وقد نادى كثير من القديسين بأن علاج النفس هو علاج روحي محض. فيوحنا فم الذهب (مثلا) قال إن الصلاة (أو بالحري العلاقة الروحية المباشرة من الله) هي الغذاء الروحي الذي يصير المؤمن شبيهاً بالنورانيين (مواعظ ص٢٠٤).

(ج) أما قول المؤمنين بالاستحالة إن العشاء الرباني يقوم بهذه المهمة، لأنه يصبح بواسطة الروح القدس في جوف المؤمنين طعاماً لطيفاً ينفذ إلى أعضائهم ويتحد بها، وبذلك يطهرهم ويمحو خطاياهم (الافخارستيا ص ١٨، ١٢٨ – ١٣١)، فلا يجوز الأخذ به لأن الكتاب المقدس يعلن لنا بكل جلاء ووضوح أن ثمن الغفران هو دم المسيح الذي سفك مرة على الصليب، وأن السبيل للحصول على هذا الغفران هو الإيمان الحقيقي، كما يظهر لنا أن التطهير بمعنى التخلص من الخطية والتسامي فوقها، هو بحلول المسيح روحياً بالإيمان في النفس كما ذكرنا.

ومع كل، فإن القائلين بالاستحالة قد نقضوا قولهم السابق، إذ ذكروا بعده مباشرة (أنه قبل تحول العشاء الرباني في المعدة، يصعد اللاهوت المتحد به، كما صعد المسيح مرة إلى السماء)، وما دام الأمر كذلك، لا تكون لهذا العشاء فائدة عملية لديهم من جهة التطهير والتسامي فوق الخطية، لأن اللاهوت المتحد بالعشاء الرباني (كما يقولون) والعامل في هذا التطهير والتسامي، لا يستقر فيهم بل يتركهم ويصعد إلى السماء. أما الحق الكتابي الكامل، فهو أنه إذا فتح الإنسان قلبه لله، وعاش بالإيمان معه، فإن الله لا يتركه على الاطلاق.

٩ – إن المسيح قال "جسدي مأكل حق" – هذه شهادة، والشهادة يجب أن تكون خالية من المجاز لئلا يكون هناك مجال للاختلاف في معناها. وقال "من يأكل جسدي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويشرب دمي، فله حياة أبدية" وهذا ميثاق، والميثاق يجب أن يكون خالياً من المجاز لئلا يكون هناك مجال للتنازع بين المتعاقدين (الدرة البهية ص٣٠).

الرد: المجاز ليس لغزاً من الألغاز حتى يجب تجنبه في الأمور الهامة، بل بالعكس هو إظهار الحقائق المعنوية في أساليب محسوسة مفهومة. فلما قال المسيح عن نفسه "أنا نور العالم" و"أنا هو الراعي الصالح" و"أنا هو الطريق" و"أنا الكرمة وأنتم الأغصان"، لم يلق على كلامه شيئاً من الغموض أو الإبهام، بل بالعكس صاغ المعاني الروحية في أساليب محسوسة مدركة معانيها كل الإدراك. وعلى هذا النسق تماما، عندما قال: "جسدي مأكل حق" و "من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية"، أعلن لنا بأسلوب مدرك مفهوم، المعنى الحقيقي لكيفية قبولنا إياه أو إيماننا به. إذ أن السواد الأعظم من الناس، ومن بينهم كثير من الذين يقولون إنهم مسيحيون، يجهلون هذا المعنى جهلا تاماً، لأنهم يعتقدون أن الايمان بالمسيح، معناه مجرد الانتساب إليه أو تصديق رسالته، والحال أن الايمان به هو قبول شخصه في النفس مثل قبول الطعام في الجوف تماماً (يوحنا ١: ١٢). فإذا أضفنا إلى ذلك، أن اليهود أدركوا حق الادراك أن المسيح لم يقصد بحديثه معهم المعنى الحرفي كما ذكرنا، اتضح لنا أن هذا الاعتراض لا مجال له على الاطلاق.

١٠ – إن أكل اللحم البشري بالمعنى المجازي، يرد في الكتاب المقدس بمعنى الوقية والمذمة وعمل البشر. فمكتوب: "ألم يعلم كل فاعلي الإثم الذين يأكلون لحم شعبي كما يأكلون الخبز والرب لم يدعوا" (مزمور ١٤:٤). ولذلك لا يعقل إطلاقاً أن يكون المسيح قد قصد بالأكل من جسده والشرب من دمه المعنى (أسرار الكنيسة السبعة ص ٨٤).

الرد: إن كان الأكل من لحم الناس بالمعنى المجازي يعتبر سلباً لأموالهم أو نهشاً لأغراضهم، أو... أو...، فهل يعتبر الأكل من لحمهم بالمعنى الحرفي محبة لهم أو عطفاً عليهم؟! الجواب: طبعاً كلا. وإذا كان الأمر كذلك، فلا مجال للقول إن التناول من جسد المسيح ودمه يجب أن يكون بالمعنى الحرفي تحت أي شكل من الأشكال – فضلا عن ذلك، فإن أفعال الأكل والشرب، والذوق أيضاً، كثيراً ما تستعمل في الكتاب المقدس مجازاً بمعنى التغذية والارتواء والمتعة الروحية. فقد قال إرميا النبي مرة لله "وجد كلامك فأكلته، فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي" (ارميا ١٥: ١٦). وقال المسيح: "إن عطش أحد، فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي" (يوحنا ٧: ٣٨). وعلى هذا القياس يجب أن نفهم حديث المسيح عن الأكل من جسده والشرب من دمه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٤

أدلة تاريخية وعقلية تؤيد الشرح السابق ذكره

أولا – الأدلة التاريخية

١ – إن علماء المسيحيين في القرون الأولى نادوا بأن حديث المسيح عن التغذي بجسده ودمه في (يوحنا ٦)، يراد به المعنى المجازي، أو بالحري الايمان القلبي بشخصه. فمن المأثور عن يوسابيوس القيصري أنه قال في شرح للآية "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة": "كأن المسيح يقول لتلاميذه، لا تظنوا أني أتكلم معكم عن الجسد الذي أنا حامله، كأن هذا يجب أن يؤكل. ولا تظنوا أني أقدم لكم دمي المادي لكي تشربوه. لكن أعلموا أن الكلمات نفسها التي كلمتكم بها هي روح وحياة، حتى أن ذات كلامي هو لحم ودم، والذي يخصصه لنفسه يقتات كما بطعام سماوي. ويكون شريكا في الحياة السماوية"... وعن أغسطينوس أنه قال، "إن حديث المسيح عن الأكل من جسده لا يجوز فهمه حرفياً، لأن نعمته لا تقبل بالأسنان". وعن أثناسيوس الرسولي أنه قال: إن التناول من جسد المسيح ودمه لا يكون إلا روحياً"، أي أن هذا التناول لا يكون بالفم مع الاعتقاد في النفس بأن الخبز والخمر هما ذات جسد المسيح ودمه" (كما يقول المؤمنون بالاستحالة)، بل أن التناول المذكور يكون روحياً، أي باستقبال النفس (وليس الفم) له (نظام التعليم ص ٤٤٥ وريحانة النفوس ص ٨٧ وشرح كلمة "eucharist" في المراجع الانجليزية العامة).

٢ – كما أن أحرار الفكر من رجال الدين عند الكاثوليك قد عرفوا مثل الإنجيليين أن الأكل من جسد المسيح والشرب من دمه الوارد في (يوحنا ٦)، ليس خاصاً بالعشاء الرباني، بل بالايمان بالمسيح. فقد قال المسيو البرتينوس (مثلا) في كتابه "deucharistе" إن اثنين من الباباوات وأربعة من الكرادلة وخمسة من الأساقفة وبعض علماء اللاهوت الذين ظهروا لغاية العصر الذي عاش فيه، قد نادوا بأن حديث المسيح الوارد في (يوحنا ٦)، خاص بالايمان بشخصه (Houstons p120). وفي الكنيسة الأرثوذكسية أيضاً أشخاص يعرفهم الكتاب تمام المعرفة، يعتقدون بهذه الحقيقة عينها، ولكنهم لا ينادون بها خشية أن يتهموا (حسب رأيهم) بأنهم إنجيليون. مع أن الحقيقة المذكورة (كما اتضح لنا من أقوال القديسين السابق ذكرهم في البند الأول، وكما سيتضح بأكثر تفصيل في الباب الرابع)، كانت من صميم العقائد المسيحية في القرون الثلاثة الأولى، أي قبل ظهور جماعة الإنجيليين على الأرض بأكثر من ١٣٠٠ سنة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً – الأدلة العقلية

١ – أخيراً نقول لو كان حديث المسيح عن التغذي بجسده ودمه الوارد في (يوحنا ٦) خاصاً بالعشاء الرباني، لكان هذا العشاء هو أهم الموضوعات الدينية، لأنه يكون في هذه الحالة السبيل الوحيد للحصول على الحياة الأبدية، ولكان المسيح تبعاً لذلك قد حرّض سامعيه على التناول منه في كل مرة من المرات التي كان يعلن لهم فيها السبيل إلى هذه الحياة – ولكن إذا تأملنا تحريضاته في كل مرة من المرات، نجد أنه كان يقصر السبيل إلى الحياة الأبدية على الايمان (أو بالحري الايمان الحقيقي) بشخصه، كما اتضح لنا في الفصل الأول من هذا الباب.

كما أنه لو كان هذا الحديث يراد به العشاء المذكور، لأنه يكون في هذه الحالة هو ذات المسيح بلاهوته وناسوته، والذي يجب أن نعبده ونسجد له (كما يعتقد المؤمنون بالاستحالة)، ولكان المسيح تبعاً لذلك قد صرف معظم المدة التي مرت بين هذا الحديث وبين تأسيس العشاء الرباني في إعلان تفاصيل الاستحالة ودقائقها، وكيفية حدوثها ووقت حدوثها، والشروط اللازمة لإتمامها، حتى لا يكون هناك اختلاف كبير أو صغير بشأنها. كما حدث ويحدث بين القائلين بالاستحالة أنفسهم، إذ فضلاً عن الاختلافات التي ذكرناها في أول الباب الثاني، فهناك اختلافات أخرى كثيرة بينهم نذكر منها ما ياتي:

(أ) يقول فريق منهم إن الخبز وحده يتحول إلى المسيح بكامله، أو بالحري إلى جسده ودمه معاً، لأن الدم عنصر من عناصر الجسد (ولذلك يكفي التناول من الخبز وحده). ويقول فريق آخر إن الخبز يتحول فقط إلى جسد المسيح، إنما الخمر هي التي تتحول إلى دمه، ولذلك يجب التناول من الخبز والخمر معاً (أسرار الكنيسة السبعة ص ١٠٨ ومختصر اللاهوت الأدبي ١ ص ٢٧٢).

(ب) ويقول فريق إن الخبز يتحول إلى جسد المسيح بما فيه من عظام ومفاصل وعروق وغير ذلك (الكاتيزم الروماني ق ٢ ف ٤).

(ج) ويقول فريق إن العشاء الرباني يتحول إلى ناسوت المسيح مع لاهوته ونفسه. ويقول فريق آخر إنه يتحول إلى ناسوت المسيح ولاهوته دون نفسه، لأن هذا العشاء ذبيحة والذبيحة تكون خالية من النفس (الافخارستيا ص ١٦ و ٢١، واللاهوت النظري ج ٣ ص ٧٥، والرد على العشاء الرباني ص ٦٤).

(د) ويقول فريق إن الخبز الذي يستعمل في العشاء الرباني يجب أن يكون فطيراً (أي خالياً من الخمير)، ويقول فريق آخر إنه يجب أن يكون خبزاً، أي به خمير (أسرار الكنيسة السبعة ص ١١٣ – ١٢٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(ه) ويقول فريق إن الإستحالة تحدث عندما يردد الكاهن في القداس قول المسيح "هذا هو جسدي"، ويقول فريق آخر إنها تحدث بعد ذلك، عندما يستدعي الكاهن الروح القدس لكي يحل على الخبز والخمر (الافخارستيا ص ١٨، ٢٠ واللاهوت النظري ج ٤ص ١٥٧). وهكذا يرمي كل فريق صاحبه بالخطأ دون أن يستطيع إقناعه، وذلك لسببين:

الأول: لا توجد آية واحدة كتابية تنص على كيفية حدوث الاستحالة أو الوقت الذي تحلم فيه. أو الشروط التي يجب أن تتوافر لحدوثها.

الثاني: إن الإستحالة التي يقولون عنها ليست واقعية، إذ أنها لا تترك أي أثر يدل عليها.

مما تقدم يتضح لنا أنه نظراً لأن المسيح لم يذكر لنا شيئاً من تفصيلات الاستحالة، وفي الوقت نفسه نبّر على أن الحياة الأبدية هي بواسطة الايمان الحقيقي بشخصه لا يكون قد قصد بالتغذي بجسده ودمه الوارد في (يوحنا ٦)، المعنى الحرفي، بل المعنى الروحي الذي هو الإيمان الحقيقي بشخصه كما ذكرنا.

٢ – إن المسيح نطق بحديثه الوارد في (يوحنا ٦)، في أوائل خدمته على الأرض، ولم يعمل العشاء الرباني إلا قبل موته بساعات لكي يكون تذكاراً لموته هذا. وبما أن أهم الشروط الواجب مراعاتها في الحديث أن يكون متناسباً مع الوقت الذي يقال فيه، وقد راعى المسيح هذه الحقيقة في كل حديث من أحاديثه، لذلك فإن حديثه الوارد في (يوحنا ٦)، كان بكل تأكيد متناسباً مع الوقت الذي قيل فيه. وبما أن الحديث الذي يتناسب مع أوائل خدمة المسيح، هو تحريض الناس على الايمان به، لذلك يكون حديثه الوارد في هذا الاصحاح خاصاً بالايمان وليس بالعشاء الرباني.

٣ – فضلا عن ذلك فإننا إذا وضعنا أمامنا أن الحديث عن هذا العشاء يقدم إلى المؤمنين الحقيقيين، وليس إلى غير المؤمنين أو المؤمنين بالاسم، وأن معظم اليهود الذين كان المسيح يتحدث معهم في (يوحنا ٦)، كانوا غير مؤمنين به أو مجرد مؤمنين بالاسم، اتضح لنا بيقين ليس بعده يقين أن حديثه معهم لا بد أنه كان عن وجوب الإيمان بشخصه، وليس عن التناول من العشاء الرباني.

فحديث المسيح مع اليهود عن التغذي من جسده ودمه، يشبه والحالة هذه حديثه مع السامرية الوارد في (يوحنا ٤: ١ – ١٤)، والذي يتلخص في القول: "إن كل من يشرب من ماء العالم يعطش أيضاً، ولكن من يشرب من الماء الذي يعطيه المسيح، فلن يعطش إلى الأبد، بل إن هذا الماء يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكل ما الأمر أن المسيح صاغ حديثه مع السامرية في أسلوب الشرب، لأنها كانت تريد أن تشرب، وصاغه مع اليهود في أسلوب الأكل، لأنهم كانوا يريدون أن يأكلوا. غير أن السامرية عندما أدركت أن المسيح هو الماء الذي لا يعطش من يشرب منه، وأن الشرب منه معناه الإيمان به، آمنت ومن ثم ارتوت وخلصت من خطاياها. أما اليهود، فمع أنهم أدركوا أن المسيح هو الطعام الذي لا يجوع من يأكل منه، وأن الأكل منه معناه الإيمان به، لم يؤمنوا على الإطلاق، ومن ثم ظلوا في خطاياهم وعدم إيمانهم إلى الآن.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الباب الثالث

الحجج القائلة بحدوث الاستحالة

أو الحلول

١

الحجج الخاصة بالمجاز والرمز والاشارة

اتضح لنا مما سلف أن الآيات الواردة في (يوحنا ٦)، عن وجوب التغذي بجسد المسيح ودمه، ليست خاصة بالعشاء الرباني بل بالإيمان بالمسيح. وبقي علينا أن نعرف إذا كانت الآيات الخاصة بتأسيس العشاء الرباني وممارسته، التي ذكرنا خلاصتها في الباب الأول، تدل على أن مادتي الخبز والخمر المستعملتين في هذا العشاء تتحولان إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته (كما يقول المؤمنون بالاستحالة)، أو على حلول ذات جسده ودمه فيهما (كما يقول المؤمنون بالحلول)، أم لا تدل على هذا أو ذاك مطلقاً (كما يقول الذين لا يؤمنون بالاستحالة أو الحلول)، ولذلك نستعرض في هذا الباب حجج القائلين بالاستحالة والحلول من جهة هذا الموضوع لنعرف مكانتها من الصواب.

١ – إن المسيح عندما أسس العشاء الرباني، لم يقل عن الخبز "هذا هو صورة جسدي"، أو "هذا هو رمز جسدي". بل قال: "هذا هو جسدي". وهكذا الحال من جهة الخمر، فقد قال عنها "هذا هو دمي"، ولم يقل "هذا هو صورة دمي" أو "هذا هو رمز دمي". ولذلك يجب أن نؤمن أن الخبز هو ذات جسد المسيح، وأن الخمر هي ذات دمه. وإلا كان قول الآب عن المسيح (مثلا) "هذا هو ابني الحبيب"، ليس معناه أنه ذات ابنه بل صورة ابنه أو رمز ابنه، ولكان الشك قد تسرب إلينا أجمعين في معاني الكثير من أقوال الكتاب المقدس تبعاً لذلك (الافخارستيا ص ٣٣).

الرد: (أ) عندما قال الآب عن المسيح "هذا هو ابني الحبيب"، كان المشار إليه هو المسيح نفسه. لكن عندما قال المسيح "هذا هو جسدي"، لم يكن المشار إليه هو جسده الذي كان يعيش فيه، بل كان المشار إليه هو الخبز الذي كان في يده. كما أنه عندما قال: "هذا هو دمي"، لم يكن المشار إليه هو الخمر التي كانت في الكاس الموضوعة أمامه. فضلا عن ذلك فإن الخبز والخمر لم يكونا متحولين عند هذين القولين إلى لحم ودم، بل كان خبزاً وخمراً عاديين، مثلما كانا من قبل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(ب) كما أننا إذا رجعنا إلى اللغة اليونانية، التي هي اللغة الأصلية للإنجيل، نجد أن كلمة "هذا" في القول "هذا هو ابني الحبيب"، فالأولى هي "توتو" التي تستعمل للاشارة إلى الجماد، بينما الثانية هي "هوتوس" التي تستعمل للاشارة إلى العاقل. وغنى عن البان أنه لو كان العشاء الرباني يتحول إلى لاهوت المسيح وناسوته (كما يقول المؤمنون بالاستحالة)، أو يحل فيه ذات جسد المسيح ودمه (كما يقول المؤمنون بالحلول)، لكان المسيح قد أشار إليه تبعاً لذلك بكلمة " هذا " للعاقل، لأنه لا يكون في هذه الحالة جماداً بل كائنا عاقلا، وكل ما في الأمر لا يكون مدركا بواسطة الحواس الجسدية.

(ج) فضلا عن ذلك ليس من الضروري أن نقول عن رمز الشئ وشبهه إنه رمزه وشبهه بحصر اللفظ، طالما يبدو للجميع أنه ليس ذات الشئ، فنحن نقول (مثلا) عن شخص شجاع "هذا أسد"، وليس من الضروري أن نقول عنه "هذا يشبه الأسد" أو "هذا رمز للأسد"، إذ أن القرينة تدل بوضوح على أنه ليس أسداً بالمعنى الحرفي. ويعوزنا الوقت إذا حاولنا أن نحصي الآيات التي استعمل فيها المجاز، دون أن تذكر معه كلمات "يشبه" أو "يمثل" أو "يرمز إلى"، ولذلك نكتفي بما يأتي:

قال يوسف في تفسيره لحلم فرعون "البقرات الحسنة هي سبع سنين" (تكوين ٤١: ٢٦ – ٢٧). وقال الملاك لدانيال "القرون العشرة هي عشرة ملوك" (دانيال ٩: ٢٤). وقال داود النبي عن الماء الذي خاطر بعض رجاله بحياتهم في سبيل إحضاره له إنه "دم هؤلاء الرجال" (١ صموئيل٢٣: ١٧). وقال المسيح عن الرياء إنه "خمير الفرنسيين" (لوقا ١٢:١). وقال عن يوحنا المعمدان إنه "إيليا" (يوحنا ١: ٢٩). وقال بولس الرسول عن الصخرة التي كانت تجود بالماء إنها "كانت المسيح" (١ كورنثوس ١٠: ٤). وقال عنا نحن المؤمنين: "إننا خبز واحد" (١ كورنثوس ١٠: ١٧).

أما السبب في عدم القول إن "البقرات السبع تمثل سبع سنين". وإن "القرون العشرة تمثل عشرة ملوك". وإن "الماء كان يمثل دم الرجال المذكورين أو يقابله". وإن "الرياء يشبه الخمير". وإن "يوحنا كان يشبه إيليا". وإن "المسيح كان بمثابة الحمل". وغن "الصخرة كانت تشير إلى المسيح أو تدل عليه". و"إننا نشبه الخبز الواحد او الرغيف الواحد" و... و... فيرجع إلى أن الاصطلاحات "يمثّل" و"يشير" و"يدل على" وما شاكلها، لم تكن مستعملة كثيراً (كما يقول العلماء) في اللغات القديمة التي كتب بها الكتاب المقدس. ولذلك كان يكتفي باستعمال فعل الكينونة ظاهراً أو مستتراً (Mattew Adam Clark's Eucharisi, p.22&26:) وهذا ما نعمله في اللغة العربية أحياناً، فنحن نقول عن شخص شجاع "إنه أسد" أو "إنه يكون أسد". دون أن نستعمل كلمة "يشبه"أو ما شاكلها فيما سلف.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(د) أما الاعتراض (بأن الشئ المشار إليه بكلمة "هذا"، يكون دائماً أبداً هو عين الشئ وليس رمزاً له أو دليلاً عليه، لأننا عندما نقول: "هذا هو الكتاب المقدس"، يكون المشار إليه هو الكتاب المقدس بعينه (الافخارستيا ص ٧٨) فلا يجوز الأخذ به كقاعدة عامة. لأننا كثيراً ما نشير إلى الكتاب المقدس ونقول "هذا هو السبيل" أو "هذا هو النور" أو "هذا هو الغذاء"، مع أنه ليس في هيئته سبيلاً أو نوراً، أو غذاء. كما أننا كثيراً ما نشير إلى الله الذي نعتمد عليه كل الاعتماد في حياتنا ونقول عنه "هذا هو حصننا" أو "هذا هو كنـزنا"، مع أنه ليس في هيئته حصناً أو كنـزاً. فضلا عن ذلك فإننا إذا رجعنا إلى أقوال المسيح، نجد أنه كان يستعمل هذا الاسلوب بعينه بالمعنى المجازي، فقال لليهود عن هيرودس الملك "امضوا وقولوا لهذا الثعلب" (لوقا ١٣: ٣٢)، مع انه لم يكن في ذاته ثعلباً. وقال لأمه العذراء عن يوحنا الحبيب، "هو ذا ابنك"، مع أنه لم يكن في ذاته ابنها. وقال ليوحنا هذا عن العذراء "هو ذا أمك"، مع أنه لم تكن أمه بعينها.

(ه) في ضوء ما تقدم يتضح لنا أنه لا حرج إذا كان قول المسيح عن الخبز "هذا هو جسدي"، وعن الخمر "هذا هو دمي"، لا يراد به انهما ذات جسده ودمه، بل إنهما رمز لهما. لا سيما وأن المسيح لم يقل إنهما ذات جسده ودمه، بل قال إنهما جسده ودمه،يدون كلمة ذات هذه، الأمر الذي يفتح المجال للمعنى المجازي. ولذلك نرى المترجمين الانجليز (مثلا) الذين يميلون إلى الترجمة المعنوية دون الحرفية،استعملوا عبارة "يدل على"، بدلا من فعل الكينونة المستتر في الآية" هذا (يكون) جسدي"، ولذلك قالوا ما ترجمته" هذا يدل على جسدي"، كما فعلوا تماماً في ترجمة الآية" والصخرة كانت المسيح" (١ كورنثوس ١٠: ٤). فقد قالوا ما ترجمته "والصخرة كانت تدل على المسيح اقرأ مثلا ترجمة "Moffat".

(و) أخيراً نقول: إننا إذا وضعنا أمامنا أن المسيح بتجسده لم يتحول ناسوته إلى لاهوت، أو لاهوته إلى ناسوت، بل ظل اللاهوت هو اللاهوت بعينه، وظل الناسوت هو الناسوت بعينه، كما أن المسيح من الناحية الانسانية، لم يكن يوماً ما شيئاً غير الناسوت ثم حل فيه الناسوت، أدركنا أنه لا يمكن من الناحية الكتابية أو العقلية أو غيرهما من النواحي، أن يتحول العشاء الرباني إلى لاهوت المسيح وناسوته، أو يحل ذات جسده ودمه في هذا العشاء.

٢ – لا يوجد شبه ما بين الخبز وبين الجسد، أو بين الخمر وبين الدم، حتى كان من الجائز أن يعتبر حديث المسيح عن جسده ودمه رمزياً أو مجازياً. فضلا عن ذلك فإن المسيح قدم العشاء الرباني لتلاميذه قبل موته بيوم واحد، والمرء لا يتحدث قبل موته بالمجاز مع أحبائه لئلا يسيئوا فهم أقواله، ولا تكون هناك فرصة بعد لإرشادهم إلى الحقيقة. ولذلك لوفرضنا أن المسيح تحدث عن العشاء الرباني بالمجاز، لكان قد فسر هذا المجاز

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لتلاميذه في الحال، لئلا يسيئوا فهم أقواله (أسرار الكنيسة السبعة ص٨٤، والرد على العشاء الرباني ص ٥٦).

الرد (أ) هناك شبه واضح بين الخبز وبين جسد المسيح، وبين الخمر وبين دم المسيح، كما ذكرنا في الباب الأول، ولذلك لا مجال للاعتراض إذا قال المسيح بالمعنى المجازي عن الخبز إنه جسده وعن الخمر إنها دمه.

(ب) فضلا عن ذلك، فإن المجاز عندما يكون مفهوماً، لا يحتاج إلى شرح أو إيضاح، ولا يكون هناك حرج من استعماله في أي وقت من الأوقات. ومن العبارات المجازية المفهومة التي استعملها المسيح وهو على أبواب الصليب.، قوله لتلاميذه "ومن ليس له، فليبع ثوبه ويشتر سيفاً" (لوقا ٢٢: ٣٦)، قاصداً بالسيف الشجاعة والإقدام. وقوله للآب "إن أمكن، فلتعبر عني هذه الكأس" (متى ٢٦: ٢٦)، قاصداً بالكأس نصيبه المحتوم من الأوجاع والآلام. وقوله لبنات أورشليم "لأنه إن كانوا بالعود الرطب (أو الغصن الرطب) يفعلون هذا (الظلم والاضطهاد)، فماذا يكون باليابس؟" (لوقا ٢٣: ٣١)، قاصداً بالعود الرطب، شخصه الكريم لأنه كان مثمراً ونافعاً في حياته، وبالعود اليابس الانسان الذي لا ثمر له أو نفع فيه، ولذلك لم يفسر لنا المجاز الوارد في هذه العبارات.

وهكذا الحال من جهة قوله عن الخبز "هذا هو جسدي"، وعن الخمر "هذا هو دمي"، فإن المجاز في هذا القول لا يحتاج إلى إيضاح أو تفسير، إذ فضلا عن أن المسيح ليس طعاماً مادياً يؤكل بالفم بأي شكل من الأشكال، فإن التلاميذ كانوا يرون الخبز والخمركما هما دون أن يطرأ عليهما تغيير ما. كما كانوا يرون المسيح جالساً بينهم كما هو، دون أن ينقص من جسده أو دمه شئ، عندما قال لهم عن الخبز والخمر إنهما جسده ودمه. ولذلك أكلوا الأول وشربوا الثاني دون تردد أو فحص،بل ودون نفور من مذاق أو طعم. وطبعاً ما كان من الممكن أن يكون هذا هو الحال معهم، لولا أنهم كانوا يعلمون تمام العلمأن المسيح قصد بالأكل من جسده والشرب من دمه المعنى المجازي دون سواه.

(ج) وبالإضافة إلى ما تقدم، فإننا إذا تأملنا العبارات التي أسندها المسيح إلى الخبز والخمر، أدركنا أنه لم يقصد مطلقاً أنهما ذات جسده ودمه. فقوله عن الخبز "هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم"، يدل على أن الخبز لم يكن ذات جسده، لأن الذي بذل عن التلاميذ، أو بالحري قدم فدية عنهم، هو الجسد الذي كان المسيح موجوداً فيه وقتئذ وهذا الجسد بذل عنهم ليس عند تقديم الخبز لهم، بل بذل في اليوم التالي لتقديم الخبز المذكور، وذلك عندما قدم المسيح نفسه على الصليب عوضاً عنهم وعنا. أما الخبز الذي أعطاه للتلاميذ، فلم يبذل أو يقدم فدية على الاطلاق، بل أكله التلاميذ بأفواههم ونـزل إلى جوفهم، الأمر الذي يدل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على أن قول المسيح عن الخبز إنه جسده، لا يراد به إلا أن هذا الخبز مثال لجسده أو رمز له.

وقوله عن الخمر "هذا هو دمي الذي يسفك من أجل كثيرين"، يدل على أن الخمر ليست هي ذات دمه، لأن الذي سفك من أجل كثيرين هو دمه الذي كان يجري في جسمه وقتئذ، وهذا الدم سفك ليس عند تقديم الخمر لتلاميذه، بل سفك في اليوم التالي لتقديمها لهم. وذلك عندما قدم المسيح نفسه على الصليب عوضاً عنهم وعنا كما ذكرنا. أما الخمر التي أعطاها لهم، فلم تسفك أو تقدم فدية على الاطلاق، بل شربها التلاميذ ونزلت إلى جوفهم، الأمر الذي يدل على أن قول المسيح عنها إنها دمه، لا يراد به إلا إنها مثال لدمه أو رمز له.

كما أن قوله عن الكاس: "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي"، هو قول مجازي، لأنه لا الكأس أو السائل الذي كان فيها هو العهد الجديد، إذ أن هذا العهد كما نعلم جميعاً ليس شيئاً مادياً مثل الكأس أو الخمر، بل هو معاملة الله للمؤمنين بالنعمة المجانية على أساس الدم الكريم الذي سفك مرة على الصليب، ولذلك فقول المسيح عن الكأس إنها العهد الجديد، لا يراد به إلا أن هذه الكأس هي إشارة إلى العهد المذكور، أو دليل عليه كما ذكرنا فيما سلف.

٣ – إن عهد الرموز قد انتهى من زمن بعيد. فضلا عن ذلك فالرمز يسبق المرموز إليه ولا يتبعه، والعشاء الرباني وإن كان قد تأسس قبل موت المسيح، لكن كان من المفروض من أول الأمر أن يمارس بعد صعوده، ولذلك لا يكون رمزاً للمسيح بل يكون عين ذاته. لأنه لو كان رمزاً للمسيح، لا يكون المسيح قد أتى بعد، ونكون كاليهود لا نزال ننتظر مجيئه إلى الآن (الافخارستيا ص ٧٣ – ٧٤).

الرد (أ) ليس من الضروري أن يكون الرمز سابقاً للمرموز إليه، فقد يوجد بعده للاشارة إليه أو الدلالة عليه. فنحن نقول عن تمثال (مثلا) إنه رمز للجهاد أو الاستقلال، مع أنه لا يكون قد أقيم قبل حدوث هذا أو ذاك، بل بعد حدوثهما وربما بعد حدوثهما بسنوات. ولذلك لا حرج إذا كان العشاء الرباني الذي يمارس بعد صعود المسيح، هو رمز للمسيح أو إشارة إليه، أو تذكار له كما قال الوحي.

(ب) كما أن قول المسيح عن خمر العشاء الرباني، بعد الإشارة إلى أنها دمه، "لا أشرب من نتاج الكرمة هذا"، دليل قاطع على أنها ظلت خمراً كما كانت من قبل، وأن التعبير عنها بأنها دمه هو من باب المجاز فحسب. لأنها لو كانت تحولت إلى دمه، لما كان المسيح قد قال عنها إنها "نتاج الكرمة"، وذلك كي لا يبعث الشك إلى التلاميذ وغير التلاميذ من جهة الاستحالة أو الحلول، إن كانت قد حدثت استحالة أو حلول.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما الاعتراض، بأن المسيح قال هذه العبارة عن خمر الفصح اليهودي وليس عن خمر العشاء الرباني، كما يتضح من (لوقا ٢٢:١٨) (الافخارستيا ص ٩٧)، فلا يجوز الأخذ به، لأن العبارة المذكورة وإن كانت قيلت في هذا الموضع عن خمر الفصح اليهودي، غير أنها قيلت في موضوعين عن خمر العشاء الرباني، وهذان الموضوعان هما (متى ٢٦: ٢٩، مرقس ١٤: ٢٥)، الأمر الذي يدل على أن السائل الذي قال المسيح عنه "هذا هو دمي"، كان خمراً عادية مثل الخمر التي كانت في كأس الفصح اليهودي تماماً. ولذلك لا تكون خمر العشاء الرباني هي ذات دم المسيح بل رمزاً له، وبالتبعية لا يكون خبز هذا العشاء هو ذات جسد المسيح بل رمزاً له كما ذكرنا.

(ج) فضلا عن ذلك، فإن علاقتنا مع المسيح في عهد النعمة الذي نعيش فيه الآن، هي علاقة روحية لا جسدية. فقد قال الرسول "إن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد، لكن الآن لا نعرفه بعد" (٢ كورنثوس ١٦٠٥). وهذه الآية لا تعني فقط أن المسيح لا يمكن أن ينـزل بعد صعوده إلى السماء، ويسير في جسد بيننا على الأرض مثلما كان يفعل من قبل، بل تعني أيضاً أننا بعد صعوده إلى السماء لا يمكن أن نلمسه بأيدينا، وبالتبعية لا يمكن أن نتناوله بأفواهنا. ولذلك فالعشاء الرباني لا يمكن أن يكون ذات جسد ودمه، أو أن ذات جسده ودمه يحلان فيه، بل هو رمز لها فحسب.

(د) أخيراً نقول إن المسيح وإن كان من الممكن أن يوجد بلاهوته في كل مكان في وقت واحد، لأن اللاهوت لا يتحيز بحيز على الاطلاق (متى ١٨: ٣٠). لكن لا يمكن أن يوجد بناسوته في أكثر من مكان واحد في وقت واحد، لأن الجسد الذي شاء المسيح أن يتخذه لنفسه لم يكن جسداً إثيرياً (كما قال بعض الفلاسفة) بل كان جسداً من لحم ودم وعظم مثل أجسادنا[١٨] (عبرانيين ٢:١٤ ولوقا ٢٤: ٣٩ – ٤٣).

والجسد المادي المكون من لحم ودم وعظم، يتحيز كما نعلم بالحيز الذي يوجد فيه دون سواه. ولذلك عندما كان المسيح موجوداً بالجسد مع يوحنا المعمدان على نهر الأردن، لم يكن موجوداً بالجسد في نفس هذا الوقت في مكان آخر مثل أريحا أو كفر ناحوم. وعندما كان معلقاً بالجسد على الصليب، لم يكن موجوداً بالجسد في هذا الوقت في مكان آخر مثل بيت صيدا أو بيت عنيا.. وإذا كان الأمر كذلك فإن العشاء الرباني الذي يصنع على الأرض، لا يمكن أن يكون هو ذات جسد المسيح الذي في السماء الآن بل رمزاً له، لأن المسيح لم يكن له أكثر من جسد واحد من لحم ودم وعظم.

[١٨] والفرق الوحيد بين جسد المسيح وبين أجسادنا, أن جسد المسيح لم تكن فيه طبيعة خاطئة مثل التي فينا, لأن هذه الطبيعة لا تنتقل إلا بالتناسل الطبيعي, وهو تبارك اسمه لم يولد بهذه الطريقة, بل ولد كما نعلم بواسطة الروح القدس (لوقا ١: ٣٥). غير أن هذه الولادة لا تقلل من فضله الذاتي في حياة الكمال التي عاشها على الأرض. لأن آدم (مثلاً) خلق دون أي أثر للخطية في نفسه, ومع ذلك سقط فيها عندما جربه الشيطان. أما المسيح فمع أنه جرب بتجارب أقسى من تجربة آدم بدرجة لا حد لها, لكنه انتصر وانتصر إلى التمام فيها جميعاً.

 All rights reserved © 2008-2018

والفرق الوحيد بين جسد المسيح وبين أجسادنا، أن جسد المسيح لم تكن فيه طبيعة خاطئة مثل التي فينا، لأن هذه الطبيعة لا تنتقل إلا بالتناسل الطبيعي، وهو تبارك اسمه لم يولد بهذه الطريقة، بل ولد كما نعلم بواسطة الروح القدس (لوقا ١: ٣٥). غير أن هذه الولادة لا تقلل من فضله الذاتي في حياة الكمال التي عاشها على الأرض. لأن آدم (مثلا) خلق دون أي أثر للخطية في نفسه، ومع ذلك سقط فيها عندما جربه الشيطان. أما المسيح فمع أنه جرب بتجارب أقسى من تجربة آدم بدرجة لا حد لها، لكنه انتصر وانتصر إلى التمام فيها جميعاً.

٤ – إن جسد المسيح باتحاده باللاهوت صارت له بعض خصائصه، ونظراً لأن المسيح يمكن أن يوجد بلاهوته في كل مكان في وقت واحد، فلا يصعب عليه إذاً أن يكون هكذا بالجسد أيضاً. ولذلك ليس هناك مجال للإعتراض إذا كان العشاء الرباني الذي يصنع على الأرض في أماكن متعددة، هو ذات جسد المسيح الذي في السماء (الافخارستيا ص ١٠٧).

الرد: هذه الحجة لا يجوز الأخذ بها لسببين:

(الأول) بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتضح لنا أن ناسوت المسيح لم يتأثر بلاهوته على الاطلاق، بل ظل كما هو الناسوت الذي يتعب وينام ويجوع ويعطش[١٩] (يوحنا ٤:٦، ٧ و متى ٣:٢)، ولا يوجد إلا في مكان واحد في وقت واحد كما ذكرنا فيما سلف.

وقد عرف هذه الحقيقة جميع القديسين القدماء، وفي مقدمتهم القائلون بالإستحالة أنفسهم، ولذلك قالوا "إن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو بغير اختلاط أو امتزاج أو تغيير" (إقرأ صلاة الاعتراف بالقداس).

وعلى هذا القياس يمكن أن نقول أن الكمال الأدبي الذي تجلى في المسيح عندما كان على الأرض، لم يكن راجعاً إلى اتحاد اللاهوت بالناسوت فيه، بل كان راجعاً إلى توافقه الشخصي (حتى بوصفه ابن الانسان) مع الله كل التوافق. ولذلك كان كمالا ذاتياً إرادياً، وليس كمالا احتسابياً حتمياً بسبب اتحاد اللاهوت به فقط. وهذا ما جعل للمسيح مركزاً لا يدانى، سواء أفي حياته الشخصية أم في كفارته عن البشرية.

الثاني: إن هذه الحجة تؤدي إلى ضلالتين شنيعتين، إذ لو كان اللاهوت قد غيّرخصائص الناسوت، لكان الناسوت أيضاً (والعياذ بالله) قد غير خصائص اللاهوت. كما أنه لو كان المسيح يوجد بالجسد في أكثر من مكان واحد فب وقت واحد، لتضاربت

[١٩] وعلى هذا القياس يمكن أن نقول إن الكمال الأدبي الذي تجلى في المسيح عندما كان على الأرض, لم يكن راجعاً إلى اتحاد اللاهوت بالناسوت فيه, بل كان راجعاً إلى توافقه الشخصي (حتى بوصفه ابن الإنسان) مع الله كل التوافق. ولذلك كان كمالاً ذاتياً إرادياً, وليس كمالاً اكتسابياً حتمياً بسبب اتحاد اللاهوت به فقط. وهذا ما جعل للمسيح مركزاً لا يدانى, سواء أفي حياته الشخصية أم في كفارته عن البشرية.

 All rights reserved © 2008-2018

الآراء من جهة ما فعله المسيح وما حدث له في هذا العالم، ولقال فريق من الناس (مثلا) إن المسيح صلب، ولقال فريق آخر إنه لم يصلب، ولكان الفريقان على حق!! فهل يرضى صاحب الحجة التي نفحصها بالضلالتين اللتين تترتبان على حجته هذه؟!

أما القول، بأن العشاء الرباني لا يصبح بالاستحالة جسداً آخر للمسيح، بل يصبح ذات جسد المسيح الذي ولد من العذراء، والذي صعد به إلى السماء ولا يزال موجوداً به هناك، وأنه لذلك لا يكون هناك مع الاستحالة أكثر من جسد واحد للمسيح "(الافخارستيا ص ٩٧)، فلا يجوز الأخذ به، إذ فضلا عن أنه ليست هناك آية واحدة في الكتاب المقدس تؤيده أو تنص عليه، فلا يمكن أن يكون المسيح موجوداً الآن بالجسد في السماء (كما يقول الكتاب المقدس) ويكون في الوقت نفسه موجوداً بهذا الجسد تحت شكلي الخبز والخمر في أماكن كثيرة على وجه الأرض (كما يقول المؤمنون بالاستحالة والحلول، بناء على عقيدتهم من جهة العشاء الرباني) ولا تكون هناك أجساد متعددة للمسيح. ولذلك لا يمكن أن يكون العشاء الرباني هو ذات جسد المسيح بالاستحالة أو الحلول على الاطلاق.

٥ – إن المسيح بقيامته من بين الأموات، اكتسب في جسده خاصية لم تكن موجودة فيه من قبل، والدليل على ذلك أن مريم المجدلية لم تستطع أن تعرفه في أول الأمر، كما أنه استطاع أن يدخل الغرفة التي كان التلاميذ مجتمعين فيها وأبوابها مغلقة. وإذا كان الأمر كذلك، فليس هناك مجال للاعتراض على وجوده بالجسد في أكثر من مكان واحد في وقت واحد، وبالتبعية ليس هناك مجال للإعتراض على أن العشاء الرباني الذي يصنع في أكثر من مكان واحد في وقت واحد، هو بعينه ذات جسد المسيح الذي في السماء (إيضاح التعليم المسيحي ص ٢٠).

الرد: وهذه الحجة لا يجوز الأخذ أيضاً بها للأسباب الآتية:

الأول: إن المسيح عندما ظهر لمريم المجدلية بعد قيامته، كان الظلام لا يزال باقياً (يوحنا ٢٩: ١). كما كانت عيناها مغرورقتين بالدموع (يوحنا ٢٠: ١١). فضلا عن ذلا فإنها لم تتوقع أن ترى المسيح حياً بالجسد بعد موته على الاطلاق (يوحنا ٢٠: ١٣)، وهذه الأمور كانت كافية لكي تحول بينها وبين معرفته لأول وهلة، ولذلك ليس من العدالة في شئ أن يقال أنها لم تستطع معرفته من أول الأمر بسبب حدوث تغيير في طبيعته الانسانية.

الثاني: إن دخول المسيح إلى الغرفة التي كان التلاميذ مجتمعين فيها وأبوابها مغلقة، لا يفرق في شئ عن سيره على الماء قبل قيامته (أو بالحري قبل موته) دون أن يغرق (متى١٤: ٣٠)، لأنه إن كان بالعمل الأول أصبحت المواد الصلبة المصنوعة منها الغرفة المذكورة، كأنها سائلة أو غازية يمكن اختراقها والسير خلالها، فبالعمل الثاني أصبحت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المادة السائلة وهي الماء كأنها صلبة يمكن وطؤها والمشي عليها. ولذلك لا مجال للقول إن المسيح بالقيامة من بين الأموات اكتسب في جسده خاصية لم تكن موجودة فيه من قبل.

الثالث: إن المسي قال لتلاميذه بعد القيامة "جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي"، ثم أخذ بعد ذلك طعاماً وأكل أمامهم كما كان يفعل قبل موته (لوقا ٢٤:٣٩ – ٤٣)، الأمر الذي يدل على أنه بقيامته من بين الأموات، لم يحدث تغيير في طبيعته الانسانية كما ذكرنا.

(الرابع) أخيراً نقول: إن المسيح لم يعمل العشاء الرباني بعد قيامته بل قبل قيامته، أو بالحري قبل موته. ولذلك لو افترضنا جدلا انه اكتسب بالقيامة من الأموات خاصية الوجود بالجسد في أكثر من مكان واحد في وقت واحد (كما يقولون)، لا يكون قد اكتسب هذه الخاصية عندما عمل العشاء الرباني. وإذا كان الأمر كذلك، لا يمكن أن يكون العشاء الرباني الذي عمله المسيح، ونعمله نحن من بعده، هو ذات جسده ودمه، بل رمزاً لهما كما ذكرنا.

٦ – إن الشمس وهي واحدة، توجد في أماكن كثيرة في وقت واحد. والمرآة إذا كسرناها إلى أجزاء صغيرة، يستطيع كل منا أن يرى وجهه كاملاً في كل جزء منها. والمثلث إذا قسمناه إلى مثلثات صغيرة، يكون كل واحد من هذه المثلثات مثلثاً كاملا. ولذلك لا اعتراض إذا كان العشاء الرباني الذي يعمل في أماكن متعددة في وقت واحد، هو ذات المسيح، وإذا كان أيضاً كل جزء من هذا العشاء يتناوله شخص ما، هو ذات المسيح بكامله (الافخارستيا ص ٢١ و ٢٩ و١٠٥ و١٠٦ و١٠٨).

الرد (أ) إن جرم الشمس لا يكون متحيزاً في جهة من الجو في وقت ما، ويكون في الوقت نفسه متحيزاً في جهة غيرها، بل كل ما في الأمر أنه يظهر عن بعد قي أكثر من مكان واحد في وقت واحد (مثله في ذلك مثل كثير من الأجرام المضيئة)، لأن جرم الشمس كبير في حجمه، وموجود في ذات الكون الذي نعيش فيه، لكن المؤمنين بالاستحالة والحلول لا يقولون إنهم يرون جسد المسيح المادي عن بعد في أماكن متعددة في وقت واحد، كما نرى جرم الشمس وغيره من الأجرام، بل يقولون إنه في الوقت الذي يكون هذا الجسد موجوداً أو متحيزاً بين أيديهم في مكان، يكون أيضاً موجوداً أو متحيزاً في أماكن كثيرة بين أيدي غيرهم من الناس، ولذلك فمثل الشمس الذي أتوا به، لا يؤيد قولهم بإمكانية وجود جسد المسيح المادي في أكثر من مكان واحد في الوقت الواحد.

(ب) كما أن أي جزء من المرآة بعد كسرها، ليس هو ذات المرآة قبل كسرها. وهكذا الحال من جهة المثلثات، فإن أي مثلث معمول من المثلث الأصلي، ليس هو عين هذا المثلث قبل تقسيمه. ولذلك فمثلا المرآة والمثلث لا يؤيدان أيضاً قولهم بأن أصغر جزء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من الخبز والخمر هو ذات المسيح بكامله. تكون حجتهم هذه لا سند لها، ليس من الكتاب المقدس فحسب، بل ولا من طبائع الأشياء أيضاً.

(ج) فضلا عما تقدم فإن هذه الحجة تتعارض مع الأساس الذي بنيت عليه عقيدة الاستحالة التي يؤمنون بها (والتي تنص على أن الله يحّول العشاء الرباني إلى المسيح أثناء القداس لا بعده)، لأنه إذا كان الله يحول أثناء القداس كل جزء من العشاء الرباني (يعلم أن شخصاً ما سيتناوله) إلى المسيح، يكون قد حول العشاء الرباني ليس إلى المسيح بل إلى مسحاء (بعكس ما يعتقدون). وإن كان يحول العشاء الرباني أثناء القداس إلى المسيح، وعند التوزيع يحول إلى المسيح كل جزء من هذا العشاء بتناوله شخص ما، يكون كل جزء من المسيح تحول إلى المسيح بعد القداس، وهذا أيضاً بعكس ما يعتقدون... الأمر الذي يدل على أن القائلين بالاستحالة يريدون البرهنة على صدقها، حتى إن تعارضت براهينهم مع الأسس التي قامت عليها هذه الاستحالة لديهم...

٧ – إن المسيح قال لتلاميذه عن الخبز الذي استعمله في العشاء الرباني "هذا هو جسدي المكسور لأجلكم" (١ كورنثوس ١١: ٢٤). وبما أن جسد المسيح لم يكسر على الصليب، كما هو مكتوب "عظم لا يكسر منه"، يكون الخبز الذي أعطاه المسيح لتلاميذه هو عين جسده وليس رمزاً له، لأن هذا الخبز هو الذي كسر بواسطة المسيح (الرد على العشاء الرباني ص ٧١).

الرد (أ) فضلا عن أن جسد المسيح الواحد لا يكون مكسوراً وغير مكسور، الأمر الذي يدل بداهة على أن العشاء الرباني ليس هو ذات جسد المسيح نقول: إن كلمة "المكسور" مستعملة هنا ليس بالمعنى الحرفي، بل بالمعنى المجازي. والمعنى المجازي لها هنا هو "المبذول". لأن لوقا البشير نقل هذه الآية هكذا "هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم" (لوقا ٢٢: ١٩)، والذي بذل عن التلاميذ لم يكن الخبز الذي أعطاه المسيح لتلاميذه (لأن هذا الخبز أكلوه بأفواههم ونـزل إلى جوفهم)، بل الذي بذل عنهم هو جسده الذي كان يعيش فيه وقتئذ، ولذلك ليس هناك مجال للظن بأن الخبز الذي استعمله المسيح في العشاء الرباني كان هو ذات جسده هذا – وقد استعمل الوحي كلمة " الكسر" بالمعنى المجازي في آيات كثيرة، نذكر منها قوله "كسر الرب قوام الخبز" (مزمور ١٠٥: ٦) و"تكسر الفراء ظمأها" (مزمور ١٠٤: ١١)، و"كسر الرب ذراع فرعون" (حزقيال ٣٠: ٢١)، للتعبير عن القضاء على الخبز والظمأ وفرعون.

(ب) ومما يثبت أيضاً أن "الكسر" الوارد ذكره في العشاء الرباني معناه "البذل"، أن الوحي سجل عن المسيح أنه "مسحوق لأجل آثامنا" (اشعيا ٥٣: ٥)، وأنه "انسكب كالماء وانفصلت كل عظامه" و"أن قلبه انكسر وذاب كالشمع في وسط أمعائه" (مزمور ٢٢: ١٤،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٦٩: ٢٠)، مع أن جسد المسيح لم ينسحق ويصبح ناعماً كالدقيق، أو انسكب على الأرض كما انسكب الماء، أو انفصلت عظامه بعضها عن البعض الآخر، أو انكسر قلبه كما ينكسر الإناء، ثم انصهر وتحول إلى سائل في وسط أمعائه – بل إن هذه كلها تعبيرات مجازية للدلالة على أن المسيح يبذل ذاته على الصليب كفارة عنا، تألم آلاماً مبرحة أثرت في نفسه، وفي كل جزء من أجزاء جسده تأثيراً بالغاً.

٨ – ان المسيح لم يقل لتلاميذه عن الخبز: "هذا هو جسدي الذي سيكسر لأجلكم"، بل قال: "هذا هو جسدي المكسور لأجلكم"، لذلك لا بد أن هذا الخبز كما هو جسد المسيح بعينه، لأنه هو الذي كان قد كسر وقتئذ (الرد على العشاء الرباني ص ٧٢).

الرد: (أ) ان "كسر جسد المسيح" كما ذكرنا فيما سلف، يقصد به بذله، وهذا البذل وإن كان لم يحدث إلا في اليوم التالي لتأسيس العشاء الرباني، غير أنه كان أمراً مقرراً حدوثه منذ الأزل كحقيقة من الحقائق الأزلية الثابتة. فمكتوب "عالمين أنكم افتديتم.. بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس. دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم" (١ بطرس ١: ١٨ -٢٠)- فجسد المسيح إذاً كان في حكم المبذول أو "المكسور"، ليس فقط عند تأسيس العشاء الرباني وتقديمه للتلاميذ، بل وأيضاً من قبل خلق العالم الذي نعيش فيه بأزمنة لا حصر لها، ولذلك لا مجال للظن بأن الخبز الذي كسره المسيح هو عين جسده.

(ب) أخيراً نقول إن الاصطلاح "جسد المسيح"، لم يطلق فقط على الخبز المستعمل في العشاء الرباني، حتى كان يجوز القول إنه ذات جسد المسيح، بل أطلق أيضاً على الكنيسة (أو بالحري على المؤمنين الحقيقيين كما ذكرنا). فقد قال الرسول عن الكنيسة إنها "جسد المسيح" (أفسس ١: ٢٣)، كما قال عن المؤمنين انهم "أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه" (أفسس ٥: ٣٠). وإذا كنا نثق جميعاً أن هؤلاء المؤمنين مع قول الوحي عنهم انهم جسد المسيح، وانهم أيضاً أعضاء جسمه من لحمه وعظامه، لا يتحولون إلى جسد المسيح المادي، أو يحل هذا الجسد فيهم، بل يظلون كما هم بأجسادهم عينها، لأن قوا الوحي عنهم إنهم جسد المسيح قول مجازي.

لذلك ليس هناك ما يبرر الإعتقاد بأن قول المسيح عن الخبز إنه جسده، يدل على أن هذا الخبز يتحول إلى ذات جسده، أو أن ذات جسده يحل في هذا الخبز، إذ أن حديث المسيح عن هذا الموضوع هو أيضاً حديث مجازي، كما اتضح لنا مما سلف. وكل ما في الأمر ان الاصطلاح "جسد المسيح" يطلق على الخبز لأنه رمز للمسيح من ناحية كونه علة حياة البشرية. ويطلق على المؤمنين الحقيقيين من ناحية محبة المسيح لهم وارتباطه بهم ارتباط الرأس بالجسد (أفسسس ٥: ٢٩، كولوسي ١: ١٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢

الحجج الخاصة بالتذكار والشركة والأسرار

١ – عندما قدم المسيح العشاء الرباني لتلاميذه قال لهم "اصنعوا هذا لذكري"، فهو لم يقل لهم "افعلوا" أو "اعملوا"، بل قال لهم "اصنعوا" – ومن هذا نستنتج أن العشاء الرباني يتحول إلى ذات جسد المسيح ودمه، وذلك بصناعة روحية (الافخارستيا ص ٨٧).

الرد (أ): إن كلمة "اصنعوا" مستعملة هنا بمعنى "افعلوا"، فهي في اللغة اليونانية "بويو" أي "افعلوا".

فضلاً عن ذلك فإن كلمة "اصنعوا" نفسها، كثيراً ما تعني القيام بأمر لا يستلزم صناعة من الصناعات. فقد قال المسيح "لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي" (مرقس ٣:٣٥)، كما قال "طوبى لصانعي السلام" (متى ٥: ٩), وغنى عن البيان أن كلا من صنع مشيئة الله وصنع السلام بين الناس، لا يستلزم صناعة من الصناعات التي يتحول بها شئ إلى شئ آخر، أو يحل بها شيء في شئ غيره.

(ب) كما أننا إذا تأملنا الآية الواردة في الحجة التي نفحصها، نجد أن المسيح لم يقل "اصنعوا جسدي ودمي لذكري"، حتى كان يجوز القول بحدوث استحالة أو حلول في الخبز والخمر. بل قال "اصنعوا هذا لذكري" (لوقا ٢٢: ١٩). وكلمة "هذا" هنا، لا يقصد بها ذات الخبز والخمر اللذين قال المسيح عنهما إنهما جسده ودمه، بل يقصد بها العشاء الرباني كتذكار ديني يجب ممارسته بالطريقة التي وضعها المسيح نفسه. وهذه الطريقة تنحصر في إحضار خبز وخمر، لكي يكون الأول تذكاراً لجسده والثاني تذكاراً لدمه، ثم رفع القلب بالشكر لله من أجل عمل الفداء الكريم (كما فعل المسيح من قبل)، مرة قبل التناول من الخبز وأخرى قبل التناول من الخمر، متذكرين في قلوبنا أثناء تناولها مقدار ما تحمله المسيح من آلام في سبيل التكفير عن خطايانا، وجعلنا واحداً مع شخصه المبارك.

٢ – إن المسيح وإن لم يعلن لنا أنه حوّل العشاء الرباني إلى جسده ودمه، لكن قوله لتلاميذه أن يصنعوا هذا العشاء لذكره، دليل واضح على أنه يتحول فعلا إلى ذات جسده ودمه. لأن التذكار أربعة أنواع: فهو إما صورة، أو خبز، أو أثر، أو عين الشئ المطلوب تذكره. وبما أن العشاء الرباني ليس صورة للمسيح، أو خبزاً عنه، أو أثراً من آثاره، إذاً فهو عين ذاته. مثله في ذلك مثل "المن" الذي أمر الله موسى أن يحتفظ به في التابوت، تذكاراً للمن الذي أعطاه تعالى للشعب القديم (خروج ١٦: ٢٣). فهذا المن كان تذكاراً، وفي الوقت نفسه كان عين "المن" الذي أعطاه الله لهذا الشعب (الدرة البهية ص ٢١ – ٢٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرد (أ): إن المن الذي كان في التابوت يعتبر تذكاراً عينياً، لأن موسى أخذه من عين المن الذي أعطاه الله للشعب القديم. ثم وضعه هو بذاته في التابوت. وعلى هذا القياس نقول: لو كان يوحنا الرسول (الذي كان واقفاً بجوار المسيح أثناء صلبه) احتفظ لنا في وعاء بشئ من الدم الذي سال من جسم المسيح وقتئذ، لجاز لنا أن نسمي هذا الدم تذكاراً عينياً، لأنه يكون في هذه الحالة، هو دم المسيح بعينه. أما العشاء الرباني فلا يجوز أن يسمى تذكاراً عينياً على الاطلاق وذلك لسببين: (الأول) إنه لم يؤخذ من جسد المسيح، بل من نباتين من نباتات الأرض، هما القمح والعنب. و (الثاني) إن الخبز والخمر المصنوعين من هذين النباتين والمستعملين في العشاء الرباني، لا يطرأ عليهما أي تغيير في المظهر أو الجوهر، يدل على أنهما أصبحا لحماً ودماً أو شبه لحم ودم.

(ب) أما من أي نوع من التذكار يكون العشاء الرباني، فهذا لا يهمنا أو يعنينا، إذ يكفينا أن المسيح قال لنا "اصنعوا هذا لذكري"، ونحن ننفذ وصيته ونصنع هذا العشاء لذكراه بالطريقة التي وضعها لنا. لكن لكي لا ندع للشك مجالا إلى أي إنسان راغب في معرفة الحق نقول: إن لم يكن أمامنا من أنواع التذكار سوى الأربعة التي ذكرها صاحب هذه الحجة, فإن العشاء الرباني يكون تذكاراً تصويرياً، لأنه يصور أمامنا جسد المسيح ودمه، حال كونهما منفصلين أحدهما عن الآخر بالصليب كما ذكرنا.

٣ – قال الرسول "إذاً أي من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق، يكون مجرماً في جسد الرب ودمه" (١ كورنثوس ١١: ٢٧) – فهذه الآية تدل على أن العشاء الرباني يتحول إلى ذات جسد المسيح ودمه، لأنه ليس من المعقول إطلاقاً أن يعطينا المسيح خبزاً عادياً وخمراً عادية، ويعتبرون الذين يتناولون منه بدون استحقاق مجرمين في جسده ودمه (الافخارستيا ص ٤٣).

الرد (أ) نظراً لأن العشاء الرباني ليس تذكاراً لموت المسيح على الصليب، فإن الاستهانة به تعتبر في الواقع إهانة للمسيح نفسه. ولا غرابة في ذلك، فكلنا يعلم أن احتقار صورة إنسان أو تذكاره، هو في الواقع احتقار لشخصه. والكتاب المقدس يعلن لنا هذه الحقيقة بكل وضوح وجلاء. فهو ينبئنا أنه عندما مدّ أحد اليهود يده إلى تابوت الله، مات في الحال (٢ صموئيل ٦: ٦-٧)[٢٠]. لأن التابوت كما يتضح من الكتاب المقدس كان رمزاً للمسيح[٢١]، الذي لم يكن لأحد أن يلمسه أو يدنو إليه قبل التجسد، وذلك لوجوده وقتئذ في حالة اللاهوت المطلق. فقد قالوا "أما التابوت فكان كشخص الله" (حياة الصلاة

[٢٠] أما الطريقة التي أمر الله مراعاتها في حالة نقل التابوت من مكان إلى مكان, فكانت حمله بواسطة العصوين اللتين كانتا على جانبيه (خروج ٢٥: ١٠-١٥).

[٢١] كان تابوت العهد يوضع في قدس الأقداس, وكان يوجد في داخله لوحا العهد, وقسط المن, وعصا موسى التي أفرخت؛ ومن على غطائه كان الله يكلم موسى. ولذلك كان رمزاً للمسيح بوصفه القائم في أقداس الله, والحافظ للشريعة في قلبه, والذي فيه غذاء البشرية, والذي على أساس قيامته المعجزية له حق الكهنوت, والوساطة بين الله والناس.

 All rights reserved © 2008-2018

الأرثوذكسية ص ٥٦٤)، مع أن التابوت لم يخرج عن كونه صندوقاً ليست له في ذاته قيمة، غير قيمته المادية.

(١) أما الطريقة التي أمر الله مراعاتها في حالة نقل التابوت من مكان إلى مكان، فكانت حمله بواسطة العصوين اللتين كانتا على جانبيه (خروج ٢٥: ١٠ – ١٥).

(٢) كان تابوت العهد يوضع في قداس الأقداس، وكان يوجد في داخله لوحا العهد، وقسط المن، وعصا موسى التي أفرخت، ومن على غطائه كان الله يكلم موسى. ولذلك كان رمزاً للمسيح بوصفه القائم في أقداس الله، وللحافظ للشريعة في قلبه، والذي فيه غذاء البشرية،والذي على أساس قيامته المعجزية له حق الكهنوت، والوساطة بين الله والناس.

(ب) فضلا عن ذلك، فإننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نجد أن الرسول قال قبل الآية الواردة في الحجة التي نفحصها وبعدها "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز... إذاً أي من أكل هذا الخبز... وهكذا يأكل من الخبز" (١ كورنثوس ١١: ٢٦ – ٢٨).

ومن هذه الآيات يتضح لنا أن العشاء الرباني لا يتحول إلى جسد المسيح، أو يحل ذات جسد المسيح فيه. لأنه لو كان الأمر كذلك، لما كان الرسول قد دعا الخبز المستعمل في العشاء الرباني، خبزاً وخبزاً فحسب، وذلك كيلا يتسرب الشك إلى أحد من جهة الاستحالة أو الحلول، إن كانت تحدث استحالة أو يحدث حلول.

(ج) أما الاعتراض بأن قول الرسول عن خبز العشاء الرباني إنه خبز، لا ينبغي كونه ذات جسد المسيح، لأن الرسول أطلق عليه هذا الاسم باعتبار ما يبدو عليه بعد الشكر، أو باعتبار ما كان عليه قبله. ومثل الخبز في الحالة الثانية مثل لعازر، فقد قال الوحي عنه عندما أقامه المسيح من الموت "فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطتان"، مع أنه لم يكن ميتاً عندما خرج بل كان حياً (الافخارستيا ص ٥٤، ٩٥)، فلا يجوز الأخذ به، لأننا نعلم أن الحقيقة أسمى من الشكل، وأن الجوهر أفضل من العرض، وأن ما آل إليه الشيء أحق بالذكر مما كان عليه من قبل. ولذلك لو كان الخبز يتحول فعلاً إلى ذات جسد المسسيح، أو أن ذات جسد المسيح يحل فيه، لما كان الرسول قد أعلن بعد تسجيل قول المسيح عنه أنه جسده، إنه خبز وخبز فقط، ليس مرة واحدة بل ثلاث مرات متتالية. أما من جهة لعازر، فإن قول الوحي عنه عندما أقامه المسيح من الموت "فخرج الميت"، لا يمكن أن يفهم منه إنسان عاقل أن لعازر عندما خرج من القبر كان ميتاً، لأن كلمة "خرج" وحدها،تدل بوضوح على أنه أصبح حياً. وإذا كان الأمر كذلك. فإن خبز العشاء الرباني، بعد قيام المسيح بالشكر (لوقا ٢٢:١٩ و١ كورنثوس ١١: ٢٤)، لا يكون جسداً بالمعنى الحرفي، بل يكون خبزاً فحسب كما كان من قبل. لأنه لم يطرأ عليه تغيير يصبح به شيئاً غير الخبز.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٤ – قال الرسول "كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد" (١ كورنثوس ١٠: ١٥ – ١٦). ولما كان الاشتراك في الشيء هو الحصول عليه، يكون اشتراكنا في دم المسيح هو حصولنا عليه، واشتراكنا في جسد المسيح هو الحصول عليه أيضاً – وحصولنا على هذا وذاك يدل على أن الخبز والخمر المستعملين في العشاء الرباني يتحولان إلى ذات جسد المسيح ودمه (الافخارستيا ص ٩٣).

الرد (أ) حقاً إن الشركة في الشئ هي الحصول عليه، أو بتعبير أدق هي الحصول على نصيب فيه. لكن يجب ألا يفوتنا أن هذا الحصول يكون بمعنى مادي ويكون أيضاً بمعنى روحي، وذلك تبعاً للقرينة. والقرينة هنا تدل على أن اشتراكنا في جسد المسيح ودمه هو بمعنى روحي، لأن علاقتنا مع المسيح هي علاقة روحية لا مادية، ولذلك فالمراد بالآيات المذكورة هنا، هو أن تناولنا من الخبز والخمر دليل على أن لنا شركة ونصيباً في جسد المسيح ودمه، أو بالحري في الفوائد التي نتجت من موته على الصليب كفارة عنا. وهذه الفوائد هي التبرير والحياة الأبدية، وصيرورتنا أعضاءً بصفة روحية في جسده القدوس الطاهر (رومية ٥:١، يوحنا ٣:١٦، أفسس ٥: ٢٠).

(ب) ومما يثبت أيضاً أن هذه الآيات لا تدل على أن العشاء الرباني يتحول إلى ذات جسد المسح ودمه، أو أن ذات جسد المسيح ودمه يحلان فيه، أن الرسول أعلن مرتين في الآيات الواردة في هذه الحجة، أن الخبز الذي نكسره ونتناوله هو أيضاً خبز وخبز فحسب، وغنى عن البيان أنه لو كان الخبز المذكور يتحول إلى ذات جسد المسيح أو أن ذات جسد المسيح يحل فيه، لما دعاه الوحي خبزاً على الإطلاق، بل لدعاه جسداً ولنبّر أيضاً على أنه جسد، وذلك كي لا يتسرب إلى أحد شك من جهة الاستحالة أو الحلول، إن كانت تحدث استحالة أو يحدث حلول، كما ذكرنا في الرد على الحجة السابقة.

٥ – كيف يكون العشاء الرباني خبزاً وخمراً عاديين، وقد قال الوحي عن الكأس المستعملة فيه إنها كأس البركة وإننا نباركها؟!

الرد (أ): القول "كأس البركة" لا يعني أن هذه الكأس فيها بركة بمعنى "نعمة خاصة"، بل يعني أنها "كأس الشكر" أي الكأس التي شكر المسيح عندما أعطاها لتلاميذه، ونشكر نحن أسوة به عندما نتناولها. ولا مجال للاعتراض على ذلك لأن الوحي لا يذكر أن المسيح بارك الخبز أو الكأس.بل ذكر فقط أن المسيح بارك بدون أي مفعول بعد ذلك.

والفعل "بارك" بدون أي مفعول بعده، يراد به "بارك الله"، لأن حذف المعلوم جائز. ومما يثبت أن البركة هنا يراد بها "الشكر"، أن لوقا البشير وبولس الرسول عند

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تسجيلها حديث المسيح عن العشاء الرباني، ذكرا أن المسيح "شكر" عوضاً عن "بارك" (لوقا ٢٢: ١٦ – ٢٠، ١ كورنثوس ١١: ٢٤، ٢٥). واستعمال كلمة "بارك" بمعنى "شكر" كثير في الكتاب المقدس، فقول المرنم "باركي يا نفسي الرب" (مزمور ١٠٣: ١) معناه اشكريه. وقد شهد بهذه الحقيقة علماء اللغات فقالوا إن الشكر في اليونانية تقابله المباركة في العبرانية (Ency.Britan, v. 8, p. 793).

(ب) كما أن العبارة التي "نباركها" ليس معناها التي نودع فيها بركة (بمعنى نعمة روحية)، أو التي يودع الله فيها بركة بهذا المعنى بسبب الصلاة التي نرفعها إليه (لأن المسيحية لا تعلمنا أن البركة (بالمعنى المذكور) تحل في المادة، ثم تنتقل من هذه المادة إلى نفس من يستعملها. لكنها تعلمنا أن البركة (بهذا المعنى) تنتقل مباشرة من الله إلى النفوس المتصلة به والمقدسة له) بل معناها "التي نشكر الله من أجلها"، أو بالحري" من أجل ما تدل عليه من معنى". ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، لأن الرسول خصّ الكأس دون الخبز بالبركة، فقال "الكأس التي نباركها... الخبز الذي نكسره"، وليس من المعقول أن تكون الكأس فيها بركة (بمعنى نعمة روحية) دون الخبز، لأن الاثنين معاً تذكار واحد للمسيح. هذا وقد ذهب إلى أن "نباركها" هنا معناها "نشكر الله من أجلها" كثير من المفسرين، وفي مقدمتهم الأستاذ اترمبلاس أحد علماء الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية، فقال في تفسيره الكتاب المقدس (ج١ ص ٢١٨) "لانباركها، أي نقدسها[٢٢] بصلاة الشكر".

(ج) فضلا عن ذلك فإننا إذا وضعنا أمامنا أن "المباركة" تأتي أيضاً بمعنى "المدح": (Greek-EnglishExhaustive Analytical Concordance Lexicon) وأن الوحي نفسه استعملها بهذا المعنى في قوله "مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأول"، (رؤيا ٦:٢٠)، أدركنا أن القول "الكأس التي نباركها"، يمكن أن يكون المراد به أيضاً "التي نشيد بها لما تدل عليه من معنى"، وهذا المعنى كما تعلم هو الفداء الكريم الذي نعتز به جميعاً.

٦ – قال الرسول "هكذا فليحسبنا الإنسان خدام المسيح ووكلاء سرائر لله" (١ كورنثوس ٤: ١) – هذه الآية تدل على أن في العهد الجديد أسراراً، وهذه الأسرار هي

[٢٢] والغرض من التقديس (كما يتضح من قواميس اللغة اليونانية وغيرها من اللغات الأجنبية) ليس "إيداع نعمة خاصة"، بل "التطهير أو التخصيص لعمل من الأعمال الدينية".
ونظراً لأن الخبز والخمر ليست بهما نجاسة ما حتى نسعى إلى تطهيرهما إذ أن النجاسة ليست في المواد بل في الناس الذين يفعلون الخطية، لذلك يراد بالتقديس هنا التخصيص وحده.
وللايضاح نقول إن أواني الهيكل في العهد القديم كانت مقدسة (خروج ٤٠: ٩)، ليس بمعنى أنها كانت مطهرة من خطية أو بها نعمة خاصة، بل بمعنى أنها كانت مخصصة لخدمة الله في العهد المذكور. وأن المسيح قدس نفسه لأجلنا (يوحنا ١٧: ١٩)، ليس بمعنى أنه طهرها أو أودع فيها نعمة خاصة لأجلنا، بل بمعنى أنه خصصها لرعايتنا والاهتمام بنا.
ولذلك فإن المراد بتقديس الكأس بصلاة الشكر، هو تخصيصها بهذه الصلاة لتكون تذكاراً لدم المسيح، الأمر الذي يجعل التناول من الكأس (والخبز أيضاً) باعثاً على تذكر آلام المسيح بالهيبة اللائقة به، كما ذكرنا في الرد على الحجة الثالثة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأسرار السبعة التي من بينها العشاء الرباني. وكونه سراً دليل على أنه يتحول إلى ذات جسد المسيح ودمه (الأسرار السبعة ص ١١).

الرد: إن الأسرار أو السرائر، كما نعلم جميعاً، هي أمور عند البعض لا يعرف البعض الآخر عنها شيئاً. لذلك فالأسرار أو السرائر التي كان الرسول وكيلا لها، هي أمور لم يكن يعرف هو أو غيره عنها شيئاً، ومن ثم فإن الله بإعلانها له، قد أعلن لنا ما نسميه أسراراً أو سرائر. وهذه الأسرار أو السرائر، كما يتضح من الكتاب المقدس، تشمل ثلاثة أنواع رئيسية:

(النوع الأول) متعلق بالله، مثل: (أ) سر الله الآب والمسيح، وهو الخاص بالمسيح بوصفه الذي حل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً (كولوسي ٢: ٢ – ٩). (ب) سر التقوى، وهو الخاص بظهور الله في الجسد (١تيموثاوس ٣: ١٦). (ج) سر مشيئة الله، وهو الخاص بجمع كل شئ في السماء والأرض في المسيح (أفسس ١:٩). (د) سر المسيح، وهو الخاص بجعل المؤمنين الحقيقيين به شركاء في الميراث السماوي لا فرق في ذلك بين جنس وآخر (أفسس ٣:١ – ١١). (هـ) سر الإنجيل، وهو الخاص بأن الخلاص (الذي كان يتطلع إليه أبناء العهد القديم وغيرهم من القديسين في هذا العهد) هو بالفداء الذي عمله المسيح على الصليب (أفسس ٦: ١٩). (و) سر الإيمان، وهو الخاص بالحقائق المسيحية (الدينية منها والروحية)، التي كانت في طيّ الكتمان قبل إعلانها (١ تيموثاوس ٣: ٩). (ز) أسرار ملكوت السماوات، وهي الخاصة بتدبيرات الله الأزلية من جهة ملكوته في العالم (متى ١٣: ٣ – ٥).

(النوع الثاني) متعلق بالمؤمنين مثل: (أ) سر اقتران المسيح بالمؤمنين الحقيقيين، وجعلهم كعروس له (من جهة محبته لهم) وأعضاء له (من جهة علاقته بهم) (أفسس ٥: ٢٨ – ٣٢). (ب) سر وجود المسيح في المؤمنين، وهو الخاص بجعل هؤلاء المؤمنين رجاء المجد المنتظر (كولوسي ١: ٢٦ – ٢٧). (ج) سر السبعة الكواكب، وهو الخاص بالمسؤلين عن الكنائس السبع، التي ترمز الكنيسة في كل أدوارها على الأرض (رؤيا ١: ٢٩). (د) سر اختطاف المؤمنين الحقيقيين، وهو الخاص بتغيير أجساد الذين سيكونون منهم على الأرض عند مجئ المسيح في المرة الثانية، واختطافهم إليه دون أن يذوقوا الموت الجسدي (١ كورنثوس ١٥: ٥١ – ٥٢، ١ تسالونكي ٤:١٤ – ١٧).

(النوع الثالث) متعلق بغير المؤمنين مثل: (أ) سر قساوة قلوب اليهود، وهو الخاص برفضهم للمسيح على الرغم من شهادة التوراة التي بين أيديهم عن شخصه (رومية ١١: ٢٥). (ب) سر الإثم، وهو الخاص بالشر الدفين الذي يعمل الآن في أبناء المعصية ضد الله (٢ تسالونيكي ٢: ٧) (ج) سر بابل، وهو الخاص بالتمرد على الله الذي سيظهر في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأزمنة الأخيرة (رؤيا ١٧: ٥ – ٧). ونظراً لأن هذه الأسرار قد أُعلنت لنا في العهد الجديد، لذلك لم تعد أسراراً بالنسبة لنا.

أما الأسرار السبعة التي يقول عنها المؤمن بالاستحالة، فليس لها أساس في الكتاب المقدس كأسرار. حقاً إن الرب أمر الخطاة بالتوبة والعماد، وأعطى الروح القدس للمؤمنين الحقيقيين، وعينهم كهنة لله الآب، وأمرهم بممارسة العشاء الرباني، وسمح لهم بالزواج، وأوصاهم أنه إذا مرض أحدهم فعليه أن يدعوا شيوخ الكنيسة (أو قسوسها) ليصلوا لأجله ويدهنوه بزيت باسم الرب، وأعلن لهم أن صلاة الإيمان تشفي المريض. لكن ليست هناك آية واحدة في الكتاب المقدس تنص على أن هذه الأعمال تدعى أسراراً – فضلا عن ذلك فإن معظم هذه الأعمال كانت تمارس قبل المسيحية بواسطة رجال العهد القديم، فقد كانت لهم زوجات (تكوين ٢٤: ٦٧)، وكان من يسقط في خطية منهم يعترف بها الله ويتوب عنها (مزمور٣٢: ٥)، وكان الله يقيم من بينهم كهنة، وكان هؤلاء الكهنة يمسحون بدهن المسحة رمزاً لحلول الروح القدس عليهم (خروج ٢٨: ٤١، ١ يوحنا ٢:٢٠)، ولذلك ليس من الصواب في شئ أن يقال إن الزواج والتوبة والكهنوت الطقسي أو بالحري الظاهري أو الشكلي) ودهن المسحة (إن كان للإثنين الأخيرين أساس في العهد الجديد) هي أسرار أتت بها المسيحية.

٧ – إن الدسقولية (التي وضعها الرسل الإثني عشر عندما اجتمعوا مرة هم وبولس الرسول ويعقوب أخو الرب في أورشليم، كما جاء في (أعمال الرسل ١٥: ١ – ٣٢) قد أعلنت عن وجود الأسرار السبعة في الكنيسة – وكفى بذلك دليلا على أن هذه الأسرار من تعليم الرسل أنفسهم.

الرد: (أ) إن القول بأن الإثني عشر رسولا وضعوا الدسقولية هم وبولس الرسول ويعقوب أخو الرب، ليس بصواب للسببين الآتيين.

(الأول) إن يعقوب أخا يوحنا (أحد الإثني عشر رسولا (متى ١٠: ٢)) كان قد قتل قبل هذا الاجتماع بواسطة هيرودس الملك (أعمال ١٢:٢)، ولذلك فالرسل، عدا بولس الرسول ويعقوب أخا الرب، كانوا عند الاجتماع المذكور أحد عشر رسولا فقط.

(الثاني) إن قرارات الرسل في هذا الاجتماع كانت خاصة بالقضايا التي قامت بين اليهود واليونانيين، وكانت تنحصر في وجوب الإمتناع عما ذبح للأوثان وعن الدم والمخنوق والزنا (أعمال ١٥: ٢٠ و ٢٩)،

(ب) أما المؤرخون العالميون فقد ذهبوا إلى أن الدسقولية لم تكتب بواسطة الرسل، بل كتبت بواسطة بعض رجال الدين فيما بين القرنين الثاني والرابع، ولذلك تكون قد نسبت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(مثل بعض الكتب الدينية القديمة) إلى الرسل لتكون لها أهمية خاصة[٢٣]. ولا شك عندي في صدق هؤلاء المؤرخين، لأن الدسقولية أتت لنا بأمور تتعارض مع الكتاب المقدس كل التعارض، وبأمور أخرى لم يكن وجود لها على الإطلاق في العصر الرسولي. فمن جهة الأمور الأخرى، قالت إن الأسقف هو إله المسيحيين على الأرض بعد الله الإله الحقيقي (ص ٦٥)، وأنه ملكهم الذي يجب أن يقدموا له الجزية (ص ٧٣)، وألا يحاسبوه عن أي عمل من أعماله (ص ٧٥) – وهذا ما يتعارض مع الكتاب المقدس كل التعارض (اقرأ: متى ٢٣: ٨ – ١١، تيطس ١: ٣ – ١٢، بطرس ١: ١٠)

ومن جهة الأمور الثانية أشارت إلى تقسيم الإنجيل إلى فصول (ص ١٢) وإلى وجوب ممارسة صوم الأربعين (ص ١٣٠)، وإلى وقتي عيد الميلاد والقيامة (ص ١٣٠)، مع أن العمل الأول قام به عمونيوس الشماس الإسكندري في القرن الثالث (مرشد ص ٣٥)، وصوم الأربعين لم يصبح فرضاً دينياً إلا في القرن الرابع (ريحانة النفوس ص ٥٠)، وتحديد يوم لعيد القيامة كان بواسطة ديمتريوس بطريرك الاسكندرية.

في القرن الرابع أيضاً (تاريخ الأمة القبطية ص٢١٠)، وظهور عيد الميلاد كان في القرن الرابع كذلك (اللالئ النفسية ج١ ص ٥٠٥، وريحانة النفوس ص ١ – ١٥).

(ج) ومما يثبت أيضاً أن الدسقولية لم تعمل بواسطة الرسل، أن الذين يعتمدون عليها يجهلون المكان الذي ظهرت فيه أول الأمر (الدسقولية ص ٨)، كما يجهلون اسم الشخص الذي كتبها (تاريخ كنيسة أنطاكية ص ٤٥). فضلا عن ذلك لو كان الرسل قد عملوا الدسقولية، لكانت أرفقت بالكتاب المقدس منذ القرن الأول وظلت مرافقة له منذ هذا القرن، ولما كانت تختفي تبعاً لذلك فترات طويلة. فقد سجل المؤرخون السابق ذكرهم أن أول إشارة إلى وجود الدسقولية بعد القرن الخامس، كانت بواسطة شخص يدعى نيسيفوروس عاش في القرن التاسع، وأنها لم تعد للظهور بعد ذلك إلا في القرن السادس عشر، وذلك في دار الكتب البطريركية بالقسطنطينية بواسطة شخص يدعى برنيوس. ثم اختفت بعد هذا القرن ولم تكتشف إلا سنة ١٨٧٣ بواسطة شخص يدعى فيلوثيوس، الأمر الذي يدل على أنه لم يكن موجود منها في العالم سوى نسخة أو نسخ قليلة جداً يحتفظ بها بعض الأفراد أو الكتبات.

(د) أما من جهة إعلان الدسقولية عما يدعونه أسراراً، فكل ما جاء بها هو القول "نأمر جملة بألا يعمل أحد من العلمانيين (أو بالحري العامة بالنسبة إلى رجال الدين) شيئاً

---

[٢٣] أنظر كلمة "Didache" في المراجع الإنجليزية العامة. ثم الكتب الآتية:
(أ) ١٨ – ١٤."Christian" Belief" pp
(ب) تاريخ كنيسة أنطاكية ج١ ص ٤٥ و ٥٠
(ج) تاريخ موسهيم ص ٢٠٤
(د) الخريدة النفيسة ج١ ص ٢٣٧.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من أعمال الكهنوت التي هي (١) القربان (٢) التعميد (٣) وضع اليد أو الميرون (٤) قسمة الكهنة أو إقامتهم في وظائفهم (ص ١٤٤).

ومن هذه العبارة وغيرها من العبارات التي وردت في الدسقولية يتضح لنا وإن كانت قد دعت القربان "سرا"، غير أنها لم تدع الأعمال الباقية أسراراً، كما أنها لم تذكر ما يسمى "سر الاعتراف" أو "سر الزواج" أو "سر مسحة المرضى". والقائلون بالإستحالة مع معرفتهم بهذه الحقيقة يقولون إن ذكر أربعة أسرار فقط في الدسقولية، ليس هو على سبيل الحصر بل على سبيل المثال. ولكن العبارة التي اقتبسناها من الدسقولية لا تدل على أن ما ذكرته هو على سبيل المثال بل الحصر، لأنها لا تقول "أعمال الكهنوت مثل"، بل تقول أعمال الكهنة التي هي.."، الأمر الذي يدل على أن الأمور التي كانت تسمى أسراراً، كانت لغاية القرن الرابع أربعة فقط.

فضلاً عن ذلك فإننا إذا درسنا الدسقولية من أولها إلى آخرها لا نجد بها أية عبارة تدل على أن هذه الأسرار هي علامات منظورة تعطي بواسطتها بركات غير منظورة، أو أن العشاء الرباني يتحول إلى لاهوت المسيح وناسوته، أو أنه من الواجب على المؤمنين أن يسجدوا له سجودهم لله. بل كل ما يستنتج من الدسقولية أن الأعمال المذكورة كانت وقتئذ مجرد رموز لحقائق روحية، كما سيتضح من البند التالي.

٨ – إن كان الأمر كذلك، فكيف دخلت الأسرار إلى الكنائس المسيحية؟

الرد: (أ) إذا رجعنا إلى تاريخ القرن الثاني للميلاد[٢٤]، نجد أن كلمة "سر" بجانب استعمالها بالمعنى المادي، كانت تستعمل بمعنى "العهد المقدس". فمن المأثور عن بليني الأصغر أنه قال "إن مسيحيي بيت عنيا ربطوا أنفسهم بسر ألا يرتكبوا إثماً". كما كانت تستعمل عند المسيحيين في هذا القرن للتعبير عن الأمور السامية، مثل "الفداء بالصليب" و"قيامة المسيح" و"الحياة المسيحية" و"البر" و"الخلاص" و"الصلاة" و"القسم على الشيطان". وأيضاً للتعبير عن بعض الرموز المستخدمة لديهم مثل "الملح الذي كانوا يعطونه للموعوظين"، كعلامة على أنهم أصبحوا مثل الملح الذي يصلح المجال الذي يوضع فيه. وبعد ذلك استعملت لديهم للتعبير عن الأشياء المخصصة لخدمة الله مثل "الأموال التي كانت تجمع للفقراء أو لخدام الإنجيل"، ولعل السبب في تسمية هذه الأموال سراً، أنها كانت تُعطى للأشخاص المجموعة لهم، دون أن يعلم غيرهم بشيء عنها.

[٢٤] أنظر كلمتي sacrament و mystery في المراجع الإنجليزية العامة, ثم الكتب الآتية (أ) hagenback s p. 207 (ب) ريحانة النفوس ص ١٦٧ – ١٦٨ (ج) تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ص ٢٤٣ (د) تاريخ الإصلاح لدوبنييه ص ٥٧٩ (ه) تاريخ موسهيم ص ٧٣, ١١١ (و) الخريدة النفيسة ص ٣٨٩ (ز) الدسقولية ص ١٠٢ و ١٩٢.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(ب) وفي أواخر القرن الثاني استعمل بعض رجال الدين كلمة "السر" بمعنى "العلامة المنظورة التي تدل على حقيقة غير منظورة". وقد أطلق هذا المعنى على المعمودية والعشاء الرباني وزيت المسحة، فأطلق على المعمودية بمعنى أنها علامة للموت مع المسيح والقيامة معه (كولوسي ٢: ١٢)، وعلى العشاء الرباني بمعنى أنه علامة للإشتراك في جسد المسيح ودمه (١ كورنثوس ١٠: ١٥)، وعلى زيت المسحة بمعنى أنه علامة لحلول الروح القدس.

وفي أواخر القرن الثالث أطلق بعض رجال الدين كلمة "سر" على أمر آخر قالوا إنه "الكهنوت" أو بالحري الكهنوت الطقسي أو الشكلي. وبذلك أصبحت الأمور التي تدعى عندهم أسراراً (بمعنى علامات خارجية لحقائق روحية)، أربعة فقط، وظل الأمر على هذه الحال حتى القرن الرابع كما ذكرنا في حديثنا عن الدسقولية.

أما الدكتور أسد رستم فقال في كتابه (تاريخ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى: ج ١ ص ٥١)، "إن الأسرار في القرن الأول كانت ثلاثة هي المعمودية ووضع الأيدي (الذي يسمى أيضاً زيت المسحة) وكسر الخبز". وإن كان هذا المؤرخ قد قال الصدق، فلم يذكر أن الأسرار كانت سبعة في القرن الأول (كما يقول بعض رجال الدين، غير أنه لم يقل الصدق كله، لأن الأمور الثلاثة التي ذكرها – وإن كان المسيحيون قد استعملوها في القرن الأول – لكنها لم تكن معتبرة وقتئذ لديهم أسراراً، والدليل على ذلك أن الكتاب المقدس الذي كُتِبَ جزء منه في أواخر القرن الأول لم يطلق عليها هذا الاسم. ومع كل فقد ذكر رستم في كتابه المذكور عبارة لها قيمتها. فقال في (صفحة ٤٦) "إن المسيحيين كانوا يعتبرون ماء المعمودية رمزاً للضمير الصالح بناء على ما جاء في (رسالة بطرس الأولى ٣: ٢١)". ومن هذا يتضح لنا أنهم لم يعتبروا المعمودية سراً بمعنى علامة منظورة ينال بها المؤمن بركة غير منظورة، كما يقول المؤمنون بالاستحالة الآن في تعريف الأسرار.

(ج) وبعد القرن الرابع، أخذت الأمور التي يُقال إنها أسرار بالمعنى السابق ذكره، تزداد شيئاً فشيئاً، ويرجع السبب في ذلك (كما أرى) إلى أن بعض رجال الدين الذين أرادوا أن يحيطوا بعض الأمور الدينية (كالتوبة) والاجتماعية (كالزواج)، بشيء من الهيبة حتى يوقرها المسيحيون ويقبلوا عليها بتدقيق وإخلاص، ولذلك أطلقوا عليها أسراراً. فقد قال فم الذهب "ولتظهروا الأدب اللائق والورع والسكينة والاعتبار للأسرار الإلهية، فهي لا تُدعى أسراراً إلا لكونها كذلك. وحينما كانت الأسرار فهناك الهدوء والسكينة" (مواعظه ٢٠٤).

غير أن بعض المؤرخين ذهبوا إلى أن زيارة عدد الأسرار ترجع إلى أن اليونان وأهل الشرق (لا سيما الغنوسيين منهم)، لم يكن لديهم شئ أقدس مما يدعونه "الأسرار".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فإذا أراد المسيحيون الأوائل أن يخلعوا عظمة خارجية على ديانتهم الجديدة، أطلقوا على بعض الأمور الواردة بها أسراراً (موسهيم ص ٧٣و١: ١١).

(د) وسواء أكان الرأي الأول هو الصواب، أم كان الثاني هو الصواب، فإنه لم ينتهي القرن التاسع حتى كانت الأسرار قد بلغت اثني عشر سراً.. ثم أخذت أيضاً تزداد وتزداد حتى بلغت في أواخر القرن العاشر ثلاثين سراً. وبعد ذلك رأى القائلون بالأسرار أن يكتفوا بسبعة منها، باعتبار أن السبعة عدد كامل. وكان أول من نادى بذلك، هو الراهب بطرس لمبارد سنة ١١٦٤ م. ومما يجدر ذكره أن في هذا العام جاهر الكسندر هالس بخطأ الاعتقاد بسبعة أسرار، وأثبت من الكتاب المقدس ومن أقوال أغسطينوس أنه لا يوجد في المسيحية سوى سرين بمعنى علامتين لحقيقتين روحيتين، هما المعمودية والعشاء الرباني. وحذا حذوه في ذلك كثير من العلماء، في مقدمتهم بطرس وولد (الذي ترجم الكتاب المقدس وغيره من الكتب الدينية إلى الفرنسية)، فسمع بعض المسيحين لهم ولم يسمع البعض الآخر.

(ه) وفي مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩، وليس قبل هذا التاريخ على الاطلاق، عرف بعض رجال الدين "السر" بأنه علامة منظورة ينال بواسطتها الإنسان نعمة غير منظورة – وهذا التعريف ليس له أساس في الكتاب المقدس، لأن هذا الكتاب لا يعلمنا أن النعمة تحل في المواد (مثل الماء والزيت والخبز والخمر)، ثم تنتقل إلى نفس الشخص الذي يستعمل المواد المذكورة، بل تعلمنا أن النعمة تنتقل مباشرة من الله إلى النفوس المؤمنة به والمقدسة له، وذلك باتصالها الروحي به.

أما قول المؤمن بالإستحالة (إنهم جميعاً يشعرون بالحصول على بركة خاصة عند ممارسة الأسرار، فلا يجوز الأخذ به، إذ فضلاً عن أن الشعور ليس أساساً للحكم (فقد يشعر المرء بسرور دون أن يكون هناك ما يوجب السرور، ويشعر بالخوف دون أن يكون هناك ما يوجب الخوف)، فانه لا يمكن أن يحصل إنسان على بركة ما، لمجرد ممارسته واحداً من الأمور التي تدعى الأسرار، لأنه ليس لها أساس في الكتاب المقدس كأسرار على الإطلاق.ولذلك فان البركة التي يقولون (إن جاز أن تسمى بركة) لا تكون صادرة من الله، بل من اعتقادهم بأن هذه الأمور فيها بركة، أو بالحري من إيحائهم لأنفسهم أن فيها بركة.

وإننا بقولنا هذا، لا ننكر أن هناك بركة في ممارسته العشاء الرباني، بل إن ما ننبر عليه هو أن المؤمنين الحقيقيين وحدهم هم الذين يحصلون على بركة عند ممارسة هذا العشاء، وأن هذه البركة هي التمتع بمحبة المسيح الغنية التي تجلت في موته نيابة عنهم، الأمر الذي يملؤهم بالفرح الروحي ويقودهم إلى التعبد القلبي للمسيح والتفاني في خدمته وإكرامه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(ز) أخيراً نقول إن كلمة "السر" بالمعنى المعروف عند القائلين بالإستحالة. والتي يقابلها في الأصل اللاتيني كلمة: "sacramentum – ساكرمنتم" ومعناها "شيء مقدس"، ليس لها أساس في الكتاب المقدس، بل كانت تستعمل عند الرومان للتعبير عن أمرين رئيسيين:

(الأول) قَسَم الطاعة الذي كان ينطق به الجنود عند التحاقهم بالجيش.

و(الثاني) التعهد الذي كان يقوم به الوثنيون بينهم وبين آلهتهم قديماً. فاقتبس القائلون بالإستحالة (كما يبدو لي) هذه الكلمة، واستعملوها للتعبير عن الأسرار التي اصطلحوا عليها، ولعلهم فعلوا ذلك لأنهم اعتبروا الأسرار المذكورة أشياء مقدسة سرية يقوم بها الكهنة بينهم وبين الله.

أما الكلمة المستعملة في الكتاب المقدس عن "السر" فهي "مستريون"، وهذه الكلمة يونانية ويُراد بها معنيان.

(الأول) الأمر الذي لم يكن معروفاً من قبل، وهذا هو المعنى العادي للسر.

(الثاني) الشرح الذي يكشف الأمر الغامض ويفسره.

ومن المواضع التي استُعمِلت فيها كلمة "سر" هذا بالمعنى الأول، الآية الواردة في (١ كورنثوس ١٥: ٥١). وبالمعنى الثاني، الآية الواردة في (رؤيا ١:٢٠). فقد جاء في الآية الأولى "هو ذا سر أقوله لكم. لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نتغير، في لحظة في طرفة عين، عند البوق الأخير". وجاء في الآية الثانية "سر السبعة كواكب التي رأيت عن يميني، (تفسيره هكذا) السبعة كواكب هي ملائكة السبع الكنائس". وإذا كان الأمر كذلك، فإن الأسرار بالمعنى المعروف لدى القائلين بالإستحالة، ليس لها أساس في الكتاب المقدس على الإطلاق كما ذكرنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣

الحجج الخاصة بالقربان والخدمة والمذبح

١ – قال بولس الرسول عن نفسه: "حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم، مباشراً لإنجيل الله ككاهن، ليكون قربانَ الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس" (رومية ١٥: ١٦) – فهذه الآية تنص على وجود قربان في العهد الجديد، وكونه قرباناً دليل على أنه ذات جسد المسيح ودمه (الرد على العشاء الرباني ص ١٠١).

الرد (أ) إن القائلين بالاستحالة يعتقدون أن العشاء الرباني لديهم يكون مقبولا أمام الله. إذا توافر في عمله الشرطان الآتيان:

(الأول) وجود كاهن معيّن في نظرهم تعييناً رسمياً، سواء أكان هذا الكاهن تقياً أم شريراً. وقد بلغ الإخلاص ببعضهم لهذه العقيدة شأواً بعيداً حتى أنه قال: إن الإستحالة تتم سواء أكان الكاهن ملاكاً رحيماً أم شيطاناً رجيماً (سر العشاء الرباني ص ٦٤)[٢٥].

لكن يتضح من الآية التي نتأملها، أن الرسول يجعل قبول "قربان الأمم" الذي يتحدث عنه، متوقفاً على أساسين مختلفين عن المعروفين عند القائلين بالإستحالة. وهذان الأساسان هما (١) إخلاصه كخادم للمسيح (٢) مباشرته لإنجيل الله – ولذلك لا يجوز للقائلين بالإستحالة أن يأخذوا هذه الآية دليلا على أن المراد بالقربان الوارد فيها، هو العشاء الرباني.

(ب) وإذا كان هذا القربان ليس هو العشاء الرباني، فترى ماذا يكون؟

الجواب: إذا تأملنا الآية المعروضة أمامنا، سواء أفي ذاتها أم مع غيرها من الآيات الواردة قبلها وبعدها، يتضح لنا أن المراد بهذا القربان لا يمكن أن يكون شيئاً سوى الأمم أنفسهم، أو بالحري المؤمنين من هذه الأمم. وذلك للسببين الآتيين (١) إن الروح القدس

---

[٢٥] (الثاني) استعمال هذا الكاهن لأحد القداديس المعترف بها لديهم، دون غيره من الصلوات.
ولا يتسع المجال أمامنا للرد على هذه العقيدة، ولذلك نكتفي بالقول: إن الله قال للكهنة الأشرار في العهد القديم "لست ألتذ باعتكافكم. إن قدمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضى. وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها" (عاموس ٥: ٢٢ – ٢٦). كما قال لهم" البخور هو مكرهة لي، لست أطيق الإثم والاعتكاف. فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم، وإن كثرتم الصلاة لا أسمع" (إشعيا ١: ١٣ – ١٥). ولذلك لو فرضنا جدلا أن العشاء الرباني يتحول إلى ذات جسد المسيح ودمه، لا يمكن أن يتحول على أيدي جماعة من الأشرار، مهما كانت مراكزهم الدينية. وقد أشار إلى هذه الحقيقة القديس أنطونيوس بإشارة عامة فقال "إن هناك علاقة قائمة بين المواهب وبين السير بالقداسة" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص ١٧١)، أي أنه لا يمكن أن تكون هناك موهبة روحية، إلا إذا توافرت أولا حياة القداسة في صاحب هذه الموهبة.
أما القول (بأن حاجة الخطاة إلى الغفران تدعو الله إلى إجراء الاستحالة، حتى لو كان الكهنة أشراراً)، فلا مجال له على الإطلاق، لأنه فضلا عن أن الغفران لا يمنح بالتناول من العشاء الرباني بل بالإيمان الحقيقي بالمسيح كما ذكرنا فيما سلف، فإن الله لكماله المطلق لا تتغير صفاته ولا تتعارض أعماله مع صفاته، حتى إذا انقلب الكون رأساً على عقب. فالخاطئ يجب أن يتوب ويؤمن بالمسيح إيماناً حقيقياً حتى يرضى الله عنه (مرقس ١: ١٥)، وكل جماعة مسيحية يجب أن تعزل الخبيث من بينها حتى تتقدم وتنموا (١ كورنثوس ٥:١٣)، وإلا فسيهلك الخاطئ ودمه على رأسه، وستفشل هذه الجماعة في رسالتها وتكون عبرة ومثلا – وانهزام اليهود على الرغم من إطلاق الله اسمه العظيم عليه، خير دليل على أن الله لا يستجيب للذين يعيشون في الخطية على الإطلاق.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(المذكور في هذه الآية أنه يقدس القربان)، لا يحل في المادة مثل الخبز والخمر، كما ذكرنا في الفصل السابق، بل يحل في المؤمنين أنفسهم، وذلك لكي يقدسهم ويطهرهم (يوحنا ١٤: ١٦، ١ كورنثوس ٣: ١٦) (٢) إن تشبيه المؤمنين بالقربان أو الذبيحة هو من التعبيرات التي كان الرسول يستعملها في أقواله. فقد قال من قبل للذين كتب لهم هذه الآية "أطلب إليكم برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة..." (رومية ١٢:١). ووجه الشبه بين المؤمنين وبين القربان (أو الذبيحة) هو أن كليهما مقرّب إلى الله ومقدس له، أو بالحري مخصص له كما ذكرنا فيما سلف. وقد شهد أغسطينوس بهذه الحقيقة فقال "جميع القديسين هم الذبيحة العامة التي تقدم لله بواسطة المسيح رئيس الكهنة"، كما قال "الذبيحة الحقيقية تقوم بأن النفس وهي مضطرمة بنار المحبة السماوية، تكرس ذاتها لله تكريساً كاملا" (ريحانة النفوس ص ١٠٠).

(ج) كما أننا إذا رجعنا إلى التراجم الانجليزية، التي يميل أصحابها إلى الترجمة المعنوية دون الحرفية، نجد أنهم ذكروا صراحة أن هذا القربان هو الأمم أنفسهم (أنظر نسختي New World Translation & Moffatt) وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن قول الرسول "قربان الأمم" أو "ذبيحة الأمم" في هذه الآية, يشبه كلّ الشبه قوله "ذبيحة الإيمان" في الآية "انسكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته" (فيلبي ٢: ١٧), إذ كما أنه لا يقصد بهذه الآية, أن الإيمان يقدم ذبيحة, بل أنه نفسه هو الذبيحة التي كان الرسول يخدمها وينسكب عليها أمام الله كذلك لا يقصد بالآية الأولى أن الأمم يقدمون قرباناً أو ذبيحة, بل أنهم أنفسهم قربان أو ذبيحة لله كما ذكرنا.

(د) أخيراً نقول إن الكلمة اليونانية المترجمة "قربان" في الآية "ليكون قربان الأمم مقبولاً.." التي نتأملها الآن ليست هي الكلمة المترجمة "قربان" في الآية التي تقول "فإن قدمت قربانك إلى المذبح" (متى ٥: ٢٣) أو التي تقول "من حلف بالقربان" (متى ٢٣: ١٨). لأن كلمة "قربان" الواردة في الآية التي تقول "قربان الأمم", هي باليونانية "بروسفيرا", بينما كلمة "القربان" الواردة في الآيتين الأخريين هي باليونانية "دورون" والكلمة الثانية تعني "قربان" فقط, بينما الأولى تعني "قربان" كما تعني تقريب "القربان[٢٦]". ولذلك وردت في بعض الترجمات الإنكليزية (مثلاً) Offering أي "قربان" أو Offering up أي "تقريب القربان", (ترجمة: Darby & Moffatt).

لذلك فإن الآية التي نحن بصددها تترجم "ليكون قربان الأمم مقبولاً" بمعنى أن الأمم أنفسهم يكونون القربان المقبول, كما تترجم "ليكون تقريب الأمم, كقربان لله, مقبولاً" – وهاتان الترجمتان وإن اختلفتا في الألفاظ, لكن لهما معنى واحد, وهو أن غرض الرسول

[٢٦] Greek-English Lexicon, p. 550 – واستعمال الكلمة الواحدة تارة فعلاً وتارة اسماً كثير في اللغات الأجنبية. أما في اللغة العربية فقد تعني الكلمة الواحدة أكثر من معنى واحد فكلمة "العين" (مثلاً) لا يراد بها حاسة البصر فقط, بل يراد بها أيضاً "عين الماء" و"الجاسوس" و"الدينار".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من مباشرة إنجيل الله بين الأمم, هو أن يكونوا قرباناً لله. وتقريب الناس لله على مذبح التكريس له لكي يعبدوه ويحيوا وفق إرادته, لهو أفضل قربان لديه تعالى.

٢- قال الرسول عن المسيح "وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً, والبعض أنبياء, والبعض مبشرين, والبعض رعاة ومعلمين, لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح, لكي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين محمولين بكل ريح تعليم, بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال" (أفسس ٤: ١١ – ١٤). فالخدمة هنا تتضمن خدمة العشاء الرباني أو بالحري القداس (الرد على العشاء الرباني ص ٩٥).

الرد (أ) إن القائلين بالإستحالة يعتقدون أن الذين يقومون بالعشاء الرباني هم الأساقفة والقسوس والشمامسة والمرتلون الموجودون في كنائسهم, لكن يتضح من الآيات التي نتأملها أن الله لم يسند القيام بالخدمة الواردة فيها إلى مثل هؤلاء الأشخاص, بل أسندها إلى الرسل والأنبياء والمبشرين والرعاة والمعلمين, ولذلك لا يجوز للقائلين بالاستحالة أن يستنتجوا أن الخدمة في هذه الآيات, يراد بها خدمة العشاء الرباني.

(ب) ومما يثبت أن "الخدمة" هنا لا يراد بها "خدمة العشاء الرباني أو القداس"؛ إن الكلمة اليونانية المقابلة لكلمة "الخدمة" في هذه الآيات ليست "ليتورجيا" التي تعني "خدمة" بمعنى "صلاة" كما هي الحال في الآيات الواردة في (لوقا ١: ٢٣, رومية ١٣: ٦, ١٥: ١٩, عبرانيين ٨: ٢), بل أن هذه الكلمة هي "دياكونيا" أي "خدمة" بالمعنى العادي المعروف لدينا وهو القيام بمساعدة ما لأجل فائدة الآخرين وخيرهم. وقد استعملت في الكتاب المقدس بهذا المعنى للتعبير عن "خدمة الفقراء" أو بالحري "تقديم المساعدات المادية لهم", مثلما جاء في (أعمال ٦: ١, ٢كورنثوس ٩: ١), كما استعملت للتعبير عن "خدمة إنجيل الله" أو بالحري "العمل على إذاعته بين الناس لكي يتمتعوا بفوائده", مثلما جاء في (أعمال ٦: ٤, ٢كورنثوس ٤: ١) ولذلك فإن كلمة "الخدمة" الواردة في الآيات التي نحن بصددها لا يراد بها إلا خدمة الإنجيل, لأنها مسندة إلى الرسل والأنبياء والمبشرين والرعاة والمعلمين, الذين لا عمل لهم إلا بالقيام بهذه الخدمة (أعمال ٦: ٢).

(ج) كما أننا إذا وضعنا أمامنا أن الغرض من الخدمة في الآيات التي نتأملها, ليس تذكر الرب أو غرضاً آخر من الأغراض الخاصة بالعشاء الرباني التي ذكرناها في الباب الأول, بل أن الغرض من هذه الخدمة (مع الغرض من تكميل القديسين وبنيان جسد المسيح, الذي هو المؤمنون الحقيقيون) هو لكيلا يكون هؤلاء المؤمنون مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بل ثابتين في الإيمان وراسخين فيه, تبين لنا بدليل ليس بعده دليل, أن المراد بالخدمة المذكورة هنا هو خدمة إنجيل الله كما ذكرنا, لأن هذا الغرض خاص بها وحدها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣- إن العشاء الرباني ليس تكراراً لذبيحة الصليب حتى يجوز الإعتراض عليه, بل إنه ذبيحة الصليب عينها. ولا فرق بين الاثنين سوى أن ذبيحة الصليب تمت بواسطة اليهود, أما العشاء الرباني فيتم على المذبح بواسطة كهنة العهد الجديد. وأن ذبيحة الصليب كانت انتقامية دموية, أما العشاء الرباني فلا انتقام فيه أو سفك دم, لأنه ذبيحة غير دموية. وأن ذبيحة الصليب لا تؤكل, أما العشاء الرباني فيؤكل. وأن ذبيحة الصليب قدمت مرة واحدة, أما العشاء الرباني فيقدم باستمرار. وأن ذبيحة الصليب كانت لخلاص الجنس البشري ووفاء للعدل الإلهي, أما العشاء الرباني فهو لاستعطاف الله حتى يصفح عن الخطاة (الذين يقدم هذا العشاء لأجلهم) ويمنحهم الحياة الأبدية (الافخارستيا ص ٢٢ و ٢١٦)

الرد (أ) هذه الحجة لا تتفق مع الوحي أو العقل للأسباب الآتية:

(أولاً) القول إن ذبيحة الصليب قدمت بواسطة اليهود ليس بصواب لأن اليهود لم يقدموا المسيح للصلب انتقاماً منه لأنهم كانوا يعتقدون أنه مجدف. أما تقديمه لله كذبيحة فكان بيده وحده, فقد قال المسيح "أنا أضع نفسي عن الخراف (أي أضعها من تلقاء ذاتي)" (يوحنا ١٠: ١٥).

(ثانياً) إن الاختلافات التي قال المؤمنون بالإستحالة بوجودها بين ذبيحة المسيح على الصليب وبين العشاء الرباني, هي اختلافات جوهرية تدلل بأنهما ليسا واحداً.

(ثالثاً) القول بأن العشاء الرباني هو ذبيحة غير دموية فضلاً عن أنه ليس له أساس في الكتاب المقدس, فهو قول يناقض بعضه بعضاً, لأنه يشبه القول إن فلاناً حي جسدياً وميت جسدياً.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذه المناسبة أن الاصطلاح "ذبيحة غير دموية", كان يطلق في القرون الأولى على الصلاة بوصفها مقدمة لله دون أن يكون بها دم مثل الذبائح الحيوانية, فقد قال يوسابيوس "ابن الله الوحيد يتقبل من المؤمنين... الذبائح غير الدموية, غير المادية, المقدمة في صلواتهم" (تاريخ الكنيسة ص ٤٥٦), فاقتبس القائلون بالإستحالة هذا الاصطلاح (كما أعتقد), ووصفوا به العشاء الرباني وحده, ثم فسروه بأنه يدل على "عدم وجود دم في هذا العشاء, دون أن يسفك منه دم" مع أن وجود الدم في أي ذبيحة يجعلها حتماً ذبيحة دموية, سواء أكان هذا الدم موجوداً فيها بذبح, أم دون ذبح, إذ قالوا إنهم يذبحون المسيح بطريقة غير دموية (وإن شئت, فقل بطريقة شكلية), فقد جاء في قرارات مجمع نيقية أنه "على المائدة المقدسة يوضع حمل الله الرافع لخطايا العالم, ويذبح من خدام الله ذبيحة غير دموية" (أسرار الكنيسة السبعة ص ١٠٤). ولعل هذا هو السبب الذي من أجله يثقبون الخبز الذي يعدونه للعشاء الرباني بخمسة ثقوب, ويقولون إنها إشارة إلى الثقوب الخمسة التي ثقب بها جسد المسيح, وهي ثقب الحرية التي طعن بها, وثقب الشوك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الذي وضع على رأسه, وثقوب المسامير الثلاثة التي سمر بها في يديه وقدميه مجتمعة معاً. أما في الكنيسة اليونانية فيقال إن هذه الثقوب تصنع بواسطة حربة في أثناء القداس (اللآلئ النفيسة ج١ ص ٣٧٠).

(ب) وإذا كان الأمر كذلك، فما السبب الذي دعاهم إلى القول إن العشاء الرباني هو ذبيحة غير دموية؟

الجواب: أعتقد أن القائلين بالإستحالة وجدوا أنهم إن قالوا إن هذا العشاء ذبيحة دموية, يكون حتماً غير ذبيحة الصليب, لأن الذبيحة بعدما تقدم مرة, لا يكون بها بعد دم يمكن سفكه منها مرة أخرى, - لكن فاتهم أن الإصرار على أن العشاء الرباني هو ذبيحة غير دموية, فضلاً عن أنه يناقض بعضه بعضاً, فإنه يسلب هذا العشاء الخاصية الأساسية للذبيحة الكفارية, ويجعله جثة ميتة لا يليق تقديمها لله كذبيحة, أو يرتجى من ورائها صفح أو غفران, لأنه مكتوب "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عبرانيين ٩: ٢٢).

وإن قالوا إنه ذبيحة غير دموية, لأن الدم سفك مرة على الصليب, تكون المغفرة بواسطة ذبيحة الصليب وليس بواسطة العشاء الرباني. وإن قالوا إن العشاء الرباني هو نفس ذبيحة الصليب, ففضلاً عن أن هذا القول لا يؤيده وحي أو اختبار كما ذكرنا, فإن ذبيحة الصليب يكون قد تكرر تقديمها هي بعينها لله, وهذا لا يجوز كتابياً أو قانونياً لسببين:

(الأول) إن الذبيحة التي تقدم مرة لله، لا يجوز تقديمها هي بعينها مرة أخرى له.

(الثاني) إن الذبيحة التي قدمت مرة على الصليب كافية كل الكفاية للتكفير عن الخطية إلى الأبد, وليس هناك ما يدعو إلى تقديم غيرها أو إعادة تقديمها هي بذاتها تحت أي شكل من الأشكال (إن جاز حدوث ذلك)، للحصول على غفران ما، ولذلك أعلن الوحي بكل صراحة "أنه لا يكون بعد (ذبيحة الصليب) قربان عن الخطية" (عبرانيين ١٠: ١٨). ومن ثم يكون العشاء الرباني عندهم هو ذبيحة (إن جاز أن يسمى ذبيحة) غير ذبيحة الصليب، اعترفوا بهذه الحقيقة أم لم يعترفوا، ولذلك فإنه لا يجلب صفحاً أو غفراناً.

(ج) فضلاً عن ذلك فإن خلاص الجنس البشري ووفاء العدل الإلهي المذكورين في الحجة التي نحن بصددها، ليسا عملين منفصلين عن الصفح عن الخطايا والحصول على الحياة الأبدية، حتى لا يتم العملان الأولان إلا بذبيحة الصليب، ولا يتم الآخران إلا بالعشاء الرباني كما يقولون. إذ أنه لا خلاص بدون الصفح عن الخطية، ولا وفاء للعدل الإلهي بدون الحصول على الحياة الأبدية. وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن الصفح عن الخطية والحصول على الحياة الأبدية (مثل إجراء الخلاص لنا ووفاء العدل الإلهي عنا) يتحققان معاً بالتمام لكل المؤمنين الحقيقيين على أساس ذبيحة المسيح التي قدمها مرة على الصليب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كما أعلن الوحي (يوحنا ٣: ١٦)، ولذلك لا تكون هناك حاجة إلى ذبيحة غير هذه الذبيح، ولا إلى هذه الذبيحة نفسها مكرر تقديمها تحت أي شكل من الأشكال كما أعلن الوحي (عبرانيين ١٠: ١٨).

٤- إن المسيح لم ينتظر حتى يأتي اليهود ويصلبوه، فيكون كمن أرغم على تقديم نفسه للموت، بل غنه استقبل آلام الصلب في نفسه بحالة روحية قبل وقوعها عليه عملياً بواسطة اليهود (وذلك كما يستقبل المحكوم عليه بالإعدام حكم الإعدام في نفسه قبل تنفيذه فيه عملياً)، ولذلك يعتبر شعورالمسيح بهذه الآلام، وتنفيذها فيه عملياً قبل الصليب، عملاً واحداً. إذاً فقد حدث بذل حقيقي وتضحية فعلية سرية من المسيح بمقتضى القدرةالفائقة عند تأسيس العشاء الرباني، وإذايكون هذاالعشاء هوذبيحة الصليب شيئاً واحداً (الافخارستيا ص ٢٤- ٢٣٠).

الرد (أ) يؤلمناأشد الألم أن نسجل هنا أنقول صاحب هذه الحجة (إنه حدث من المسيح بذل حقيقي وتضحية فعلية عند تأسيس العشاء الرباني) يدل على اعتقاده بأن آلام المسيح الكفارية كانت وقتاً ما ليست آلاماً فعلية بل آلاماً وهمية، وخاطر مثل هذالا يرد إلا في تعبيرات الهراطقة الذينذهبوا إلى أن آلام المسيح كانت تهيؤات وهمية، لأن جسده (في نظرهم)، لم يكن جسداً مادياً بل أثيريا – ذلك لأنه ليس في تأسيس المسيح للعشاء الرباني، أو بالحري في كسره للخبز وتقديمه للكأس، أي دليل واقعي على حدوث موت أوفداء، حتى كان يجوزالقول إن المسيح بذل ذاته للموت في هذا العشاء، أو تنفذ فيه الموت أثناء تأسيسه له، بأي شكل من الأشكال. فضلا عن ذلك فإن تأثر المحكوم عليه بالاعدام، قبل تنفيذه فيه عملياً، لا يعتبر في نظر الحقيقة أو القانون أنه نفذ فيه فعلاً. وإذا كان الأمر كذلك، فإن قول صاحب هذه الحجة (إن شعور المسيح بآلام الصلب قبل تنفيذها فيه، يعتبر وتنفيذها فيه على الصليب عملاً واحداً) ليسبصواب على الاطلاق كما ذكرنا.

(ب) أما الأمور التي تدل حقاً على أن المسيح لم يرغم على تحمل آلام الصليب، بل أنه تقبلها بإرادته ومحض اختياره، فقد تجلت قبل تأسيس العشاء الرباني، وذلك عندما رضى أن يتجسد من العذراء، وعندما ثبت وجهه للذهاب إلى أورشليم، على الرغم من علمه بتربص اليهود له فيها، ومحاولة تلاميذه الحيلولة بينه وبين الذهاب إليها (يوحنا ٨:١١). ثم تجلت بعد تأسيس العشاء الرباني، عندما سلم نفسه للجند بإرادته (يوحنا ١٨: ٤-٨)، وعندما قبل أن يعاني آلام الصلب دون أن يتقبل مخدراً يخفف من حدتها (متى ٢٧: ٣٤)، وعندما امتنع عن استخدام سلطانه الذاتي في القضاء على أعدائه أو في العودة إلى السماء التي آتى منها – وقضاؤه على أعدائه لم يكن يكلفه أكثر من كلمة ينطق بها (متى ٢٦: ٥٣)، والسماء كانت على استعداد للترحيب به في أي وقت أراد، إذ أنها ملكه وتحت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أمرته وسلطانه، وكان قد غادر بإرادته، ومن ثم كان له أن يعود إليها بإرادته أيضاً (يوحنا ٨: ٣٢).

(ج) فضلا عن ذلك فإن شعور المسيح النفسي بآلام الصلب، لم يبدأ عند تأسيس العشاء الرباني، كما يقول صاحب هذه الحجة، لأن المسيح كان يحس بها في الأزل، وذلك على نحو يتفق مع تنـزهه وروحانيته المطلقة وقتئذ، لأنه كان يعلم منذ الأزل، أنه سيقدم نفسه كفارة عن البشرية (١بطرس ١: ١٨). كما كان يحس بهذه الآلام في أوائل الزمن، فأحس بها عندما تعرى آدم بسبب خطيته، واستلزم الأمر أن يكون له قميص من جلد (تكوين ٣: ٢١) لا يمكن الحصول عليه إلا بعد سفك دم حيوان برئ. وكان يحس بها بعد ذلك في الذبائح المتعددة التي كانت تقدم في العهد القديم كفارة عن الخطاة (لاويين١ – ٧)، وفي النبوات الكثيرة التي كانت تقال وقتئذ عما كان عتيداً أن يقاسيه لأجلهم في الجسد من آلام (مزمور ٢٢و ٦٩ واشعيا ٥٣).

(د) وعندما اتى إلى العالم بهيئة منظورة، أخذ يحس بهذه الآلام عنه "هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا١: ٢٩). وعندما قال هو"هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦). وعندما قال "لأن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين" (متى ٢٠:٢٨). وعندما قال "إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت فهي تأتي بثمر كثير" (يوحنا ١٢: ١٤) وكل ذلك كان قبل تأسيس العشاء الرباني بأزمنة طويلة.

(ه) أخيراً نقول: إننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نراه يسجل لنا مرات متعددة أن المسيح كان يعلن لتلاميذه من وقت إلى آخر أنه سيبذل نفسه فدية لأجلهم على الصليب (متى ٢٠: ١٩ و ٣٨، ٢٦: ٢، ...، ...)، لكنه لا يسجل لنا إطلاقاً أن المسيح بذل جسده ودمه بطريقة سرية وقدمهما لتلاميذه تحت شكلي الخبز والخمر. ولو فرضنا جدلاً أن هذا البذل قد حدث، وأن الوحي لم يخبرنا لسبب من الأسباب، لما كان المسيح قد بذل نفسه مرة ثانية على الصليب، إذ تكون المرة الأولى فيها الكفاية للتكفير، لأن الحق الإلهي ليس ما نشاهده نحن أو نحكم به نحن، بل إنه ما يفعله الله ويراه، بغض النظر عن حكمنا وحكم غيرنا من المخلوقات، إذ أنه ليس لنا إلا أن نؤمن بكل عمل يقول الله لنا إنه عمله، سواء أرانا هذا العمل أم لم يُرنا إياه، ولذلك فهذه الحجة ليس لها نصيب من الصواب كما ذكرنا.

٥- قيل عن المذبح في الكتاب المقدس إنه مائدة (ملاخي ١: ٧)، وبناء على ذلك تكون مائدة الرب الوارد ذكرها في (١ كورنثوس ١٠: ٢١) مذبحاً. وبما أنها مذبح، يكون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العشاء الرباني الذي يوضع عليها ذبيحة. وبما أنها ذبيحة، يكون ذات جسد المسيح ودمه (الإفخارستيا ص ٢٣٣).

الرد (أ) إن المذبح يجوز أن يسمى مائدة، لكن المائدة لا يجوز أن تسمى مذبحاً، لأن المائدة أعم من المذبح، ولذلك فإنها تطلق عليه وعلى غيره أيضاً. وللإيضاح نقول إنه من الجائز أن يسمى النجار صانعاً، لكن ليس من الجائز أن يسمى كل صانع نجاراً، لأن الصانع أعم من النجار، إذ أنه يشمل النجار وغير النجار .. وبما أن الكتاب المقدس لم يقل عن مائدة الرب إنها مذبح، لا يجوز لنا إطلاقاً أن نسميها مذبحاً، أو أن نستنتج الإستنتاج الذي ذهب إليه صاحب هذه الحجة.

(ب) فضلاً عن ذلك، فإننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، يتضح لنا أن الاصطلاح "مائدة الرب"، لا يراد به الأداة التي يوضع عليها العشاء الرباني، بل يراد به "العشاء الرباني" نفسه (إذ ان المائدة في حد ذاتها ليست ذات موضوع في المسيحية، لأنه لا يشترط فيها مثلاً أن تكون مصنوعة من نحاس أو خشب. أو أن تكون صغيرة أو كبيرة, أو مرتفعة أو منخفضة، أو مستديرة أو مربعة) فقد قال الرسول: "لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب وفي مائدة شياطين" (١ كورنثوس ١٠: ٢١)، وما نشترك فيه ليس شيئاً من خشب أو غيره من المواد التي تستخدم في صناعة الموائد، بل إنه العشاء الرباني نفسه، ولذلك ليس هناك مجال لهذه الحجة على الإطلاق.

٦- قال المسيح "فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك. فاترك قربانك قدام المذبح، واذهب أولاً واصطلح مع أخيك" (متى ٥: ٢٣- ٢٤)- فهذه الاية تدل على أن في العهد الجديد قرباناً ومذبحاً، لأنه لا يمكن أن يكون القربان والمذبح هنا، هما القربان اليهودي والمذبح اليهودي، وذلك لسببين: (الأول) إن القربان اليهودي والمذبح اليهودي انتهت مهمتهما بمجيء المسيح، وليس من مهمتها. (الثاني) إن المسيح قال لليهود قبل هذه الآية "قد سمعتم أنه قيل للقدماء ... وأما أنا فأقول لكم .."، أي أقول لكم أمراً جديداً لا علاقة له بالعهد القديم وذبائحه. وإذا كان الأمر كذلك يكون القربان الوارد في هذه الآية هو العشاء الرباني، ويكون المذبح هو المذبح المسيحي الذي يوضع عليه العشاء المذكور. وهذا دليل على أن العشاء الرباني ذبيحة، أو بالحري على أنه ذات جسد المسيح ودمه (الإفخارستيا ص ٢٣٣).

الرد (أ) المذبح والقربان المذكوران في هذه الاية، هما "المذبح اليهودي" و"القربان اليهودي"، وذلك للأسباب الآتية:

(١) إن مجرد نظرة إلى هذه الآية (والآيات الموجودة قبلها وبعدها)، ترينا أن المسيح كان يتحدث مع اليهود عن عمل كانوا يمارسونه وقتئذٍ، وليس عن عمل كانوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سيمارسونه في المستقبل، إن كانوا سيؤمنون بشخصه. كما أن القربان اليهودي والمذبح اليهودي لم تنته مهمتهما بمجيء المسيح إلى الأرض، بل بتقديم المسيح نفسه على الصليب كفارة عن البشرية. والدليل على ذلك أن المسيح كان يوصي بتقديم القرابين والذبائح اليهودية أثناء خدمته على الأرض، فمثلاً عندما شفى الأبرص، قال له: "إذهب أرِ نفسك للكاهن، وقدم القربان الذي أمر به موسى شهادة لهم" (متى ٨: ٥).

(٢) إن المسيح عندما نطق بهذه الآية، لم يكن قد أنبأ اليهود بعد بشيء عن العشاء الرباني، ولذلك لا يعقل إطلاقاً أن يكون المسيح قدّم لهم الوصية الواردة بها عن العشاء المذكور، لأن الوصية لا تكون سابقة للإعلان عن الموضوع الخاص بها.

كما أن المسيح لم يكن وقتئذٍ يخاطب أشخاصاً عينهم لعمل العشاء الرباني (كالكهنة عند القائلين بالإستحالة)، بل كان يخاطب اليهود عامة. فضلاً عن ذلك فإن القربان الذي ذكره، كان من ممتلكات الشخص الذي يقدمه وليس من ممتلكات غيره، فقد قال المسيح "إذا قدمت قربانك". ولذلك فلا يراد بهذا القربان إلا القربان الذي كان اليهود يقدمونه من الحيوانات التي يمتلكونها. لأن العشاء الرباني عند القائلين بالإستحالة ليس ملكاً للكهنة لديهم، بل إنه من تقدمات الشعب إليهم.

(٣) إن كلمة "قدام" في قول المسيح: "... فاترك قربانك قدام المذبح"، تدل على أن المراد بالمذبح هنا، هو المذبح اليهودي أيضاً، إذ أن هذا المذبح هو الذي كان من الجائز أن تترك الحيوانات قدامه. أو أمامه في حالة ذهاب مقدمها لمصالحة أخيه. أما العشاء الرباني عند القائلين بالإستحالة، إذا ترك في مثل هذه الحالة، فإنه لا يترك قدام مذبحهم بل عليه – والأصل اليوناني يدل على أن حرف الجر هنا هو "قدام" أو "أمام"، وليس "على" أو "فوق"، وهذا ما يؤيد التفسير الذي ذكرناه. فضلاً عما تقدم فإن قول المسيح قبل الآية التي نتأملها: "ومن قال لأخيه رقا (بمعنى يا فارغ العقل)، يكون مستوجب حكم المجمع" (متى ٥: ٢٢)، يقضي على الحجة التي نحن بصددها، لأن المجمع الذي له سلطة الحكم على من قال لأخيه "رقا"، لم يكن له وجود إلا في النظام اليهودي كما نعلم، وتبعاً لذلك يكون المذبح المذكور في الآية التي نتأملها هو المذبح اليهودي ولا شك.

(ب) أما قول المسيح لليهود "سمعتم أنه قيل للقدماء ... وأم أنا فأقول لكم"، فلا يقصد به مطلقاً أنه يقول لهم أمراً مخالفاً لوصايا الناموس، لأن المسيح لم يأتِ لينقض الناموس بل ليكمله (متى ٥: ١٧). والغرض من تكميل الناموس هو نقله من المعنى الحرفي (أو الشكلي) الذي أجمع اليهود على فهمه به، إلى المعنى الروحي الذي أراد الله أن يفهم هذا الناموس على أساسه. فمثلاً كان اليهود يعتقدون أن الزنا الذي نهى الله عنه، هو فعل النجاسة فحسب، فأعلن المسيح خطأ هذا الإعتقاد وقال لهم: إن "كل من ينظر إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه" (متى ٥: ٢٧)، لأن علاقة الإنسان بالله، يجب ألا تكون العلاقة الظاهرية، بل العلاقة الروحية. ومن هذا يتضح لنا أن المسيح أراد بالنصيحة التي قدمها لليهود عن المذبح والقربان، أن يوجه أنظارهم إلى أن اقترابهم إلى الله بالذبائح التي أمرهم بتقديمها على يد موسى النبي، يجب أن يكون بقلوب صافية بينها وبين الناس صلح وسلام، لأنه لا خير في ذبيحة مقدمة من أشخاص ممتلئة قلوبهم بالضغينة والشر.

(ج) فضلاً عن ذلك، فإن رجال الدين عرفوا منذ القرون الأولى أن المذبح والقربان في الآية التي نحن بصددها يراد بهما المذبح اليهودي والقربان اليهودي، وأن المؤمنين في العهد الجديد لا يفيدون من النصيحة (أو الوصية) الخاصة بهما، إلا من الناحية الروحية وحدها. ولذلك قالوا "قربان الله هو الصلاة والشكر (وليس هو العشاء الرباني، أو ذبيحة مادية للتكفير عن الخطية)، فإذا كان بينك وبين أخيك وجد (أو بالحري حزن)، أو لأخيك عليك طلب، فصلاتك لا تستجاب قدام الله، ولا يقبل شكرك" (الدسقولية ص ٩٤).

٧- قال الرسول: "يسوع المسيح هو أمساً واليوم وإلى الأبد. لا تساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة، لأنه حسن أن يثبت القلب بالنعمة لا بأطعمة (أو ذبائح) لم ينتفع بها الذين تعاطوها (أو بالحري استعملوها). لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه. فإن الحيوانات التي يدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة تحرق أجسامها خارج المحلة، لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب" (عبرانيين ١٣: ٩ – ١٣)- فهذه الآيات تدل على أن في العهد الجديد مذبحاً. وبما أن هناك مذبحاً في هذا العهد، يجب أن تكون هناك ذبيحة كفارية فيه. وهذه الذبيحة لا يمكن أن تكون شيئاً سوى العشاء الرباني. وهذا دليل على أنه ذات جسد المسيح ودمه (الافخارستيا ص ٢٠٨).

الرد: إن قول الرسول "لنا (نحن المسيحيين) مذبح"، بالمقابلة مع الأطعمة أو الذبائح التي لم ينتفع بها الذين تعاطوها، وقوله بعد ذلك عن المذبح المذكور إنه لا سلطان للذين يخدمون المسكن (أي اليهود) أن يأكلوا منه"، دليل على أن هذا المذبح هو أحد أمرين:

(١) إما أنه ليس مذبحاً بل ذبيحة، لأن الذبيحة هي التي تذكر بالمقابلة مع الأطعمة أو الذبائح، ولأنها أيضاً هي التي يأكل منها البعض ولا يأكل منها البعض الآخر. ويكون إطلاق اسم "المذبح" عليها في هذه الحالة، هو من باب إطلاق اسم "المكان" على الأشياء الموجودة فيه أو عليه، كما نقول في حديثنا العام "لنا مائدة شهية"، قاصدين بهذه المائدة الأطعمة التي عليها. (٢) وإما أن هذا المذبح، هو ذبيحة وفي الوقت نفسه هو مذبح أيضاً، وفي هذه الحالة لا يكون مذبحاً مصنوعاً من الحجارة أو غيرها من مواد البناء،بل يكون "موجوداً" يعمل عمل المذبح، وفي الوقت نفسه يعمل عمل الذبيحة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والآن لنسأل أنفسنا (أولاً) هل يراد بهذه الذبيحة (أو المذبح) العشاء الرباني (كما يقول المؤمنون بالإستحالة) أم يراد بها (أو به) يسوع الوارد اسمه مرتين في هذه الآيات؟ (ثانياً) وإن كان يراد بها (أو به) يسوع، فما السبب في قول الوحي عنه في هذه الآيات إنه مذبح وليس ذبيحة كما قال في غيرها من الآيات؟ (ثالثاً) ثم إن كان يراد بها (أو به) يسوع، فهل الأكل منه، يكون بالمعنى الحرفي أم الروحي؟ (كما يقول المؤمنون بالإستحالة)، فماذا يكون موقفنا إزاءه بناء على الآيات السابق ذكرها؟ وللإجابة على هذه الأسئلة نقول:

(أولاً) المراد بالمذبح أو الذبيحة ليس العشاء الرباني، بل المسيح نفسه. وذلك للأسباب الآتية:

(١) إن العشاء الرباني لا يرد ذكره مطلقاً في هذه الآيات، ولا في أي آية من الرسالة إلى العبرانيين المقتبسة منها هذه الآيات. فضلاً عن ذلك فإن هذا العشاء طعام يؤكل بالفم، بينما هذه الآيات تنص على أنه "حسن أن يثبت القلب بالنعمة لا بأطعمة"، وطبعاً أياً كان نوع هذه الأطعمة، لأن الرسول لم يستثن من الأطعمة التي أشار إليها طعاماً ما.

(٢) إن الكتاب المقدس لا يذكر مطلقاً أن العشاء الرباني هو ذبيحة، بل وينفي أيضاً وجود أي قربان أو ذبيحة بعد الصليب، فقد قال بعبارة صريحة في هذه الرسالة: "لا يكون بعد قربان عن الخطية" (عبرانيين ١٠: ١٨).

(٣) إن المسيح عندما عمل العشاء الرباني. لم يبْنِ مذبحاً أو لبس لباساً كهنوتياً، أو... أو...، كما كان متبعاً عند عمل الذبائح الكفارية. فضلاً عن ذلك، فإنه لم يقل لتلاميذه أن يصنعوا هذا العشاء لمغفرة خطاياهم، الذي هو الغرض الأساسي من عمل الذبيحة[٢٧]، ولذلك لا يمكن أن يكون المذبح (أو الذبيحة) هنا، هو (أو هي) العشاء الرباني، لا من الناحية الكتابية، أو حتى من الناحية العقائدية عند القائلين بالاستحالة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نرى:

(١) أن كلمة "الأطعمة أو الذبائح" وردت بالمقابلة مع "المذبح" (كما ذكرنا فيما سلف)، وأن كلمة "الحيوانات" وردت بالمقابلة مع "يسوع"، وبما أن "الحيوانات" هي "الأطعمة أو الذبائح". يكون "يسوع" هو المذبح.

[٢٧] وقد عرف القديسون الذين عاشوا في القرون الأولى أن العشاء الرباني لا يعمل لمغفرة الخطايا، بل للشكر لله من أجل الكفارة التي قام بها في المسيح. فقد قالوا عن الأسقف إنه "يحمل الخبز والخمر اللذين للشكر" (الدسقولية ص ١٤٧)، ولذلك كانوا يطلقون على العشاء الرباني "إفخارستيا" أي "شكر".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(٢) إن المسيح وحده هو الذي كان يرمز له بالذبيحة والمذبح معاً في العهد القديم[٢٨]. فبوصفه الذبيحة هو الذي حمل خطايانا (١ بطرس ٢: ٢٤، غلاطية ٣: ١٣)، كما كانت الذبيحة تحمل الخطية بصفة رمزية نيابة عن الذين كانوا يقدمونها في العهد القديم (خروج ٢٩: ١٠). وبوصفه المذبح (أو بالحري مذبح النحاس أو المحرقة) كان هو المعلن لقداسة الله، وكراهيته للخطية. لأن النار كانت تشتعل على هذا المذبح ليلاً ونهاراً، لحرق ذبائح الخطية وغيرها من الذبائح التي كانت توضع عليه (لاويين ٦: ١٢- ١٣) والله في قداسته وكراهيته للخطية مشبه بالنار، فمكتوب عنه أنه نار آكلة (عبرانيين ١٢: ٢٩).

(٣) إن كهنة اليهود الذين كانوا يخدمون المسكن الأول (أي الهيكل) كان في سلطانهم، إن أرادوا، أن يأكلوا العشاء الرباني الذي يعمله المسيحيون، وأن يهدموا مذبحهم إن كان لهم مذبح. لكن الذي لم يكن في سلطانهم أن يفعلوه، هو الأكل من المسيح، أو بتعبير آخر الإفادة من كفارته طالما هم في يهوديتهم. وبما أن هذه الآيات تنص على أنهؤلاء الكهنة ليس لهم سلطان أن يأكلوا من مذبحنا، يكون المراد بهذا المذبح هو المسيح نفسه كما ذكرنا.

وقد شهد توما الأكويني الفيلسوف الكاثوليكي أن المذبح هنا لا يراد به المذبح المادي المعروف عند القائلين بالإستحالة، فقال: "المذبح هو الصليب الذي قدم المسيح عليه كفارة لأجلنا، أو هو المسيح نفسه الذي بواسطته نقدم تقدماتنا لله، لأن المسيح هو (المرموز له) بالمذبح الذهبي الذي جاء ذكره في سفر الرؤيا الإصحاح الثامن" غير أنني أرى أن المذبح هنا لا يراد به مطلقاً خشبة الصليب لأن الرسول أعلن أننا نأكل من هذا المذبح، وخشبة الصليب لا نأكل منها بأي معنى من المعاني. أما الذي نأكل منه روحياً حتى نشبع فهو المسيح بوصفه الفادي، الذي احتمل قصاص الخطية عوضاً عنا وصالحنا مع الله إلى الأبد. كما أنني وإن كنت أوافق توما الأكويني على أن المذبح رمز للمسيح، لكن سياق الحديث يدل على أن المراد بالمذبح هنا، ليس مذبح الذهب الذي كان كهنة العهد القديم يقدمون البخور عليه، بل مذبح النحاس (أو المحرقة) الذي كانوا يقدمون عليه الذبائح الكفارية عن الخطايا.

(ثانياً) إن المسيح أشير إليه كالمذبح بعدما أشير إليه كالذبيحة والقربان في الآيات الواردة في (عبرانيين ٩: ٢٦، ١٠: ١٢) للأسباب الآتية:

---

[٢٨] وبهذه المناسبة نقول إننا إذا تطلعنا إلى خيمة الإجتماع وإلى الأدوات التي كانت توضع فيها، نجد أنها بأسرها كانت رموزاً للمسيح من نواح متعددة، لأن خدماته لكثرتها وتنوعها لم يكن ممكناً أن يرمز إليها فقط بخيمة الإجتماع أو أداة واحدة من الأدوات التي كانت فيها. ولذلك نرى أن: (أ) باب الخيمة كان رمزاً للمسيح بوصفه أول الطريق إلى لله (خروج ٣٥: ١٥ مع يوحنا ١٠: ٩). (ب) والسرج والمنائر كانت رمزاً للمسيح بوصفه النور الذي يهدي الناس ويرشدهم (خروج ٢٥: ٣٧ مع يوحنا ٨: ٢٢). (ج) والخبز كان رمزاً للمسيح بوصفه الطعام الروحي الذي يهب من يتغذى به حياة ابدية (خروج ٣٥: ١٣ مع يوحنا ٦: ٤١). (د) والحجاب كان رمزاً لجسد المسيح (عبرانيين ١٠: ٢٠)، ولذلك عندما صلب المسيح انشق الحجاب (لوقا ٢٣: ٤٥). (ه) ومذبح البخور كان رمزاً للمسيح بوصفه الواسطة التي بها نرفع العبادة إلى الله (عبرانيين ١٣: ١٥، ١بطرس ٢: ٥)، فتحوز القبول والرضا أمامه (خروج ٣٧: ٣٥ ومزمور ١٤١: ٢ مع يوحنا ١٣: ١٥) ونظراً لأن خيمة الإجتماع وأدواتها كانت رموزاً للمسيح، لم يكن يسمح لموسى مع حكمته أن يصنع شيئاً منها حسب استحسانه الشخصي، بل كان عليه أن يعمل كل صغيرة وكبيرة فيها حسب المثال الذي كان الله يعلنه له (خروج ٢٥: ٢٩).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(أ) إن المذبح مثال عام للمسيح، بينما الذبيحة مثال خاص له، إذ أن المذبح يوجد قبل تقديم الذبيحة ويظل بعد تقديمها، وهو يتضمن في معناه وجودها. وكان الله يسنده إلى نفسه (خروج ٢٠: ٢٦)، كما كان مكان ظهور الله للناس (عاموس ٩: ١) وتقابلهم معه (ملاخي ٢: ١٢). فضلاً عن ذلك فإنه أعظم من الذبيحة لأنه هو الذي يقدسها (متى ٢٣: ١٧). ونظراً لأنه ليس هناك من هو أعظم من المسيح لكي يقدس ذبيحته، لذلك كان من البديهي أن يكون هو المذبح، بجانب كونه الذبيحة.

(ب) إن المذبح كان موضع اعتزاز القديسين وفخرهم. فقد قال داود النبي مثلاً "فآتي إلى مذبه الله، إلى الله بهجة قلبي" (مزمور ٤٣: ٤)، والمسيح هو موضع اعتزازنا وفخرنا. فقد قال الرسول "من افتخر، فليفتخر بالرب" (١ كورنثوس ١: ٣١)، كما قال "حاشا لي أن افتخر إلا بصليب (أو بالحري بصلب) ربنا يسوع المسيح" (غلاطية ٦: ١٤).

(٣) إن المذبح كان ينقذ من الموت كل مجرم يتمسك بقرونه (١ ملوك ١: ٥)، والمسيح يخلص من الموت الأبدي كل خاطئ يؤمن به إيماناً حقيقياً (يوحنا ٣: ٦). فضلاً عن ذلك فإن المذبح كان رمزاً للعلاقة مع الله في كل حين (لأن الذبائح لم تكن تقدم في كل حين، بل في أوقات معينة فحسب)، والمسيح هو الدليل الدائم على وجود علاقة لنا مع الله، ليس في وقت دون آخر، بل في كل الأوقات دون استثناء. ونظراً لأن هذا المذبح كان رمزاً للمسيح، كان يجب مراعاة ما يأتي بخصوصه:

(١) إنه كان يصنع من خشب السنط والنحاس (خروج ٢٧: ١- ٢٨)، وخشب السنط هو الخشب الوحيد الذي ينبت في البرية ولا يعتريه عطب على الإطلاق، ولذلك كان رمزاً مناسباً لناسوت المسيح الفريد في العالم، والذي لم تتسرب غليه الخطية على الإطلاق. والنحاس لشدة وسرعة توهجه بالحرارة، كان رمزاً مناسباً لإعلان دينونة الله على شر الإنسان (حزقيال ١: ٤، رؤيا ١: ١٥)، هذه الدينونة التي احتملها المسيح فعلاً عندما قدم نفسه كفارة على الصليب (رومية ٨: ٣). كما أن النار لم تكن تشتعل فقطعلى سطح هذا المذبح بل وفي جوقه أيضاً (خروج ٢٧: ٨)، وكان ذلك رمزاً للمسيح الذي تحمل في جسده ونفسه (في ظاهره وباطنه) نار قصاص الخطية عوضاً عنا أجمعين (مزمور ٢٢: ١٤).

(٢) والمذبح المذكور كان يمسح بدهن المسحة، الذي كان يرمز للروح القدس (خروج ٤٠: ١٠ مع ١ يوحنا ٢: ٢٠)، وكان ذلك رمزاً للمسيح الذي ولد بالروح القدس ومُسح أيضاً بالروح القدس (لوقا ١: ٥٣، متى ٣: ١٦). كما كان يعتبر قدس أقداس الله (خروج ٤٠: ١٠)، وكان ذلك رمزاً للمسيح الذي هو قدوس القدوسين (دانيال ٩: ٢٤). فضلاً عن ذلك كان يوضع في أول الطريق إلى حضرة الله (التي كان يشار إليها في العهد القديم بقدس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأقداس)، وكان ذلك رمزاً للمسيح الذي هو الباب والطريق إلى الله، والذي لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الآب إلا به (يوحنا ١٤: ٦).

(٣) ولقدسية هذا المذبح لم يكن يُسمح لأي إنسان أن يلمسه أثناء نقله من مكان إلى مكان، بل كان يحمل بواسطة العصوين الموجودتين على جانبيه، وكان هذا رمزاً مناسباً إلى أنه لم يكن لكائن ما أن يدنو من المسيح قبل التجسد، كما ذكرنا في الحديث عن تابوت العهد. فضلاً عن ذلك كان من المحظور على الكهنة الذين يخدمون أمام المذبح المذكور أن يصعدوا إليه بدرج على الإطلاق (خروج ٢٠: ٢٦)، وكان هذا رمزاً مناسباً لعدم استطاعة الإنسان أن يتطاول إلى مركز المسيح دون أن تظهر عيوب هذا الإنسان ونقائصه. كما أنه عندما كان المذبح المذكور يصنع من حجارة لم تكن تنحت على الإطلاق (خروج ٢٠: ٢٦)، وكان هذا رمزاً مناسباً لكمال المسيح الذاتي وعدم حاجته إلى تهذيب أو تجميل, ولذلك يكون المسيح ليس هو الذبيحة فقط، بل وقبل كل شيء هو المذبح[٢٩] أيضاً.

ثالثاً- المراد بالأكل من المسيح ليس الأكل الحرفي بل الأكل الروحي، وذلك للأسباب الآتية:

(١) إن الرسول قال "حسن أن يثبت القلب بالنعمة لا بأطعمة"، وهذا دليل واضح على أن الأكل من المسيح، الذي به يثبت القلب بالنعمة، هو أكل روحي محض (٢) كما أنه لم يقل "لكي يعطينا المسيح جسده لنأكل، تألم خارج الباب"، حتى كان يجوز القول إن الأكل مع المسيح يكون أكلاً حرفياً، بل قال "لكي يقدس الشعب بدم نفسه، تألم خارج الباب"، وتقديس المسيح لنا بدمه، تم نهائياً بموته نيابة عنا على الصليب. فمكتوب أننا قد تبررنا وتقدسنا باسم الرب يسوع وبروح إلهنا (١ كورنثوس ٦: ١١)، ولذلك لا يتطلب منا الأمر في سبيل التقديس أو التبرير أن نأكل في عهد النعمة الذي نعيش فيه الآن شيئاً بالمعنى الحرفي، بل أن نؤمن فقط إيماناً حقيقياً بما عمله المسيح على الصليب لأجلنا، فنحظى بالتقديس والتبرير معاً. (٣) هذه الآيات تضع المسيح أمامنا كذبيحة الخطية، أو بالحري كذبيحة الكفارة السنوية عن الخطية. وهذه الذبيحة لم يكن للكاهن أو أحد من الذين يقدمونها أن يأكل منها شيئاً، لأنها كانت تعتبر رمزياً حاملة لخطايا الشعب وملوثة أو منجسة بها، وتبعاً لذلك كانت تخرج خارج المحلة وتحرق بأكملها هناك (لاويين ١٦: ٢٨). ولذلك فإن الفائدة التي كانت تجنى من هذه الذبيحة كانت فائدة معنوية فحسب، وهذه الفائدة هي الغفران (أو بالحري الغفران الرمزي) الأمر الذي يدل على أن المسيح، فضلاً عن أنه في ذاته طعام روحي لا جسدي، وأن الآيات التي قيلت عن الأكل منه يراد بها جميعاً

[٢٩] مما تجدر الإشارة إليه هنا أن الرسول لم يستعمل الرموز الخاصة بالمسيح إلا في الرسالة إلى العبرانيين، لأنهم كانوا يعتزون بهذه الرموز كل الإعتزاز ويفخرون بها كل الفخر، ولذلك اقتضى الأمر أن يوجه الرسول أنظارهم إلى المعاني الروحية التي كانت تدل عليها هذه الرموز، وإلى تحقيق هذه المعاني بأكملها في المسيح، حتى يتحولوا عن الرموز المذكورة ويتمسكوا بالمسيح دون سواه، إذ أن الرموز تصبح بلا جدوى بعد مجيء المرموز إليه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المعنى المجازي لا الحرفي، فإنه أيضاً بسبب كونه كفارة عن خطايانا، لا يجوز الأكل منه بالفم تحت أي شكل من الأشكال.

أما وجه الشبه بين المسيح وبين ذبيحةالكفارة التي لم تؤكل فهي:

(١) إن المسيح تألم خارج الباب (عبرانيين ١٣: ١٢)، وذبيحة الكفارة السنوية هي التي كانت تحرق خارج المحلة أو خارج الباب (لاويين ١٦: ٢٧) (٢) إن المسيح دخل بدم نفسه كرئيس الكهنة الحقيقي إلى الأقداس السماوية (عبرانيين ٩: ١٢)، وذبيحة الكفارة السنوية هي التي كان يدخل رئيس الكهنة اليهودي بدمها إلى قدس الأقداس الأرضي، الذي كان رمزاً للسماء (لاويين ١٦: ١٤) (٣) إن المسيح قدم نفسه فدية عن جميع الناس (يوحنا ٣: ١٦)، وذبيحة الكفارة السنوية هي التي كانت تقدم رمزاً فدية عن جميع أفراد شعب العهد القديم (لاويين ١٦: ٢٩)[٣٠].

رابعاً- موقفنا إزاء العشاء الرباني إن كان هو ذبيحة الصليب بعينها:

في ضوء ما تقدم نقول: لو كان العشاء الرباني هو ذات ذبيحة المسيح التي قدمها على الصليب كفارة عن خطايانا (كما يقول المؤمنون بالإستحالة) لكان الله قد أمر بحرقه خارجاً، لأنه يكون في هذه الحالة حاملاً لخطايانا ومنسجماً بها هذه حقيقة واضحة كل الوضوح ولكن المؤمنين بالإستحالة يعترضون عليها بالإعتراضات الآتية:

١- إن الذبائح الحيوانية، وليس تقدمات الخبز والخمر، هي التي كان يجوز حرقها، ومن ثم لا يجوز إحراق العشاء الرباني.

الرد: إذا رجعنا إلى العهد القديم نجد أن قرابين الفطير والدقيق كانت تحرق (لاويين ٢: ١، ٢ والعدد ٦: ١٣- ١٧)، وأن الخمر التي كانت تصب على الذبائح كانت تحرق معها (العدد ١٥: ٤ و ٢٨: ٧).

٢- إن الرمز لا يكون مثل المرموز إليه من كل الوجوه، لأن ذبيحة الكفارة السنوية التي كانت رمزاً للمسيح من جهة كونه الكفارة العامة عن الخطية، كانت تحرق، لكن المسيح نفسه لم يحرق. ومن ثم فإن العشاء الرباني لكونه ذبيحة الصليب نفسها (كما يقولون) يجب ألا يحرق.

الرد: إن الغرض من حرق ذبيحة الكفارة السنوية وغيرها من ذبائح الخطية خارج المحلة، كان إشارة إلى حلول قصاص الله عليها عوضاً عن الخطاة الذين قدمت نيابة

[٣٠] ومما تجدر ملاحظته في هذه المناسبة أن المسيح بتقديمه نفسه بنفسه ذبيحة لله، لم يكن هو الذبيحة فقط، بل وكان الكاهن أيضاً. ولا غرابة في ذلك، فليس هناك من يستطيع الوقوف أمام الله من أجل البشر سواه (١ تيموثاوس ٣: ٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عنهم، والمسيح المرموز إليه، وإن كان لم يحرق مثلها، لكنه حمل قصاص خطايانا وآلامها في جسمه ونفسه إلى النهاية، الأمر الذي كان يرمز له بالحرق قديماً. وبما أن العشاء الرباني لا تقع عليه أية آلام مثل المسيح، لذلك يجب أن يحرق لو كان ذبيحة كفارية.

٣- إن العشاء الرباني تقع عليه ذات الآلام التي احتملها المسيح على الصليب، إنما بطريقة سرية غير منظورة للعين البشرية، ولذلك لا يجوز حرقه.

الرد: لو سلمنا جدلاً بقول المعترض، لكان الله قد نهانا عن الأكل من العشاء الرباني لأنه يكون في هذه الحالة ملوثاً بالخطية ومنسجماً بها، مثله في ذلك مثل ذبيحة الكفارة السنوية وغيرها من ذبائح الخطية (لاويين ٤: ١١، ١٢و ٦: ٣٠و ٨: ١٤- ١٧)، التي لم يكن يسمح لأحد أن يأكل منها بتاتاً.

مما تقدم يتضح لنا بكل جلاء أنه لو كان العشاء الرباني هو ذبيحة الصليب بعينها، لكان المسيح قد أمر بحرقه أو على الأقل بعدم الأكل منه بتاتاً. أما وقد أوصانا بالأكل منه، فلا يمكن أن يكون هو ذبيحة الصليب بعينها، وبالتالي لا يمكن ان يكون ذات جسد المسيح ودمه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٤

الحجج الخاصة بكهنوت العهد الجديد

١- قال داود النبي متنبئاً عن المسيح "أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق" (مزمور ١٤٠: ٤) وملكي صادق هذا نظراً لأنه كان كاهناً لله العلي، أخرج لإبراهيم خبزاً وخمراً عند عودته من الانتصار على أعدائه، وبهما بارك ابراهيم وأخذ العشور منه. ومن هذا يتضح لنا أن كهنوت ملكي صادق كان قائماً بذبيحة من خبز وخمر. وبما أن المسيح جاء على رتبته، يكون كهنوت المسيح قائماً أيضاً بذبيحة من خبز وخمر. أما القول بأن الخبز والخمر اللذين أخرجهما ملكي صادق كانا طعامين عاديين، فليس بمعقول على الإطلاق. لأن ملكي صادق كان ملكاً بجانب كونه كاهناً، ولو كان أخرج لإبراهيم طعاماً، لما كان أخرج له خبزاً وخمراً، بل طعاماً فاخراً مثل اللحوم والفواكه الغالية الثمن (الافخارستيا ص ٢٤٠- ٢٤٣).

الرد: (أ) إن الخبز والخمر اللذين أخرجهما ملكي صادق لإبراهيم لم يكونا ذبيحة، وذلك للأسباب الآتية:

(١) لم ترد آية واحدة في العهد القديم تدل على أنهما كانا ذبيحة، كما أن العهد الجديد الذي تحدث بالتفصيل عن ملكي صادق، لم يذكر مطلقاً أنه كان يقدم ذبيحة من خبز وخمر، بل ولم يومئ بأي إشارة إلى أنه أخرج لإبراهيم خبزاً وخمراً (اقرأ مثلاً: عبرانيين إصحاحات ٧-٩).

(٢) لو كان الخبز والخمر ذبيحة، لكان يوجد لدى ملكي صادق مذبح يقدمهما عليه، وتبعاً لذلك لكان قد دعا إبراهيم إلى هذا المذبح، لكي يناوله منهما هناك، لأن ابراهيم لم يكن في حالة الإحتضار التي تستلزم نقل الذبيحة إلى مكان وجوده، كما هو معلوم لدى القائلين بالإستحالة.

(٣) إن الوحي لم يقل إن ملكي صادق أخرج الخبز والخمر بأداة التعريف (كما لو كانا شيئاً معروفاً كذبيحة خاصة مثلاً)، بل قال "أخرج خبزاً وخمراً" بصيغة النكرة، ولذلك ليس هناك شك في أن الخبز كان خبزاً عادياً وأن الخمر أيضاً كانت خمراً عادية.

(٤) كما أننا لو وضعنا أمامنا أن الذبيحة تكون لمغفرة الخطايا، وجب على القائلين بالإستحالة أن يذكروا لنا الخطية التي ارتكبها ابراهيم وقتئذٍ حتى جاء إليه ملكي صادق لكي يناوله من الخبز والخمر. وإن كانوا لا يعثرون على خطية ارتكبها وقتئذٍ، وجب عليهم أن يذكروا السبب في عدم حضور ملكي صادق لمناولة ابراهيم من الخبز والخمر اللذين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقولون عنهما، عندما أخطأ خطيتيه الواردتين في (تكوين ١٢: ١٠ – ٢٢، ٢٠: ٢)، حتى يجوز القول إن الخبز والخمر كانا ذبيحة من ناحية من النواحي.

(٥) أخيراً نقول: لو فرضنا جدلاً أن خبز ملكي صادق وخمره كانا ذبيحة، فهل كانا يتحولان إلى جسد المسيح ودمه، أم كانا لا يتحولان إليهما؟ فإن كانا يتحولان، يكون المسيح قد بذل نفسه فعلاً عن العالم بطريقة ما قبل مجيئه إلى الأرض، وتبعاً لذلك يكون موته على الصليب بلا معنى أو ضرورة، كما تكون الذبائح التي أمر الله موسى بتقديمها بعد عصر ملكي صادق، كلها ذبائح باطلة لا لزوم لها. وكلا الأمرين لا يتفق مع الحق الكتابي إطلاقاً. وإن كان خبز ملكي صادق وخمره لا يتحولان إلى جسد المسيح ودمه أو إلى أي لحم ودم آخر، فطبعاً لا يكونان ذبيحة كما هو معلوم لدى القائلين بالإستحالة أنفسهم.

(ب) إن البركة التي بارك ملكي صادق بها ابراهيم، لم تكن بالخبز والخمر، بل كانت باسم الله العلي، لأنه لم يقل لإبراهيم عنهما "خذهما بركة" أو "أباركك بهما"، بل قال له "مبارك إبرام من الله العلي مالك السمات والأرض" (ت كوين ١٤: ٨ – ٢٠). كما أن العشور التي أخذها من إبراهيم لم تكن بسبب الخبز والخمر اللذين أخرجهما له، بل بسبب كون ملكي صادقاً رمزاً للمسيح الذي تقدم له العشور. فضلاً عن ذلك فإن رتبته التي جاء المسيح عليها بوصفه ابن الإنسان (الذي جاء على الأرض في الزمان)[٣١]، ليست لها علاقة بتقديم خبز وخمر، لأن عناصر هذه الرتبة تنحصر فيما يأتي: (١) اقتران الملك بالكهنوت (٢) عدم تسلم هذا الكهنوت بالوراثة من أب أو أم بل من الله مباشرة (٣) أفضلية هذا الكهنوت على كهنوت هرون الذي كان بنو إسرائيل يعتزون به ويفخرون (تكوين ١٤: ٢٠، عبرانيين ٧: ١- ١٠).

(ج) أما الذبائح التي كان يقدمها ملكي صادق، فلا شك أنها كانت ذبائح حيوانية مثل الذبائح التي كان يقدمها هابيل ونوح وأيوب وابراهيم وغيرهم من الآباء الأولين، لأن حق الله في كل العصور دون استثناء هو "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عبرانيين ٩: ٢٢) ولذلك فالمعنى الوحيد للآيات الواردة في الحجة التي نفحصها، هو أنه لما عاد إبراهيم من الانتصار على أعدائه، خرج إليه ملكي صادق لكي يهنئه. ونظراً لأنه كانت بين إبراهيم وبين ملكي صادق علاقة روحية وثيقة (إذ كان ملكي صادق كاهناً لله العلي، وكان إبراهيم واحداً من رجال الله العلي)، أخرج ملكي صادق خبزاً وخمراً، وعلى الأرجح كمية كبيرة منهما (والمعنى الإجمالي لهذه الآيات يدل على ذلك بوضوح وجلاء)، حتى تكفي الغلمان

[٣١] أما بوصف المسيح "ابن الله الأزلي"، فهو طبعاً سابق لملكي صادق في الوجود بأزمنة لا حصر لها، ومن ثم فإن المسيح من هذه الناحية لا يكون على رتبة ملكي صادق، بل يكون ملكي صادق على تبة المسيح. وقد أشار الوحي إلى هذه الحقيقة، فقال عن ملكي صادق إنه مشبه بابن الله (عبرانيين ٧: ٣)، ووجه الشبه في هذه الحالة ينحصر في أن ملكي صادق كان بلا بداية أو نهاية محددة في خدمته الكهنوتية (على النقيض من هرون وبنيه)، والمسيح، بوصفه الابن الأزلي، هو بلا بداية أو نهاية على الإطلاق، سواء أكان في وجوده أم في عمله، فهو موجود من الأزل إلى الأبد وعامل من الأزل إلى الأبد – والتشبيه في هذه الحالة هو طبعاً تشبيه جزئي، لأن المشبّه لا يكون مثل المشبه به من كل الوجوه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الذين عادوا مع إبراهيم من الحرب. وطبعاً لم يخرج ملكي صادق لابراهيم لحوماً أو فواكه وقتئذ، لأن العادة جرت على أن يقدم الناس للمسافرين خبزاً وخمراً لاحتمال بقائهما مدة طويلة، دون أن يصيبهما العطب، ولأنهما أيضاً كانا الغذائين الرئيسين في تلك العصور في الباب الأول. فضلا عن ذلك، فان اللحوم والفواكه لا تعتبر عند رجال الله طعاماً فاخراً (كما يعتقد صاحب هذه الحجة)، لأن هؤلاء قد شبعوا بالرب، ومن ثم أصبحت لديهم كل الأطعمة بل وأيضاً كل المساكن سواء. وهذا ما دعاهم على الرغم من ثروتهم الطائلة أن يسكنوا في خيام كالفقراء (عبرانيين ١١:٩ ،تكوين ١٤:٢٠).

إن الآية "وملكى صادق ملك ساليم... أخرج خبزاً وخمراً، وكان كاهناً لله العلى" (تكوين ١٤: ١٨)، ترد حسب الأصل العبري "لأنه كان كاهناً لله العلى"، وأن الإنجيليين هم الذين حذفوا كلمة "لأنه"، لكي ينفوا أن كهنوت ملكى صادق كان قائماً بذبيحة من خبز وخمر (الافخارستيا ص ٢٤٦).

الرد: إن الترجمة الحرفية للنص العبري هي "وهوكاهناً لله العلي"، فكل ما فعله الإنجيليون الذين ترجموا الكتاب المقدس إلى اللغة العربية وغيرها من اللغات، هو إثبات فعل الكينونة المستتر أو غير الظاهرفي هذا النص، وهو "كان"، وقد نسجوا على هذا المنوال في كل الآيات (تكوين ١٨: ١١)، وقالوا "وكان إبراهيم ماشيا معهم ليشيعهم" (تكوين١٨: ١٦٩)، وقالوا "وأما إبراهيم فكان لم يزل قائما" (تكوين ١٨:٢٢)، مع أن كلمة "كان" في هذه الآيات ليس لها مقابل في الأصل العبري.

وقد نحا نحوهم في ذلك الكاثوليك والأرثوذكس بإثبات فعل الكينونة المستتر، غير أنهم أضافوا إلى العبارة المذكورة كلمة "لأنه"، فجاءت العبارة "لأنه كان كاهناً لله العلى". ولسنا نقول إنهم غير أمناء في ترجمتهم، لأنه ليس هناك مسيحي يقترف هذا الوزر على الإطلاق. وكل ما في الأمر أنه نظراً لأن اللغات القديمة تسرد المعاني غالباً في جملة منفصلة، وتسردها اللغات الحديثة في جملة متصلة بأدوات الوصل أو الربط، يحاول معظم المترجمين عند قيامهم بالترجمة أن يربطوا الجمل بعضها بالبعض الآخر بما يرونه مناسباً من هذه الأدوات. فكلمة "لأنه" إذاً ليس لها أساس في الكتاب المقدس، بل إنها من مجرد استحسان المترجمين الأرثوذكس والكاثوليك في الترجمة، ولذلك لا يجوز لهم أن يبنوا عليها عقيدة ما.

٣ – إن الكلمة المترجمة إلى العربية "رتبة"، في الآية الخاصة بمجئ المسيح على رتبة ملكى صادق السابق ذكرها، تترجم حسب الأصل اليوناني "طقس"، والجمع "طقوس"، واستعمال هذه الكلمة في الأية المذكورة يثبت أن المسيح بتأسيس العشاء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرباني، عمل ذبيحة من خبز وخمر على طقس ملكى صادق، أو مثلما عمل ملكي صادق من قبل (الافخارستيا ص ٢٤٠)

الرد: اتضح لنا فيما سلف أن المسيح لم يقصد بالعشاء الرباني ذبيحة لمغفرة الخطايا، كما اتضح لنا خطأ الاعتقاد بأن ملكي صادق كان يقدم ذبيحة من خبز وخمر، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الحجة على الإطلاق. لكن لكيلا نترك ثغرة ينفذ منها الشك إلى إنسان ما من جهة حق الله، نقول: إن كلمة "طقس" ليست عربية الأصل، بل معربة عن الكلمة اليونانية "تاكسيس"، ومعناها "رتبة أو ترتيب"، ولا علاقة لهذه الكلمة أصلاً بخدمة الذبائح أو غيرها من الأعمال الدينية. وقد عرف الأرثوذكس أنفسهم هذه الحقيقة كل المعرفة، فقالوا في كتب اللغة القبطية "ألفا فيتون إن أتا كسيس" أي "حروف الهجاء (ألف باء) بدون ترتيب". وقالوا في الكتب الدينية "إن دبورة النبية لم يرتفع قلبها، بل كانت تذكر طقس النساء، وتقول إن الرجل رأسها" و"إن النفس تعود إلى طهارة طقسها الأول" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص ٣١٧، ٨٢، ٢٤٦) وكلمة "طقس" في هذه العبارات لا تعني شيئاً سوى "رتبة أو ترتيب" كما ذكرنا ولذلك فإن مجيء المسيح كابن الإنسان على رتبة ملكي صادق أو طقسه، لا يدل على أنه يقدم ذبيحة من خبز وخمر مثل ملكي صادق (على فرض أن ملكي صادق كان يقدم ذبيحة من هذا النوع)، بل تدل على أنه (بوصفه ابن الإنسان) يشترك مع ملكي صادق في رتبته (أو بالحري في مميزات رتبته) التي ذكرناها عندالرد على الحجة الأولى في هذا الفصل.

٤- بما أن المسيح هو كاهن إلى الأبد (عبرانيين ٥: ٦)، وبما أن دوام الكهنوت يتطلب دوام تقديم الذبائح، لذلك من الواجب أن تكون للمسيح ذبيحة يقدمها باستمرار لئلا يتعطل كهنوته. فمكتوب "لأن كل رئيس كهنة يقام لكي يقدم قرابين، فمن ثم يلزم أن يكون لهذا (أي المسيح) أيضاً شيء يقدمه" (عبرانيين ٨:٣). وإذا كان الأمر كذلك، فإن العشاء الرباني الذي يقدمه المسيح بواسطة وكلائه (أو بالحري كهنته الرسميين في العهد الجديد) هو ذبيحة، ومن ثم يكون هو ذات جسد المسيح ودمه (الافخارستيا ص ٢٣٧).

الرد: لا يتسع المجال أمامنا الآن للبحث في قانونية وكالة هؤلاء الكهنة للمسيح أو عدم قانونية وكالتهم له، ولذلك نكتفي بالقول:

(أ) إن المسيح على الصليب قدم الذبيحة اللازمة بناء على الآية الواردة في (عبرانيين ٨: ٧) والمذكورة في الحجة التي نفحصها. لكن هذه الذبيحة تختلف كل الإختلاف عن ذبائح الكهنة ورؤساء الكهنة في العهد القديم، لأن ذبائحهم كانت ذبائح حيوانية ليست في ذاتها بكافية للتكفير عن الخطيئة، ولذلك كان يتكرر تقديمها من وقت إلى آخر (عبرانيين ١٠: ١١)، بينما ذبيحة المسيح كانت نفسه التي هي أغلى من نفوس البشر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بدرجة لا حد لها، ولذلك استطاعت أن تفكر عنها جميعاً تكفيراً حقيقياً أبدياً، وليس تكفيراً رمزياً وقتياً، كالتكفير الذي كان يحصل عليه رئيس الكهنة في العهد القديم لجماعته فحسب. فمكتوب عن المسيح "وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس (السماوية) فوجد فداء أبدياً" (عبرانيين ٩: ١٢)، ومكتوب "فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام جميع الذين يتقدمون به إلى الله" (عبرانيين ٧: ٢٥).

(ب) ومما يدل أيضاً على أن ذبيحة المسيح التي قدمها مرة على الصليب لها كفاية لا نهائية لكل البشر في كل العصور والأجيال، وأنه ليس هناك ما يدعو إلى تقديم غيرها، أو تقديمها هي بذاتها من وقت إلى آخر (بواسطة أي شخص من الأشخاص، أو تحت أي شكل من الأشكال)، أن الوحي قال عن المسيح إنه: "بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي" (عبرانيين ١: ٣)، اقرأ أيضاً (عبرانيين ٨: ١، ١٠: ١٢، ١٢:٢)، وجلوس المسيح يراد بهاستراحته بالتمام من كل الأعمال الخاصة بالخطية والتفكيرعنها، الأمر الذي لم يبلغه أحد من رؤساء الكهنة في العهد القديم بذبائحهم المتعددة التي كانوا يقدمونها لله من وقت إلى آخر، ولذلك لم يكن يسمح لواحد منهم بالجلوس في قدس الأقداس على الإطلاق. فمثل المسيح والحالة هذه (إن جاز التشبيه) مثل شخص كفء قدير، قام بكل الأعمال المسندة إليه دفعة واحدة، ثم استراح بعد ذلك إلى الأبد.

أما لو كان المسيح يقدم ذبيحة نفسه من وقت إلى آخر للتفكيرعن الخطية، بأي واسطة من الوسائط، أو تحت أي شكل من الأشكال (كما يقول المؤمنون بالاستحالة)، لما كان قد جلس، ولما كانت المرة الواحدة التي قدم نفسه فيها على الصليب، بكافية للتفكير عن البشر إلى الأبد. وبما أن هذا يتعارض مع الوحي كل التعارض (عبرانيين ٩:١٢، ١٠: ١٤ – ١٨)، إذاً لا مفر من التسليم بأن العشاء الرباني ليس هو ذبيحة الصليب.

(ج) كما أننا إذا وضعنا أمامنا (أولا) أن تقديم الذبيحة الكفارية السنوية في العهد القديم بواسطة رئيس الكهنة (الذي كان يعتبر رمزاً للمسيح)، لم يكن غرضاً مقصوداً لذاته بل كان وسيلة لغرض، وهذا الغرض هوالمثول أمام الله في قدس الأقداس لكي يقوم بالشفاعة من أجل الشعب واستجلاب الغفران له على أساس الذبيحة المذكورة

(ثانياً) أن عدم كفاية هذه الذبيحة للتكفير، هو الذي كان يضطر رئيسالكهنة وقتئذ إلى تقديم ذبيحة غيرها كل عام، حتى يدخل بدم هذه أيضاً إلى قدس الأقداس ويستأنف خدمته الشفاعية هناك، وهكذا دواليك – اتضح لنا أن القول (بأن المسيح يجب أن يقدم ذبيحة من وقت إلى آخر لئلا يتعطل كهنوته) ليس بصواب، لأن المسيح بناء على ذبيحة نفسه التي كفرت عن الخطية تماما، قد دخل إلى الأقداس السماوية ولا يزلا موجوداً فيها إلى الآن، وسيبقى فيها إلى الأبد الذي لا نهاية له أيضاً (بعكس رئيس الكهنة الذي كان بعد تقديم الدم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في قدس الأقداس الأرضي يخرج منه على الفور)، وفي الأقداس السماوية يقوم له المجد بوصفه ابن الإنسان الكامل بالخدمة الكهنوتية باستمرار، لكي يحفظ المؤمنين في كل العصور في حالة الرضا أمام الله. فقد قال الرسول: "لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقة، بل إلى السماء عينها لظهر الآن (أي طول عهد النعمة) أمام وجه الله لأجلنا (جميعاً)" (عبرانيين ٩: ٢٤)، ولذلك أصبح لنا أن نتقدم في كل حين، بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة ونجد عوناً في حينه (عبرانيين ٤: ١٦).

(د) أخيراً نقول إن المسيح بدخوله بدم نفسه إلى الأقداس السماوية وليس إلى الأقداس الأرضية (عبرانيين ٩: ١٢) قد جعل دائرة خدمته الكهنوتية وهيكلها ليس في الأرض بل في السماء. ولذلك قال الرسول عن المسيح "لو كان على الأرض، لما كان كاهناً" (عبرانيين ٨: ٤). وإذا كان المسيح ليس له كهنوت على الأرض، فطبعاً لا يكون له وكلاء في كهنوته هذا عليها. وإذا كان الأمر كذلك، فليس لنا الآن أن نبحث عن هيكل أرضي، أو عن كاهن أرضي يقربنا إلى الله على أساس ذبيحة يقدمها عنا، أو يقدمها المسيح بواسطته (إن جاز حدوث ذلك، كما يقول المؤمنون بالاستحالة)، بل علينا أن نتطلع بقلوبنا إلى السماء، ونثق في كفاية كفارة المسيح التي قدمها مرة على الصليب نيابة عنا، وفي خدمته الكهنوتية الكاملة التي يقوم بها لأجلنا هناك في كل حين، فتستريح قلوبنا كل الراحة وتطمئن كل الإطمئنان.

٥- إن حرف "الكاف" في كلمة "ككاهن"، الوارد في قول الرسول عن نفسه "مباشراً لإنجيل الله ككاهن" (رومية ١٥: ١٦)، ليس له وجود في النسخة اليونانية للكتاب المقدس، ولذلك فإن هذا الرسول لم يكن ككاهن، بل كان كاهناً أو بالحري كاهناً بالمعنى الحرفي. وإن كان كاهناً بهذا المعنى، يجب أن تكون له ذبيحة كفارية يقدمها، وهذه الذبيحة لا يمكن أن تكون شيئاً سوى العشاء الرباني، وهذا دليل على أن هذا العشاء هو ذات جسد المسيح ودمه (الرد على العشاء الرباني ص ٨٤).

الرد (أ) إذا قابلنا بين النسخة اليونانية للكتاب المقدس، وبين أي ترجمة لها، يتضح لنا أن الحرف المذكور هو من مقتضيات الترجمة، وقد اضطر بعض المترجمين إلى استعماله لكي يوضحوا المعنى الوارد في الأصل اليوناني. وقد فعلوا ذلك ليس في الترجمة العربية وحدها، بل وفي بعض التراجم الأخرى أيضاً. فقد قال "Moffatt" في ترجمته الإنجليزية ما تعريبه "ككاهن ليسوع المسيح".

(ب) ومما يثبت أن الرسول لم يكن كاهناً بالمعنى الحرفي بل بالمعنى الروحي، أن الكلمة اليونانية المقابلة لكلمة "ككاهن" هنا، ليست هي "هيروس"، والتي يقابلها في العربية "كاهن يختص بتقديم الذبائح" كما جاء في الآية "إذهب أرِ نفسك للكاهن وقدم القربان الذي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أمر به موسى" (متى ٨: ٤) وغيرها من الآيات مثل (متى ١٢: ٤، مرقس ١: ٤٤، لوقا ٥:١، أعمال ١٤: ١٣، خروج ٣٥: ١٨، عبرانيين ٧: ١٧، ٢١:١٠)، بل إن هذه الكلمة هي "هيرورجو". وقد أجمع العلماء على أن الكلمة المذكورة لم تستعمل في الكتاب المقدس إلا في الآية التي نحن بصددها، كما أنها لم تستعمل في الكتب القديمة إلا في (كتاب المكابيين ٧: ٩)، وأن معناها "ككاهن" أو " ككاهن يخدم في الأقداس كما كان يفعل الكاهن قديما [٣٢]" – فقد جاء بالمكابيين هذا "ان الملك ديمتريوس ابن سلوقس من رومية قلد الكيمس الكافر الكهنوت، وأمره أن ينتقم من بني اسرائيل". فالكيمس هذا لم يصبح كاهناً، بل صار فقط ككاهن[٣٣]. ولذلك قال الكاثوليك في ترجمتهم العربية لهذه الآية "وأباشر خدمةإنجيل الله الكهنوتية" (وتسمية خدمة الإنجيل بأنها كهنوتية، لا تدل على أن القائم بها كاهن بالمعنى الحرفي يقدم ذبيحة كفارية لله، لأن خدمة الإنجيل خدمة روحية محض. ومن ثم تكون كهنوتية، بمعنى أن القاءم بها يؤدي خدمة للهيكل تقوى وقداسة، كما كان الكاهن يفعل في العهد القديم عند تقديم الذبائح لله). وقالوا هم أنفسهم في ترجمتهم للآية نفسها إلى الانكليزية ما تعريبه: "حتى أخدم إنجيل الله بقداسة"، الأمر الذي يثبت أنهم لم يفهموا من هذه الآية أنها تدل على أي كهنوت بالمعنى الحرفي. كما أننا إذا رجعنا إلى الترجمات الإنكليزية الأخرى نجد أن المترجمين ترجموها: "حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم أخدم إنجيل الله خدمة مقدسة" (Standard Revision) أو "مجاهداً في الخدمة المقدسة لإنجيل الله" (New World Translation) وهذه الترجمات مع تعددها واختلاف ألفاظها لها معنى واحد، وهو أن الرسول لم يكن كاهناً يقدم ذبائح كفارية عن الناس، بل كان يخدم الإنجيل بين الأمم بقداسة وورع ككاهن يعمل في أقداس الله. ولذلك فالقول إن الرسول كان يخدم الإنجيل ككاهن، أو "يخدمه بقداسة" أو "إن خدمة الإنجيل هي خدمة كهنوتية"، كل ذلك يتفق مع الأصل اليوناني كل الاتفاق.

(ج) والحق أن من اشتغل بالترجمة يدرك أنه كثيراً ما يصعب على المرء نقل عبارة من لغة إلى آخرى، بنفس الترتيب اللفظي الموجودة عليه هذه العبارة في اللغة التي يترجم عنها، ولذلك كان الشرط الأساسي في الترجمة، ليس هو الترجمةالحرفية بل الترجمة المعنوية مع مراعاة الأمانة فيها، والأمانة في ترجمة الكتاب المقدس والحمد لله متوافرة – وحتى إن اختلف المترجمون أحياناً في ترجماتهم (شأن البشر جميعاً مهما

---

[٣٢] Anlytical Concordance English-Greek lexicon, p.p. 298 – 300 & Exhaustive

[٣٣] كتب كتاب المكابيين قبل المسيح بمائتي سنة تقريبا، وهو أحد الكتب التي يقول الأرثوذكس والكاثوليك إن الإنجيليين حذفوا من الأسفار المقدسة. والحقيقة أن هذه الكتب لم تكن يوما جزءاً من الكتاب المقدس، والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها: (أ) إن هذه الكتب لم ترد في التوراة العبرية (ب) إن يوسيفوس المؤرخ اليهودي في القرن الأول لم يشرإليها (ج) لا توجد اقتباسات منها في العهد الجديد (د) إنها تسند في أحد قصصها الكذب إلى الملاك (ه) شهد بعدم قانونيتها القديس يوستينوس في القرن الثاني وأوريجانوس في القرن الثالث، إلا في المجمع الثالث، واثناسيوس وغريغوريوس في القرن الرابع، ولم تعتبر قانونية إلا في المجمع التريدنيني عام ١٥٤٥ (و) إن كتاب المكابيين ينتهي بالقول: "فان كنت قد أحسنت التأليف وأصبت الغرض، فذلك ما كنت أتمنى. وإن كان لحقني الوهن والتقصير، فأني قد بذلت وسعي" – وعبارة مثل هذه لا تدل على أن الكتاب كان منقاداً بالوحي بل باجتهاده الشخصي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تقاربت أو اتحدت ثقافتهم)، فالأصلان اليوناني والعبراني موجودان بين أيدينا ومنهما يمكننا أن نعرف الحقيقة تماماً.

٦ – بما أن المسيح رئيس كهنة، والرئيس له مرؤسون، إذاً لا بد أن يكون للمسيح كهنة مرؤسون له. وبما أن الكهنة لا يكونون كهنة، إلا إذا كانوا يقدمون ذبائح كفارية، إذاً فهؤلاء الكهنة يجب أن تكون لهم ذبيحة كفارية يقدمونها، وهذه الذبيحة لا يمكن أن تكون شيئاً سوى العشاء الرباني. وهذا دليل على أنه ذات جسد المسيح ودمه. (الافخارستيا ص٢٣).

الرد: إن المسيح لم يأت رئيس كهنة على رتبة هرون، الذي كان له خلفاء في خدمته الكهنوتية، حتى كان من الجائز أن يقال إنه يجب أن يكون للمسيح خلفاء يقدمون ذبيحة كفارية (أياً كان نوعها) كما كان لهرون من قبل، بل أتى على رتبة ملكى صادق. وملكى صادق هذا، كان وحيداً فريداً في خدمتهالكهنوتية، فلم يكن له خلف في هذه الخدمة، كما لم يكن له سلف فيها (عبرانيين ٧: ٢).

كما أننا إذا وضعنا أمامنا أن هرون لم يعيّن من تلقاء نفسه أولاده كهنة لله، بل الله نفسه هو الذي عيّنهم (لأن هرون لميكن في وسعه أن يقوم بكل الأعمال الكهنوتية اللازمة للشعب بمفرده، ولأنه كان أيضاً معرضاً للنجاسة التي كانت تمنع من ممارسة هذه الأعمال، وللمرض والموت الذين يؤديان إلى تعطيل الأعمال المذكورة أو توقفها نهائيا) اتضح لنا أنه لو فرضنا جدلاً أن المسيح أتى على رتبة هرون الذي كان له خلفاء للمسيح في خدمته الكهنوتية، لأنه فضلاً عن أنه يستطيع القيام بهذه الخدمة بمفرده لكل الناس في كل العصور، فهو لا يتعرض للنجاسة أو الضعف أو المرض على الإطلاق. كما أنه بعد ما مات مرة كفارة عن خطايانا، لا يمكن أن يسود عليه الموت فيما بعد بأي شكل من الأشكال (رومية ٦: ٩).

(ب) فضلاً عن ذلك فإننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نجد أن المسيح وإن كان قد أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين (أفسس ٤: ١١- ١٢)، وأن الرسال وإن كانوا قد أقاموا في كل كنيسة أساقفة (أو قسوساً) وشمامسة، لكن لا المسيح أقام فئة خاصة تدعى كهنة، ولا الرسل أقاموا هذه الفئة من بعده. كما أننا إذا فحصنا الأعمال التي أقيم الأساقفة أو القسوس لتأديتها نجد أنها تنحصر في رعاية المؤمنين وإرشادهم والسهر عليهم، وأنها لا تتضمن مطلقاً القيام بالعشاء الرباني أو تقديم أي ذبيحة كفارية (أعمال ٢٠: ٢٨- ٣١)، ولذلك لا يكونون كهنة بالمعنى الحرفي. أما كلمة "شماس" فليست عربية الأصل، بل معربة عن كلمة سريانية هي "مشمشونو" ومعناها خادم بالمعنى المعروف لدينا. وكان الشمامسة يختارون في العصر الرسولي من الرجال

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المؤمنين (وليس من الأولاد) (١ ؤتيموثاوس ٣: ١٢)، كان عملهم ينحصر في العناية بالأرامل والفقراء (أعمال ٦: ١- ٣) ولا يتضمن مطلقاً مساعدة القسوس في الصلاة أو الإشتراك معهم فيها.

والسبب في عدم إقامة كهنة من بين المؤمنين في العهد الجديد، ليقدموا عنهم ذبائح كفارية يرجع طبعاً إلى أن موت المسيح على الصليب كافٍ للتكفير عن كل من يؤمن به إيماناً حقيقياً في كل العصور كما أعلن الوحي، ومن ثم لم تعد هناك حاجة إلى ذبيحة كفارية (عبرانيين ١٠: ١٨) أياً كان نوعها.

(ج) غير أنه يجب ألا يفوتنا أنه وإن كان المسيح لم يقم هو أو رسله فئة تدعى "كهنة"، لكن الكتاب المقدس يعلن لنا أن جميع أبناء الله (أو بالحري المؤمنين الحقيقيين[٣٤] هم كهنة لله، فقد قال يوحنا السول عن المسيح "الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه" (رؤيا ١: ٦)، وقال بطرس الرسول للمؤمنين "أما أنتم فجنس مختار، كهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب إقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (٢ بطرس ١: ٩)، كما قال لهم: "كونوا أنتم أيضاً ... كهنوتاً مقدساً" (١ بطرس ٢: ٥). وكهنوت هؤلاء المؤمنين كما يتضح من الآيتين الأخيرتين ليس كهنوتاً بالمعنى الحرفي لتقديم ذبائح كفارية، بل هو كهنوت روحي لتقديم خدمات وذبائح روحية[٣٥].

(د) ويبدوا لي أن المؤمنين الحقيقيين كانوا (لغاية القرن الرابع تقريباً) يعتبرون جميعاً كهنة لله.فقد جاء في الدسقولية (ص ١٤٤) "ولا نأمر أيضاً كل الكهنة أن يعمدوا... بل يعمد الأسقف والقس ويخدم معهما الشماس" فالكهنة هنا يراد بهم طبعاً أشخاص غير الأساقفة (أو القسوس) والشمامسة. وأشخاص غير هؤلاء يعتبرون كهنة هم المؤمنون الحقيقيون ولاشك. ومما يثبت ذلك أن صاحب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة قال في (ج١ ص ١٤٨) "إن

---

[٣٤] أما المؤمنون غير الحقيقيين مهما أظهروا من تدين ومعرفة بشؤن الدين، ومهما كانت الطوائف التي ينتمون إليها أو المراكز الدينية التي يشغلونها، فلا نصيب لهم في هذا الكهنوت الروحي على الإطلاق. لأنهم بسبب عدم اتصالهم الروحي بالله لا يستطيعون أن يعرفوه، وبالتالي لا يستطيعون أن يقوموا بأي خدمة مرضية أمامه.

[٣٥] وأهم هذه الخدمات أو الذبائح هي (أ) تقديم أجسادهم نفسها "ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله"، أو بتعبير آخر: صلب أهوائهم وشهواتهم، لكي تكون حياتهم بأسرها مقدسة لله يستخدمها في عمل إرادته، دون أي معارضة من جانبهم (رومية ١٢: ١). (ب) ذبيحة التسبيح، أو التعبد القلبي لله بسبب كماله وعظمته وقدرته وصفاته السامية الأخرى، وفوق كل شيء بسبب محبته المطلقة للبشر وتكفيره بنفسه عن خطاياهم، ثم رعايته للمؤمنين منهم طوال سيرهم في العالم (عبرانيين ١٣: ١٥) (ج) القيام بكل ما يستطيعون بأعمال الخير، ليس بغية الحصول على مديح أو جزاء، بل لمجرد مشاركة الله في صفاته السامية من جهة العطف على المحتاجين والمعوزين (عبرانيين ١٣: ١٦) (د) الإشتراك مع الله في أغراضه السامية من نحو العالم، والعمل على ما يؤول إلى خير هذا العالم وهنائه، وذلك بالصلاة من أجل الملوك والرؤساء لكي يحفظهم المولى من الزلل في إدارة شؤون بلادهم، حتى يقضي الناس جميعاً حياة مطمئنة هادئة (١ تيموثاوس ١: ١- ٢) (ه) السعي للإتيان بالخطاة إلى المسيح لكي يفيدوا من كفارته ويحصلوا منه على حياة روحية تسمو بهم فوق قصورهم الذاتي، وتجعلهم أهلاً للتوافق مع الله والتمتع به (أعمال ٢٠: ١٩، ٣١ ورومية ١٥: ١٦ و ١ كورنثوس ٩: ١٦) (و) العمل على تخفيف آلام المتألمين، ومعاملة جميع الناس بالمحبة والعطف، متمثلين في ذلك بما عمله المسيح ويعمله في كل حين (غلاطية ٦:
٢). (ز) إظهار فضائل المسيح في حياتهم أو بالحري في كل أعمالهم وأفكارهم، حتى يدرك الناس شيئاً من كماله، فيتمتعوا به ويفيدوا منه (١ بطرس ٢: ٩) – وحقاً ما أسمى هذه الذبائح والخدمات، وما أجمل فوائدها ونتائجها!!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكاهن لم يكن يراد به واحداً من الإكليروس فقط، بل كان يراد به الواعظ وخادم الكلمة والقارئ والمرتل والبواب"، لأنه حتى البواب كان في القرون الأولى مؤمناً حقيقياً.

وقد أشار أحد أفاضل الأرثوذكس القدامى إلى كهنوت المؤمنين العام فقال "النفس هي هيكل الله، والقلب هو المذبح المقدس الذي تقدم عليه ذبائح التسبيح والحب الطاهر، والعقل هو الكاهن الذي يقوم بشرف الخدمة هناك" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص ٢٨١).

(ه) مما تقدم يتضح لنا أن ربنا يسوع المسيح هو رئيس كهنة، ليس لأنه له كهنة يقدمون ذبيحته التي قدمها مرة على الصليب، تحت أي شكل من الأشكال (كما يقول المؤمنون بالاستحالة)، بل إنه رئيس كهنة لسببين يختلفان عن ذلك كل الإختلاف. وهذان السببان هما (١) إنه قام (بوصفه ابن الإنسان) بالمهمة التي لم يكن يقوم بها إلا رئيس الكهنة، وهذه المهمة هي التكفير عن جميع الناس، والدخول بالدم إلى أقداس الله، والظهور أمام وجهه لأجل المؤمنين منهم. وقد قام له المجد بالعملين الأولين بموته على الصليب من أجل خطايانا وقيامته لأجل تبريرنا، ويقوم الآن بالعمل الثالث بحياته في السماء لأجلنا، وسيستمر في القيام بهذا العمل إلى نهاية الدهر، وذلك ليس مثالاً أو رمزاً (كما كان يفعل رئيس الكهنة في العهد القديم) بل فعلاً وحقاً. (٢) إننا نحن المؤمنين بوصفنا كهنة لله في العهد الجديد نقوم بخدماتنا الكهنوتية السابق ذكرها، تحت رئاسته وإرشاده، فهو المثل الأعلى الذي نقتدي به في صفات الطهارة والقداسة والمحبة والعطف والتضحية وإنكار الذات، التي هي العناصر الأساسية لهذه الخدمات.

٧- إن كون المؤمنين في العهد الجديد هم كهنة لله، لا يتعارض مع وجود كهنة من بينهم يقدمون الذبيحة بالكفارية عنهم في هذا العهد، لأن الله قال لليهود جميعاً من قبل "وأنتم تكونون لي مملكة كهنة"، ومع ذلك كان بينهم كهنة يقدمون عنهم ذبائح كفارية (الإفخارستيا ص ٢٣٨).

الرد (أ) إن الله لم يعين بني إسرائيل مملكة كهنة. بل وعدهم فقط أن يكونوا مملكة كهنة، كما أن وعده هذا لم يترتب عليه أن يكون كل منهم بمفرده كاهناً، فضلاعن ذلك فإن هذا الوعد كان مشروطاً بوجوب الخضوع لصوته تعالى وحفظ وصاياه (خروج ١٩: ٥). ونظراً لأنهم لم يقوموا بتنفيذ هذين الشرطين زال الكهنوت من بينهم. أما المؤمنون الحقيقيون في العهد الجديد فلم يعدهم الله أن يكونوا مملكة كهنة بل عينهم بالفعل مملكة كهنة، فضلا عن ذلك فقد عين كلا منهم بمفرده كاهناً، كما جعل بقاءهم في هذا المركز ليس متوقفاً على أعمالهم بل على استحقاق كفارة المسيح الدائمة الأثر. فالخضوع لصوت الله وحفظ وصاياه بالنسبة لهم ليس شرطاً للبقاء في مركز الكهنوت، بل هو عامل يساعدهم على القيام بأعباء هذا المركز.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(ب) فضلا عما تقدم فإن اليهود لم يقيموا من تلقاء أنفسهم كهنة يقدمون عنهم الذبائح الكفارية لله، بل الله نفسه هو الذي أقامهم وعين واجباتهم وأعمالهم في العهد القديم. أما في العهد الجديد فلم يقد الله كهنة يقدمون عنا ذبائح لمغفرة الخطايا، لأنه ليس هناك ما يدعو إلى ذلك. كما ذكرنا فيما سلف. ومن ثم فإن إدخال أي نظام كهنوتي في المسيحية يجعل المسيحية امتداداً لليهودية وهذا ما لا يرضاه أي مسيحي على الإطلاق. لأن المؤمنين الحقيقيين في المسيحية هم شعب سماوي (يوحنا ١٩:١٥) وبركاتهم سماوية (أفسس ١:٣) ودائرة عبادتهم بالروح في السماء عينها (عبرانيين ٤: ١٦)، بخلاف اليهود مهما كانت تقواهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٥

الحجج الخاصة بوجود آيات في العهد القديم

تدل على الاستحالة

الحجج الخاصة بوجود آيات في العهد القديم تدل على الاستحالة

بما أن العهد الجديد ليس به دليل واحد على حدوث استحالة في العشاء الرباني، فطبعاً لا يمكن أن يكون هناك دليل على حدوثها في العهد القديم. ولكن استيفاء للبحث، نرد فيما يلي على الحجج القائلة بوجود أدلة على الاستحالة في هذا العهد:

١- قال أشعيا النبي "في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر وعمود عند تخمها" (أشعياء ١٩: ١٩)- هذه نبوة صريحة تدل على أنه سيكون في مصر مذبح، وأن المصريين سيقدمون عليه ذبيحة للرب. وهذه الذبيحة لا يمكن أن تكون شيئاً سوى العشاء الرباني، وهذا دليل على أنه ذات جسد المسيح ودمه [الإفخارستيا ص ٢٠٥].

الرد: إن المذبح المذكور هنا لا يراد به مذبح مادي، لأننا إذا تأملنا كلمة "مذبح" هذه مع كلمة "عمود" التالية لها، وعرفنا أنه ليس هناك عمود للرب بالمعنى الحرفي عند تخم مصر أو حدودها، لأن المراد بهذا العمود هو الشهادة الواضحة للرب كما يتضح من (أشعيا ١٩: ٢٠) ، أدركنا أن المذبح المذكور لا يراد به أيضاً مذبح مادي بل مذبح روحي، لاسيما وأن الآية لا تنص على مذابح كثيرة (كما هي الحال عند القائلين بالاستحالة) بل على مذبح واحد، وهذا المذبح موجود بالتحديد على أرض مصر، الأمر الذي يفتح المجال لفهمه بالمعنى الروحي، كما ذكرنا.

والمذبح بالمعنى الروحي يراد به موضع سكب القلب أمام الله، أو بتعبير آخر موضع التعبد والسجود له. ولذلك كان يطلق على موضع رفع البخور (الذي كان رمزاً للصلاة المقبولة لدى الله في العهد القديم[٣٦])، اسم "مذبح البخور" مع أن هذا المذبح لم تكن تُرفع عليه ذبائح مادية على الإطلاق. هذا وقد أشار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد إلى أن العبادة ذبيحة، فقال داود النبي لله "ولك أذبح ذبيحة حمد" (مزمور ١١٦: ١٠) . وقال بولس الرسول للمؤمنين: "فلنتقدم به (أي بالمسيح) في كل حين ذبيحة التسبيح" (عبرانيين ١٣: ١٥) .

٣٦- وقد أشار العهد القديم إلى هذه الحقيقة فقال عن الأربعة والعشرين شيخاً "ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين" (رؤيا ٥: ٨) ، فقوله عن جامات البخور أنها بذاتها هي صلوات القديسين (وليس فيها أو معها صلواتهم) دليل قاطع على أنه يراد بها الصلاة بعينيها- ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، لأن الله لروحانيته المطلقة لا يهمه البخور أو العطور، بل تهمه الحياة المقدسة الطاهرة إذ أن هذه الحياة هي وحدها التي تسره وترضيه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢- قال ملاخي النبي لبني إسرائيل عن لسان الله: "ليست لي مسرة بكم قال رب الجنود، و(سوف) لا أقبل تقدمة من يديكم لأن من مشرق الشمس إلى مغربها (سيكون) اسمي عظيماً بين الأمم. وفي كل مكان (سوف) يقرب لإسمي بخور وتقدمة طاهرة" (ملاخي١: ١١) - هذه الآية تعلن لنا رفض الله لتقدمات اليهود، وتتنبأ عن تقدمة مستقبلة. تكون مقبولة أمامه. وهذه التقدمة لا يمكن أن تكون شيئاً سوى العشاء الرباني. ومما يثبت ذلك، أن الترجمة الحرفية لهذه الآية هي "في كل مكان تقتر وتقرب لأسمى تقدمة طاهرة"، و"القتر" يقتضي حدوث ذبح [الرد على العشاء الرّباني ص٧٩].

الرد: إن "القتر" سواء أكان في العبرية أم العربية لا يقتضي حدوث ذبح، لأنه يُستعمل للتعبير عن إيقاد البخور كما يُستعمل للتعبير عن حرق الذبائح سواء بسواء. فقد جاء في (قاموس المحيط ج٢ص١١٣) "يقتر" أي "يتصاعد منه الدخان، كما في حالة البخور أو الشواء". وقد استعمل الخوري ص١٧٧ اسطفانوس الدويهى الكاثوليكي هذه الكلمة بالمعنى الأول، فقال في كتاب (أنوار الأقداس ص٧٠) عبارة جاء بها "تقتر الأطياب" بمعنى تحرق وتتصاعد منها الرائحة الذكية، ولذلك فان الترجمة العربية هي ترجمة دقيقة كل الدقة. ولكن مع ذلك فان هذه الآية لا يجوز اتخاذها نبوة عن أن العشاء الرباني هو ذات جسد المسيح ودمه، إذ فضلاً عن أن هذا العشاء ليس ذبيحة كفارية كما ثبت لنا مما سلف، فانه لا يذبح، أو يحرق ويتصاعد منه دخان.

٣- قال أرميا النبي "لأنه هكذا قال الرب: لا ينقطع لداود إنسان يجلس على كرسي بيت إسرائيل، ولا ينقطع للكهنة اللاويين إنسان من أمامي يصعد محرقة ويحرق تقدمة ويهيئ ذبيحة كل الأيام" (إرميا ٣٣: ١٧- ١٨) - فالكهنة اللاويون المذكورون في هذه الآية لا يقصد بهم الكهنة الذين كانوا في العهد القديم، بل كهنة يكونون في العهد الجديد، لأن بني لاوي أنفسهم كان قد بطل عملهم من زمن بعيد. ولذلك فالمراد بالذبيحة هنا. العشاء الرباني دون سواه. وهذا دليل على أنه ذات جسد المسيح ودمه [الأفخارستيا ص٢٠٦].

الرد: فضلاً عن أن الكهنة المذكورين في هذه الآيات لا يراد بهم إلا كهنة اليهود لانتسابهم إلى لاوي بالذات، الذي كان أحد رؤساء الأسباط لديهم، فإنها تنص على إصعاد محرقات وحرق تقدمات. ولذلك لا يجوز أن تتخذ نبوة عن العشاء الرباني، لأنه يؤكل ولا يحرق.

٤- قال ملاخي النبي "هوذا يأتي قال رب الجنود، فينقي بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر. فتكون تقدمة يهوذا وأورشليم مرضية للرب، كما في أيام القدم" (ملاخي ٣: ١-٤) - فالمقصود ببني لاوي هنا، كهنة يكونون من بين المسيحيين في العهد الجديد، لأن بني لاوي أنفسهم كان الله قد رفضهم من زمن بعيد، وتبعاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لذلك لا يقصد بالتقدمة المذكورة هنا، سوى العشاء الرباني. وهذا دليل على أنه ذات جسد المسيح ودمه [الأفخارستيا ص٢٠٦].

الرد (أ): فضلا عن أن الوحي يعلن أن الذين سيقومون بالتقدمة المذكورة هنا، هم بنو لاوي بالذات، الأمر الذي يدل على أن هذه الآيات خاصة بنظام العهد القديم دون سواه كما ذكرنا، فإن غرض الله من تنقية بني لاوي هؤلاء أن تكون تقدمتهم مرضية أمامه، كما كانت في أيام القدم. بينما العشاء الرباني لم يكن موجوداً في أيام القدم، لأنه لم يعمل في الأيام السابقة لملاخي صاحب هذه النبوة، بل عمل بعد موته حوالي ٤٠٠ سنة، كما يتضح من الكتاب المقدس.

(ب) وبالإضافة إلى ما تقدم فإننا إذا رجعنا إلى هذا الكتاب لا نعثر على آية واحدة تدل على أن الله لم يرض عن العشاء الرباني في أي وقت من الأوقات[٣٧]، لكن الذي لم يكن حائزاً لرضى الله هو الذبائح التي كان يقدمها كهنة اليهود له، لأنهم كانوا يقربون الأعمى والأعرج من الحيوانات، كما يتضح من نفس نبوة ملاخي المقتبسة منها الآيات التي نحن بصددها (ملاخي ١: ٥- ٨). ولذلك فالتقدمة المذكورة في هذه الآيات لا يقصد بها العشاء الرباني على الإطلاق.

٥- قال سليمان الحكيم: "الحكمة بنت بيتها، نحتت أعمدتها السبعة، ذبحت ذبحها، مزجت خمرها. أيضاً رتبت مائدتها" (أمثال ٩: ١- ٥) -هذه نبوة عن أسرار الكنيسة السبعة وبصفة خاصة العشاء الرباني، لأنه هو الذي يعبر عنه بالذبائح والخمر [الأفخارستيا ص٢٠٧].

الرد: (أ) فضلاً عن أن العشاء الرباني لا يسمى بالكتاب المقدس "ذبيحة" على الإطلاق، فإنه ليس من المعقول أن يتنبأ العهد القديم عن وجود سبعة أسرار ستكون في العهد الجديد، ويكون العهد الجديد نفسه خالياً خلواً تاماً من أي إشارة عنها. وإذا كان الأمر كذلك، فمن المؤكد أنه لا يقصد بهذه الآيات ما يسمى عند القائلين بالاستحالة أسراراً.

(ب) أما معنى الآيات المذكورة فينحصر في أن الحكمة أو بالحري "حكمة الله"، قد أعدت للبشر بسبب محبته الشديدة لهم، بيتاً ثابتاً كل الثبات وكاملاً كل الكمال (لأن الأعمدة تدل على الثبات، والعدد سبعة يدل على الكمال)، وأُعدت لهم في هذا البيت كل ما يحتاجون إليه من طعام وشراب لكي يشبعوا ويفرحوا- وطبعاً لا يراد بهذا البيت بيت مادي بل حضرة الله نفسها، كما أنه لا يراد بالطعام والشراب المذكورين أمور مادية بل أمور روحية تشبع النفس وتملؤها سروراً، فمكتوب عن الله: "أمامه شبع سرور وفي يمينه نعم إلى الأبد"

[٣٧]- مما تجدر الإشارة إليه في هذه المناسبة أن قضاء الله الذي حل على المؤمنين في كورنثوس، لم يكن راجعاً إلى عيب في العشاء الرباني الذي كانوا يمارسونه، بل إلى عدم امتحانهم لأنفسهم قبل التناول منه (١كورنثوس ١١: ١٧- ٢٩) .

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(مزمور ١٦: ١١). ومكتوب عن الراجعين إلى الله أن قلبهم يفرح كأنه بالخمر[٣٨] (زكريا ١٠: ٧) .ولذلك فإن سليمان يوصي بالعبارة التي أمامنا بعدم الانقياد وراء أهواء العالم الباطلة التي تتلف الصحة وتقصي النفس عن الله مصدر السعادة الحقيقية، ويحرص على الطاعة لله والتوافق معه- وهذا هو الغرض الذي يرمي إليه أيضاً سليمان من كل أقواله في سفر الأمثال.

٦- قال أشعيا النبي: "حلف الرب بيمينه وبذراع عزته قائلاً: إني لا أدفع بعد قمحك مأكلاً لأعدائك، ولا يشرب الغرباء خمرك التي نعمت فيها، بل يأكله الذين جنوه ويسبحون الرب، ويشربه جامعوه في ديار قدسي" (أشعيا ٦: ٨- ١٠) - فالقول إن الخبز يُؤكل بالتسبيح والخمر تُشرب في ديار الرب، إشارة إلى الخبز والخمر اللذين يُستعملان في العشاء الرباني لأنهما هما اللذان يتناولهما المؤمنون بالشكر في ديار الرب [الإفخارستيا ص٢١٢].

الرد: الخبز والخمر، كما ذكرنا في الباب الأول، كانا الغذائين الأساسيين لمعظم الشعوب الشرقية القديمة، ولذلك كانت هذه الشعوب تعتز بهما كل الاعتزاز. وكان من عادة اليهود أن ينتقلوا من بلادهم إلى الهيكل في أيام الأعياد، حاملين معهم خبزهم وخمرهم، وهناك كانوا يأكلون الأول ويشربون الثاني شاكرين المولى الذي جاد عليهم بهما. ولذلك ليس هناك مجال للظن بأن في هذه الآية إشارة إلى العشاء الرباني.

ومما يثبت هذه الحقيقة أن الآيات المذكورة تنص على أن الذين يأكلون الخبز ويشربون الخمر، هم الذين جنوه وجمعوه، بينما التناول من العشاء الرباني ليس وقفاً على الذين يجنون القمح ويجمعون العنب.

[٣٨] - نرى لزاماً علينا في هذه المناسبة أن نشير إلى أن الكتاب المقدس ينهى عن المسكر فقد قال الرسول:"ولا تسكروا بالخمر التي فيها الخلاعة بل امتلئوا بالروح" (افسس ٥: ١٨) . وقال سليمان الحكيم:"لمن الويل، لمن الشقاوة، لمن المخاصمات، لمن الكرب، لمن الجروح بلا سبب، لمن ازمهرار العينين؟ (الجواب) للذين يدمنون الخمر" (أمثال ٢٣: ٢٩) - أما الحالة الوحيدة التي يجيز فيها الكتاب المقدس شرب الخمر، فهي حالة المرض التي يشير الأطباء فيها باستعمال قليل من الخمر، فقد كتب بولس الرسول وبصحبته لوقا الطبيب، إلى تيموثاوس قائلاً:"لا تكن فيما بعد شرّاب ماء، بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة" (١ تيموثاوس ٥: ٢٣). ولذلك إذا وجدنا عبارة في الكتاب المقدس تدل على فائدة الخمر في غير العلاج، فإن الغرض من الخمر ليس المسكر، بل عصير العنب قبل أن يعتريه تخمير، كما ذكرنا في الباب الأول.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٦

الحجج الخاصة بوجوب الإيمان بالاستحالة دون بحث أو مناقشة:

١- الاستحالة نوعان: استحالة حسية وأخرى سرية. فالأولى مثل تحويل الماء إلى خمر في بلدة قانا الجليل، والثانية مثلما يحدث في العشاء الرباني، أو مثلما حدث في النار التي ألقي فيها الفتية الثلاثة، فإنها تحولت حينئذ إلى نسيم عليل مع بقائها ناراً كما كانت قبل إلقائها فيها. لذلك ليس هناك مجال للاعتراض على عقيدة الاستحالة لعدم وجود أثر منظور يدل عليها في العشاء الرباني [الإفخارستيا ص٦٨، ٦٩ وسر العشاء الرباني ص٢٥.

الرد (أ) لا يجوز إطلاقاً أن يتخذ المرء الموضوع الذي يريد البرهنة على صدق رأيه فيه، هو بذاته حجة له. ولذلك فالقول إن الاستحالة السرية مثلما يحدث في العشاء الرباني، هو قول مرفوض شكلاً وموضوعاً.

(ب) أما من جهة النار التي ألقى فيها الفتية، فإنها لم تتحول إلى نسيم عليل كما يقول صاحب هذه الحجة، بل ظلت كما كانت من قبل ناراً مستعرة. والدليل على ذلك أنها أحرقت الرجال الذين ألقوا هؤلاء الفتية فيها، كما أحرقت القيود التي كان الفتية المذكورون مربوطين بها (دانيال ٣: ٢٢- ٢٤) . إذاً فكل ما حدث هو أن الرب بمرافقته لهؤلاء الفتية (٣: ٢٥) ، حفظهم من تأثير النار عليهم، كما حفظ بطرس بعد ذلك من الغرق بواسطة مرافقته له على الماء، مع بقاء الماء ماءً سائلاًكما هو (متى ١٤: ٢٩) .

(ج) فضلاً عن ذلك فان تحول النار إلى نسيم عليل بالنسبة إلى الفتية (إن جاز هذا التعبير) ، لا يصح أن يتخذ قياساً لإثبات حدوث استحالة في العشاء الرباني مع بقائه كما هو خبزاً وخمراً في الجوهر والمظهر، لأن هذه النار مع بقائها ناراً في مظهرها، لم تمس الفتية بأذى، الأمر الذي يدل على أنها وإن لم تتغير بالنسبة لهم في مظهرها، إلا أنها تغيرت في جوهرها. وبذلك تكون الاستحالة التي حدثت في هذه النار (إن جاز أن تسمى استحالة) هي استحالة حسية وليس استحالة سرية. ولكن العشاء الرباني لا يحدث فيه تغيير على الإطلاق، لا في الخواص العرضية أو الخواص الجوهرية، لأن المذاق والرائحة فيه يظلان كما هما مثل الشكل واللون تماماً- ولذلك لا يجوز أن تُتخذ هذه النار دليلاً على إمكانية تحول العشاء الرباني إلى ذات جسد المسيح ودمه، مع بقاء مادتي هذا العشاء كما هما دون تغيير ظاهري أو جوهري.

٢- الاستحالة التي تحدث في العشاء الرباني هي استحالة سرية، ولذلك فإن ما يتغير فيه ليس المظهر بل الجوهر، والجوهر لا يكمن إدراكه [الأفخارستيا ص ١٧و١٨و٨٥].

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرد: (أ) من دراسة أقوال المؤمنين بالاستحالة والحلول يتضح أنهم لا يقصدون بجوهر العشاء الرباني ماهيته أو كنهه وطبيعته كما يتبادر إلى الذهن الذي يفهم ما هو جوهر الشيء، بل يقصدون بجوهر هذا العشاء عقيدتهم بشأنه. وهذا ما يتعارض مع المعنى المعروف لدينا كل التعارض، وإن دل على شيء فانه يدل على استعمالهم بعض الألفاظ في غير معناها الأصلي لتأييد وجهة نظرهم. أما لو أنصفوا في التعبير لما قالوا إن العشاء الرباني يتحول لديهم جوهراً لا مظاهراً، بل قالوا إنه يتحول لديهم عقيدة لا حقيقة، لأن التغيير في جوهر الشيء (أو بالحري فيما ماهيته أو كنهه) يتبعه حتماً تغيير في أعراضه وخصائصه جميعاً، الأمر الذي لا يحدث عندهم في العشاء الرباني.

(ب) إن التحول عندما يكون حقيقياً يكون واضحاً جلياً، سواء أكان سرياً أم حسياً، أو إلا كان تحولاً خيالياً وهمياً، وفي هذه الحالة لا تكون له قيمة أو اعتبار. فمثلاً: لو أن المسيح لم يحول الماء إلى خمر بهيئة واضحة في قانا الجليل، لما صدّق أحد أنه حولها، ولا آمن أحد من تلاميذه برسالته تبعاً لذلك (يوحنا ٢: ١١) إذاً فالتحول من الناحيتين الكتابية والعقلية، لا يكون تحولاً إلا إذا ظهر الدليل العملي عليه كما ذكرنا- ولذلك إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نجد أن المسيح لم يطلب منا إطلاقاً أن نؤمن بأمور تتعارض مع حكم حواسنا عليها (إن كانت هذه الأمور تقع تحت حكمها) ، بل كان ينبر على وجوب استخدام حواسنا في الحكم على الأمور المذكورة، حتى لا يكون إيماننا بها إيماناً شكلياً أو وهمياً بل إيماننا فعلياً أو حقيقياً. فمثلاً عندما ظهر للتلاميذ في الغرفة التي كانوا مختبئين فيها وأبوابها مغلقة، وارتابوا في أمره ظانين أنه روح، قال لهم"انظروا يديّ ورجليّ... إني أنا هو... جسوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي". وحين قال هذا، أراهم يديه ورجليه لكي يشاهدوا بعيونهم آثار المسامير التي سمر بها على الصليب. ولكي يزيل كل أثر لما عساه أن يولد الريب أو الشك في نفوسهم، أخذ جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد العسل وأكل قدامهم"، كما كان يفعل من قبل (لوقا ٢٤: ٣٩- ٤٣) .

وفي ضوء ما تقدم نقول: لو كان المسيح حوّل الخبز والخمر إلى ذات ص١٨٤ جسده ودمه (على فرض جواز حدوث ذلك) ، لكان قد حولها إلى ذات جسده ودمه بهيئة مدركة ملموسة، حتى لا يكون هناك شك من جهة هذا التحول لدى تلاميذه أو غير تلاميذه.

(ج) ولو فرضنا جدلاً أنه حوّل الخبز والخمر إلى ذات جسده ودمه دون أن يغير خواصهما، لغرض لم يشأ أن يذكره لنا، لكن قد أخبرنا بما فعله حتى نؤمن بهذا النوع الجديد من الاستحالة. وما كان أحد من المؤمنين يتسرب إليه الشك من جهة هذا النوع منها، إذا المفروض فينا كمؤمنين، هو أن نؤمن بكل شيء يقول الرب أنه عمله، سواء أرأينا نتيجة عمله كله هذا أم لم نرها. بما أن الخبز والخمر يظلان كما هما دون تغيير أو تبديل، وإن المسيح لم يخبرنا إنه حولها إلى ذات جسده ودمه بأي شكلٍ من الأشكال، وفي الوقت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نفسه تدل كل القرائن على أن حديثه عن التناول من جسده ودمه كان حديثاً مجازياً كما اتضح لنا في أوائل هذا الباب، إذا لا يجوز أن نقول من عندنا إطلاقاً أنه حول الخبز والخمر إلى ذات جسده ودمه بطريقة ما.

٣- إن المادة كما يقول العلماء لا يمكن إدراك كنهها. فضلاً عن ذلك فإنّ الحقن الطبية تحوي جواهر المواد المستحضرة منها، ومع ذلك تختلف في شكلها الخارجي عن شكل تلك المواد. ولذلك لا يجوز الاعتراض على القول أن الخبز والخمر المستعملين في العشاء الرباني هما ذات جسد المسيح ودمه [الأفخارستيا ص ١٨و٩٨].

الرد: (أ) إلى هنا انتهت هذه الحجة، وبذلك يكون صاحبها قصد أن يخبرنا أن الدواء الواحد قد يكون على هيئة حبوب أو حقن أو شراب وحسب الظاهر يختلف كل من هذه عن الآخر كل الاختلاف، بينما العناصر فيها جميعاً واحدة في جوهرها. كما قصد أن يخبرنا أن العكس لابد أن يكون صحيحاً أيضاً، أي قد تكون مادة تشبه الأخرى كل الشبه في شكلها ورائحتها ومذاقها وتأثيرها، ومع ذلك تكون مختلفة كل الاختلاف عنها، كما هي الحال في العشاء الرباني لديه، فانه يعتقد أن ظاهره خبز وخمر بينما حقيقته جسد ودم.لكن هذا الرأي لا نصيب له من الصواب، إذاً انه يتعارض مع الواقع المعروف لدينا كل التعارض، لأننا نرى أنه إذا اتفقت بعض المواد في شكلها ولونها (مثل أقراص النعناع والأسبرين والسلفا) فإنها تختلف في مذاقها أو تأثيرها أو رائحتها، أو في هذه الثلاثة معها.

(ب) أما من جهة الحجة الخاصة بالمادة فنقول إن ما كان العلماء يعجزون عن إدراكه في المادة قديماً ليس هو نوعها بل تركيب ذراتها، فإنهم لم يعجزوا يوماً في الحكم على مادة من حيث أنها خبز أو لحم (مثلاً) ، بل كانوا يعجزون عن معرفة تركيب الذرات التي يتكون منها الخبز واللحم وغيرها من المواد. وما كانوا يعجزون عن إدراكه قد أدركوه الآن فقد عرفوا أن الذرة تتكون من نواة تدور حولها الكترونات خاصة بها، ولذلك فهذه الحجة لا مجال لها على الإطلاق.

٤- "الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى" (عبرانيين ١١: ١٠) ، ولذلك يجب أن نؤمن بتحول العشاء الرباني إلى ذات جسد المسيح ودمه، كما تنص التقاليد حتى وإن كنا لا ندرك هذا التحول بحواسنا. فالذي حوّل الماء مرة إلى خمر في قانا الجليل، لا يعسر عليه أن يحول العشاء الرباني إلى ذات جسده ودمه الأكرمين. فليكن لنا إذاً إيمان مرثا ومريم في قدرة المسيح، فهما مع بقاء أخيهما لعازر في القبر مدة أربعة أيام، آمنتا أنه سيقوم بقوة المسيح [الأفخارستيا ص ٩٩ وأسرار الكنيسة السبعة ص٨٧].

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرد: (أ) الإيمان يجب ألا يكون بغير ما يجب الإيمان به، وما يجب الإيمان به هو من وحي الله الذي بين أيدينا، وبما أن هذا الوحي لا ينص على أن العشاء الرباني يتحول إلى ذات جسد المسيح ودمه سرياً أو حسياً، يجب ألا نؤمن أنه يتحول إليهما بأي شكل من الأشكال، وإن آمنا بهذا التحول، لا نكون مؤمنين بكلمة الله، بل بغير كلمة الله، وهذا ليس من الإيمان بشيء.

أما القول بأن الإيمان يجب أن يكون بكل من الكتاب المقدس والتقاليد، أو بالحري أقوال القديسين القدماء، فليس بصواب، لأن القديسين وإن كانوا قد بلغوا درجة سامية من التقوى، إلا أنهم لم يخرجوا عن كونهم بشراً مثلنا، والبشر ليسوا معصومين من الخطأ. ولذلك لا يجوز لنا أن نتخذ أقوالهم حجة نبني عليها إيماننا، بل علينا أن ندرسها في ضوء الكتاب المقدس، فإن وجدناها تتوافق معه أفدنا مما فيها من شرح وتعليم، وإن وجدناها لا تتوافق معه يجب أن نغض الطرف عنها.

(ب) أما من جهة معجزة تحويل الماء إلى خمر في قانا الجليل، فنحن نؤمن بها، لأن الوحي قال:"فلمّا ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً" (يوحنا ٢: ٩) . لكن العشاء الرباني، فضلاً عن أنه ليس هناك دليل عملي يثبت حدوث أي تحول فيه، فإن المسيح لم يقل إن التلاميذ تناولوا العشاء المتحول إلى جسد المسيح ودمه ، قياساً على ما قاله عند تحول الماء إلى خمر في قانا الجليل، لذلك يجب ألا نقول من عندنا إطلاقاً إن المسيح حول هذا العشاء إلى ذات جسده ودمه.

(ج) كما أن الإيمان لا يكون إلا بأمر حدث دون أن نراه، أو بأمر لم يحدث بعد، ويكون الله نفسه قد أعلن لنا في كتابه عن حدوث الأول في الماضي، أو عن حدوث الثاني في المستقبل. والأول مثل خلق العالم من لا شيء (عبرانيين ١١: ٣) ، والثاني مثل القيامة من الأموات (١كورنثوس ١٥: ٣٥- ٥٠) . أما ما نراه وقد حدث فعلاً أمامنا، فلا يستدعي أن نؤمن به، بل أن نتحقق منه بحواسنا، لأن الإيمان ليس هو الإيقان بأمور تُرى بل بأمور لا ترى (عبرانيين ١١: ١) وللإيضاح نقول: إن المسيح قبلما أقام لعازر من القبر، طلب من مريم ومرثا أن تؤمنا أنه سيقوم (يوحنا ١١: ٤٠) ، لكن بعد ما أقامه، لم يطلب منهما إطلاقاً أن تؤمنا أنه قام، لأنه كان في وسعهما أن تتحققا بنفسيهما من قيامته.

وعلى هذا القياس نقول: بما أن الذين يعتقدون بالاستحالة أو الحلول يقولون إن العشاء الرباني يتحول إلى ذات جسد المسيح ودمه أو إن ذات جسده ودمه يحلان فيه، إذاً يجب عليهم ألا يؤمنوا أو يطلبوا من أحد أن يؤمن بالاستحالة أو الحلول، بل أن يبحثوا عن الأدلة الكتابية أو العملية التي تثبت صدق رأيهما، ويظهروها لأنفسهم وغيرهم حتى يتحققوا جميعاً منها. وبما أن العشاء الرباني يظل عندهم كما هو خبزاً وخمراً مظهراً وجوهراً. كما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هي الحال عند غيرهم من المسيحيين، فضلاً عن ذلك ليست هناك آية واحدة في الكتاب المقدس تنص على حدوث استحالة أو حلول في هذا العشاء، لذلك ليس هناك ما يبرر الإيمان بالاستحالة أو الحلول بأي حال من الأحوال. لأن الإيمان المسيحي ليس هو الإيمان الأعمى (كما يقول بعض الناس) ، بل إنه الإيمان المبصر، إذ أن الله أعطانا بصيرة لكي نعرف الحق (١يوحنا ٥: ٤) .

(د) أخيراً نقول إننا لا ننكر أبداً أنه من الممكن أن يحول الله الخبز والخمر إلى جسد ودم، لكن ما ننكره هو القول إن الله حولهما أو يحولهما إلى ذات جسد المسيح ودمه، إذ فضلاً عن أنه ليست هناك آية واحدة تدل على ذلك، فإن الله يكون بهذا التحول قد عمل مسحاء غير المسيح، وهذا ما نفينا جواز حدوثه في الفصل الأول من هذا الباب. فنحن نرفض الإيمان بالأمور التي تفوق العقل كما يتهمنا البعض، بل نرفض الإيمان بالأمور التي تتعارض مع الوحي أو مع الوحي والعقل معاً.

ولإيضاح الفرق بين الأمور التي تفوق العقل، وبين الأمور التي تتعارض معه، نقول: أو فرضنا أن المسيح بعدما قال للعازر (مثلاً) "هلمّ خارجاً" (يوحنا ١١: ٤٣) ، لم يخرج لعازر بل ظلّ ميتاً في قبره. فإن الإيمان بقيامته من بين الأموات في هذه الحالة، لا يكون إيماناً بما يفوق العقل، بل بما يتعارض مع العقل، وفي الوقت نفسه بما يتعارض مع الوحي. وإيمان مثل هذا يرفضه الله رفضاً باتاً، لأنه لا يكون إيماناً بل تجاهلاً للحقيقة وتعامياً عنها. وعلى هذا القياس نقول: بما أنّ المسيح بعدما قال عن الخبز إنه جسده، ظلّ الخبز كما هو خبزاً، وبعدما قال عن الخمر إنها دمه، ظلّت الخمر كما هي خمراً، فضلاً عن ذلك فإنه لم يقل إطلاقاً إنه حولّهما إلى ذلت جسده ودمه سرياً أو حسّياً، يكون الإيمان بالاستحالة أو الحلول في هذه الحالة، إيماناً ضد الوحي وضد العقل، وإيمان مثل هذا لا يسمى إيماناً كما ذكرنا،

٥- إن المسيح لم يحول الخبز والخمر إلى ذات جسده ودمه حالة مدركة لئلا تنفر نفوسنا من التناول منهما، أو ننقلب إلى وحوش ضارية إذا تناولنا، ولذلك ليس هناك مجال للاعتراض على الاستحالة السرية [الأفخارستيا ص ٩٨].

الرد (أ) لو كان المسيح حوّل الخبز والخمر إلى ذات جسده ودمه بحالة منظورة، لما كان هناك مؤمن حقيقي ينفر من تناولهما، لأن المؤمن الحقيقي يطيع الله مهما كلفه بعمل يشق عليه القيام به. كما أن أكل قطعة صغيرة من اللحم النيء، أو شرب بعض نقط من الدم (إن جاز شربه) لا يجعلان الإنسان وحشاً ضارياً. فالأطباء (مثلاً) يوصون بأكل الكبدة دون طهي أو شي، وعدد كبير من الناس يأخذ بنصيحتهم، ولم نسمع مطلقاً أن واحداً منهم افتراس إنساناً وأكل لحمه، ثم انهال على دمه فشربه شرباً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(ب) فإذا أضفنا إلى ذلك، أن الناس هم في الواقع أحوج ما يكون إلى أن يلقى الله عليهم الكثير من هيبته ورهبته بصورة مدركة ملموسة، حتى يخشوه ويخافوه ويسلكوا بتدقيق وحذر في سبيله، أدركنا أنه لو كانت الاستحالة أو الحلول أمراً حقيقياً، لكان من الخير لنا ولكل البشر أيضاً معنا، أن يتحول العشاء الرباني إلى ذات جسد المسيح ودمه أو يحل هذان فيه، بصورة واضحة جلية. وبما أنه لا يتحول إليهما أو يحلان هما فيه على هذا النحو، إذاً فالمسيح لا يقصد تحويله إلى ذات جسده ودمه، أو الحلول بذات جسده ودمه في هذا العشاء.

٦- إن بطرس منغوس وأكاكيوس البطريركين في القرن الخامس رأيا أثناء إصعاد الذبيحة المقدسة (أو بالحري العشاء الرباني) نوراً عظيماً كما رأيا الرب يسوع المسيح كالطفل متكئ على الصينية والكأس، وشاهدا آثار المسامير في جسده، وبعد ما تحدث معهما اختفى عنهما. فضلاً عن ذلك ، فإن أحد الأمراء غير المسيحيين شاهد مرة في يدي الكاهن، بدلا من خبز العشاء الرباني، طفلاً صغيراً يجزئه هذا الكاهن إلى أجزاء، ويضع كل جزء في الصينية فتلطخت إذ ذاك بدم، فوقع على هذا الأمير ذهول وآمن بعد ذلك بالمسيح [الخريدة النفسيةج١ص ٥٥٤، ج٢ ص٢٤٩]

الرد: (أ) إن أصحاب هذه الحجة يعتقدون أن الاستحالة تتم لديهم مع بقاء الخبز والخمر كما هما في الشكل واللون والطعم والرائحة وكل شيء آخر، وأن الله أراد أن تكون الاستحالة على هذا النحو دون سواه لغاية خاصة لديه، لذلك لا يجوز لهم أن يأتوا بحجة مثل هذه، لأن الرؤى الصادقة تعلن الأمور على النحو الذي أراد الله أن تكون عليه. وإذا كان ذلك كذلك، كان من الواجب أن يعملوا أن الرؤى الواردة في الحجة المذكورة (إن جاز أن تسمى رؤى) لا يمكن إلا أن تكون تصورات ذهنية أو اختراعات بشرية لإثبات عقيدة الاستحالة، لا أكثر ولا أقل، لاسيما وأن هذه "الرؤى" لم يقل بها أشخاص كثيرون، بل ثلاثة أشخاص فحسب. فضلاً عن ذلك فإن قول هؤلاء الأشخاص لم يعرض على مجمع ما ليناقشه ويقطع برأي فيه، بل ترك بين الناس ليتداولوه كما هو.

(ب) زد على ذلك، فان هذه الرؤى لا تقوم لها قائمة أمام الوحي أو العقل، لأن المسيح لم يُصلب عندما كان طفلا أو تحول إلى طفل عند صعوده إلى السماء، حتى كان من الجائز أن يرى الأشخاص المذكورون طفلان مكان الخبز الذين يقولون انه يتحول الى ذات المسيح. فاذا أضفنا الى هذه الحقيقة أن الرسل أنفسهم لم يروا ما رآه هؤلاء الأشخاص مع أنهم لم يكونوا أقل روحانية أو إدراكاً منهم، اتضح لنا أن هذه الحجة لا نصيب لها من الصواب على الإطلاق.

(ج) أخيرا أقول إنني التقيت بواحد من الذين يقولون أنهم يرون مثل هذه الرؤى، يُدعى "م. جرجس". وشاء الرب بعد ذلك أن أسكن مع هذا الشخص في منـزل واحد لفترة طويلة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من الزمن، ولذلك استطعت أن أعرف الشيء الكثير عن كيفية حكمه على الأمور التي تصادفه بالحياة. ونظراً لأن المجال لا يتسع لسرد كل الوقائع التي تدل على ذلك، أكفي بذكر الوقائع الأربع التالية على سبيل المثال: (١) أتاني هذا الشخص مرة خائفاً مذعوراً يقول لي أنه يخشى الدخول إلى غرفته لأنه رأى بها (حسب قوله) شيطاناً. فدخلت معه إليها فلم نرَ شيطاناً أو ملاكاً. فهمس في أذني أن الشيطان اختبأ وراء الدولاب، فأبعدت الدولاب عن الحائط كثيراً، فلم يبد من ورائه شيء على الإطلاق. (٢) ومرة رأيته مضطرباً ومرتبكاً، وبالاستفسار منه عن السبب، أخبرني أن الشيطان يسرق منه نقود الكنيسة لكي يسيء إلى سمعته فيها، وبالبحث وجد أنه لم يكن يعلم مقدار ما كان يجمعه من هذه النقود في أول الأمر. (٣) ومرة أتى إلى (م) هذا شخصٌ مريض لكي يصلي (م) لأجله، وبعد الصلاة أخبرني (م) أن الله أعلن له أن المريض به روحٌ نجس، وأنه لا يمكن أن يشفى بواسطة الأطباء، ولكن بعد أسبوع ذهب المريض إلى الطبيب، فوجد عنده مرض بالكلى، وبالعلاج شُفي تماماً. (٤) ومرة رأيت (م) فرحاً ومبتهجاً وبالاستفهام منه عن السبب، أخبرني أن الله أراه السماء بكل جمالها وبهائها، وأعلن له أنه سيأخذه إليها في بحر شهر، ولكن مرت شهور وسنون ولا يزال (م) هذا على قيد الحياة- الأمر الذي يدل على أن الخواطر التي تطرأ على ذهنه تصبح مجسمة أمامه كحقائق، ولذلك لا يجوز الاعتماد على أرآه أو أراء أمثاله من جهة العشاء الرباني، أو غيره من الموضوعات الهامة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٧

الحجج الخاصة بالمقارنات الدينية والضرورة القانونية

١- أن كثيرين من الانجيليين يعتقدون أنهم يتناولون من جسد المسيح ودمه روحياً، لكن المادة لا تتحول إلى روح، كما أن الروح لا تتحول إلى مادة.ولذلك فالقول بتحول العشاء الرباني إلى ذات جسد المسيحودمه هو الصواب، لأن المادة يمكن أن تتحول إلى مادة [الأفخارستيا ص١٨٢،١٠١].

الرد: فضلاً عن أن صاحب هذه الحجة يعتقد أن العشاء الرباني الذي يعمل في كنيسته يتحول ليس إلى ناسوت المسيح فحسب بل وإلى لاهوته أيضاً، أي أنه بجانب تحوله إلى مادة غير المادة الأصلية، يتحول إلى لاهوت أو بتعبير آخر إلى روح (لأن اللاهوت روح)، الأمر الذي ينتقده في عقيدة هؤلاء الانجيليين حسب فهمه لها، نقول إن الانجيليين المذكورين لا يعتقدون أن العشاء الرباني يتحول من مادة إلى روح، بل يعتقدون أنهم بتناولهم من العشاء الرباني بأفواههم، يكونون قد تناولوا من جسد المسيح ودمه روحياً بقلوبهم. ولما كانت هذه الحجة قد بنيت على عدم معرفة بالعقيدة التي يعتنقها هؤلاء الانجيليون، فانها تكون قد بنيت على غير أساس، ومن ثم فهي حجة لا أساس لها.

٢- إن الله أقام العهد القديم بدم الذبائح الحيوانية (خروج ٢٤: ٢)، وأقام العهد الجديد بدم المسيح، فقد قال المسيح عن كأس العشاء الرباني إنها العهد الجديد بدمه (لوقا ٢٠:٢٢). ولذلك لو أن الخمر التي كانت في هذه الكأس لم تتحول وقتئذٍ إلى ذات دم المسيح، لكانت رموز العهد القديم أفخم من حقائق العهد الجديد، وهذا ما لا يتفق مع الوحي أو العقل إطلاقاً [الأفخارستيا ص٤٠، ٤٥، ٤٦، ٨٣].

الرد: (أ) إن الله لم يؤسس العهد الجديد على السائل الذي كان في كأس العشاء الرباني، والذي يقول صاحب هذه الحجة عنه إنه تحول إلى ذات دم المسيح، بل أسس هذا العهد على دم المسيح الذي سفك على الصليب. والدليل على ذلك أنه عندما سفك هذا الدم انشق الحجاب الذي كان موضوعاً أمام قدس الأقداس (متى ٢٧: ٥١)، فاتحاً لنا الطريق إلى الله في عهد جديد لا ذكر فيه للخطية على الاطلاق، كما ذكرنا في الباب الأول (عبرانيين ٨: ١٢).

فضلاً عن ذلك فإن المسيح لم يقل: "هذه الكأس هي العهد الجديد التي فيها دم بعينه"، أو "التي فيها دمي"(بدون كلمة عينه هذه)، حتى كان يجوز القول بتحول الخمر التي كانت فيها إلى دمه، بل قال عن الكأس المذكورة "إنها العهد الجديد بدمي"، وهذه العبارة التي لا تعني سوى أن العهد المذكور قد قام بدم المسيح (وطبعاً دمه الذي سفك على الصليب كما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ذكرنا فيما سلف)، والذي كان السائل الموجود في هذه الكأس رمزاً له، لأن قول المسيح عن هذه الكأس إنها "العهد الجديد بدمي"، هو قول مجازي محض. إذ أن الكأس المذكورة ليست هي ذات العهد الجديد، بل إنها فقط الدلالة على هذا العهد كما ذكرنا أسضاً في الباب الأول.

(ب) أما عن كلمة "أفخم" التي وردت في هذه الحجة، والتي تتكرر بصور مختلفة في حجج القائلين بالاستحالة. فإنها تدل على ميلهم إلى تأليف عقائد دينية تجعل المسيحية في نظرهم أفخم من اليهودية. وإن كان المجال لا يتسع أمامنا لمناقشة هذا الموضوع، لكن نقول بكل اختصار: حقا إن المسيحية (أفخم) من اليهودية (وأفخم) منها بدرجة لا حد لها (عبرانيين ٦: ٩، ٧: ١٩) لأن اليهودية لم تكن إلا تمهيداً للمسيحية وظلالها (عبرانيين ٨: ٥). لكن (فخامة) المسيحية ليست في المظاهر المادية بل كان من البديهي ألا تظهر هذه الحقائق بمجد تراه العيون الجسدية، أو يطرأ على العقول البشرية. وقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة فقال: "إن كانت خدمة الموت (اليهودية) المنقوشة بأحرف في حجارة قد حصلت في مجد، حتى لم يقدر بنو إسرائيل أن ينظروا إلى وجه موسى بسبب مجد وجهه الزائل، فكيف لا تكون بالأولى خدمة الروح (المسيحية) في مجد!! لأنه إن كانت خدمة الدينونة (اليهودية) مجداً، فبالأولى كثيراً تزيد خدمة البر المسيحية في مجد[٣٩]. (لذلك) فإن الممجد (في المسيحية) لم يمجد من هذا القبيل (الظاهري) بسبب المجد الفائق (الذي هو المجد الروحي)" (٢كورنثوس ٣: ٧-١٠).

٣- إن ذبيحة الفصح السنوية التي كان يقدمها بنو إسرائيل تذكاراً للذبيحة التي قدموها أولاً في أرض مصر، كانت مثلها تماماً. ولذلك فإن العشاء الرباني الذي هو تذكار لموت المسيح على الصليب لأجلنا, يجب أن يكون مثل المسيح تماماً, أي لابد أن هذا العشاء يتحول إلى لاهوت المسيح وناسوته (الافخارستيا ص ٤٧ و ٨٢).

الرد: (أ) إن تذكار الفصح الذي كان يعمله بنو إسرائيل كل عام, كان خروفاً مثل خروف الفصح الذي عملوه أولاً في أرض مصر, لأن الله أمرهم أن يعملوا التذكار خروفاً مثله (خروج ١٢: ١- ٨). لكن المسيح أمرنا في العهد الجديد أن نصنع تذكار موته بخبز وخمر، وليس هناك دليل كتابي أو عقلي يثبت أن الخبز والخمر المذكورين بتحولان إلى ذات جسد المسيح ودمه, لذلك لا يجوز لنا أن نقول من عندنا إنهما مثل المسيح أو إنهما يتحولان إلى لاهوت المسيح وناسوته, أو حتى إلى ذات جسده ودمه فحسب. لأنه ليس لنا

[٣٩]- يوصف الناموس اليهودي بأنه "خدمة الموت" و"خدمة الدينونة"، لأنه أدان كل الناس أو بالحري حكم عليهم بالموت الأبدي لعدم استطاعتهم العمل بأحكامه (رومية ٣: ٢٣، ٦: ١٦- ١٧). وتوصف المسيحية بأنها "خدمة الروح" و"خدمة البر" لأنها تعلن أن الله يبرر جميع المؤمنين الحقيقيين، ويهبهم حياة روحية أبدية يستطيعون بها التوافق الكلي مع الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن نطبق ديناً ما على المسيحية, أو نقتبس منه أنظمة وطقوساً نضيفها إليها, إذ أن المسيحية كاملة في ذاتها كل الكمال, وإضافة أي شيء إليها يقلل من كمالها ويشوه من جمالها.

فالله أمر اليهود (مثلاً) أن يقيموا هيكلاً في العهد القديم، لكنه لم يأمرنا في العهد الجديد بإقامة هيكل ما, ليس لأن اليهودية أفضل من المسيحية، بل لأن الله لا يسكن في هياكل مصنوعة بأيدي الناس (أعمال ٧: ٤٨، ١٧: ٢٤)؛ وما الهيكل الذي أمر اليهود بإقامته قديماً إلا رمز مؤقت للأقداس السماوية الأبدية التي يوجد فيها المسيح (عبرانيين ١٨: ٥-١١)، والتي يدخل إليها المؤمنون الحقيقيون بقلوبهم أثناء عهد النعمة، لكي يقدموا العبادة الروحية التي تتوافق مع مشيئة الله، والتي سيقيمون فيها معه إلى الأبد بعد ذلك. (عبرانيين ٤: ١٦، ١٠: ١٩- ٢٢). ومن ثم فإقامتنا لأي هيكل في العهد الجديد تشبهاً باليهود، أو اقتداؤنا بهم في أي مظهر من مظاهر عبادتهم، يعتبر في الواقع تهويداً للمسيحية أو رجوعاً بها إلى عهد الظلال والرموز, وبالتبعية تجريداً لها من سماويتها وروحانيتها تجريداً تاماً.

أما هيكل الله الموجود على الأرض الآن, والذي نص الكتاب المقدس على وجوده, فهو المؤمنون الحقيقيون أنفسهم. فقد قال الرسول لهم: "جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله" (١ كورنثوس ٦: ١٩)، وقال لهم أيضاً: "فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله، أني سأسكن فيهم وأسير بينهم" (٢ كورنثوس ٦: ١٦). كما قال عنهم إنهم بيت الله (عبرانيين ٣: ٦). ولذلك يحرضنا الوحي قائلاً: "كونوا أنتم أيضاً كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح" (١ بطرس ٢: ٥) – وقد عرف هذه الحقيقة كل القديسين القدامى، ولذلك قالوا: "من ذا الذي يرى هذا الهيكل المكوّن منا! هذا القدس الأعظم الإلهي بالحق!" (يوسابيوس ٤٤٧).

(ب) كما أن خروف الفصح الذي ذبح مرة في أرض مصر لم يكن فريداً في نوعه, بل كان كغيره من الخراف في المظهر والجوهر، ولذلك كان من الجائز أن يكون تذكاره السنوي خروفاً مثله. أما المسيح فليس له نظير على الإطلاق، ولا يمكن تكوين شخص مثله بأي حال من الأحوال. ولذلك لا يمكن أن يكون تذكار موته واحداً مثله، كما لا يمكن أن يكون هذا التذكار هو ذات شخصه تحت هيئة الخبز والخمر المستعملين في العشاء الرباني، لأنه ليس هناك دليل كتابي أو عقلي على حدوث الاستحالة كما ذكرنا في الفصلين الأول والثاني من هذا الباب.

فضلاً عن ذلك فإن كلمتي "يقدمها" و "قدموها" الواردتين في الحجة التي نفحصها عن خروف الفصح، ليس لهما أساس في الكتاب إطلاقاً، لأن الفعلين المستعملين في هذا الكتاب عن الخروف المذكور هما "يعمل الفصح" و "عمل الفصح" (خروج ١٢، العدد ٩:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢، ٥، ١٣، يشوع ٥: ١٠). وإذا كان الأمر كذلك، فما غرض صاحب هذه الحجة من استعمال كلمتي "يقدمها" و "قدموها" اللتين أوردهما؟

الجواب: أظن أنه إن لم يكن ذلك من باب السهو أو الخطأ في النقل، يكون قد استعمل هاتين الكلمتين لكي يثبت (حسب وجهة نظره) أن الفصح كان ذبيحة تقدم لله. وبما أنه كان رمزاً للعشاء الرباني (من بعض الوجوه)، يكون هذا العشاء (حسب منطقه) ذبيحة تقدم لله، وتقدم له لأجل الحصول على الغفران. لكن الحقيقة هي أن الفصح الذي كان يعمله بنو إسرائيل كل عام، كانوا يعملونه ليس لأجل الحصول على الغفران، بل لأجل تذكار الخلاص الذي عمله الله لآبائهم مرة في أرض مصر، ولذلك كانوا يعملون هذا الفصح في بيوتهم، كما كانوا لا يلجئون إلى كهنة لكي يناولوهم إياه، بل كانوا يتناولونه بأنفسهم (خروج ١٢: ٨).

٤- لو كان العشاء الرباني لا يتحول إلى لاهوت المسيح وناسوته، لما كان المسيح يعتبره الطعام الأفضل الذي وعد به اليهود إزاء افتخارهم بالمن ولأصبح هذا المن الذي لم يكن إلا رمزاً للعشاء الرباني، أفضل من العشاء الرباني نفسه. وبما أن الرمز لا يكون أفضل من المرموز إليه، إذاً لا بد أن هذا العشاء يتحول إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته. (الإفخارستيا ص ٣٦).

الرد: إن المن لم يكن رمزاً للعشاء الرباني، بل كان رمزاً للمسيح نفسه, وذلك من جهة كونه خبز الله النازل من السماء كما ذكرنا في الباب الثاني. كما أن الطعام الأفضل الذي وعد المسيح بإعطائه لليهود والناس جميعاً، لم يكن هو العشاء الرباني، بل إنه شخصه بالذات، كما اتضح لنا في الباب المذكور. وكل من تناول المسيح بالإيمان في القلب، يشهد بحق أنه أفضل من المن بدرجة لا حد لها, لأن المسيح وحده هو المخلص من الخطية ونتائجها والواهب حياة روحية أبدية لكل الذين يقبلونه, الأمر الذي لم يستطع المن أو غير المن أن يفعله, ولذلك ليس هناك مجال لكلمات أفخم أو أفضل أو أشرف على الإطلاق.

٥- إن قول الرسول: "لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب وفي مائدة الشياطين" (١كورنثوس ١٠: ٢١)، يستنتج منه أن العشاء الرباني هو ذبيحة من جسد ودم، لأن الرسول يقارن في هذه الآية بين مائدة الرب، وبين مائدة الشياطين التي كان الوثنيون يقدمون عليها ذبائحهم، والمقارنة لا تكون صحيحة إلا إذا كانت بين شيئين متشابهين (الافخارستيا ص ٢٠٩).

الرد: ليس من الضروري أن تكون المقارنة بين شيئين متشابهين، فقد تكون أحياناً بين شيئين متناقضين. فنحن نقارن مثلاً بين الملاك وبين الشيطان، مع أن الأول يختلف عن الثاني كا الإختلاف. فضلاً عن ذلك, فإن الرسول لا يقارن هنا بين أشياء موضوعة على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مائدة الرب, وبين أشياء موضوعة على مائدة الشياطين، حتى كان يجوز البحث عن وجه شبه بينهما, بل إن الرسول يعلن في هذه الآية أنه ليست هناك أية علاقة بين المائدتين, وأنه تبعاً لذلك يجب على المسيحيين أن يقطعوا كل صلة بينهم وبين مائدة الشياطين الوثنية (١ كورنثوس ١٠: ٢١). فإذا أضفنا إلى ذلك أن الإصطلاح "مائدة الرب" يرد في الكتاب المقدس بمعنى العشاء الرباني نفسه, وليس بمعنى "الأداة التي يوضع عليها العشاء الرباني" كما ذكرنا فيما سلف, اتضح لنا أن هذه الحجة لا مجال لها على الإطلاق.

٦- إن الأعمال الصالحة التي نقوم بها لا تعتبر ذبيحة لله، لأنها ليست مقدمة له بل للناس، ولأن الغرض منها ليس التعبد لله بل مساعدة الناس. ولنا في ربنا يسوع المسيح أعظم مثال على وجوب تقديم ذبيحة كفارية لله, فهو لم يكتف بأن تكون ذبيحة عنا عملاً من الأعمال الصالحة المألوفة لدينا, بل إنه مع قيامه بهذه الأعمال بوفرة وكثرة، قدم نفسه ذبيحة على الصليب. وهذا دليل واضح على أنه ليست هناك وسيلة في العهد الجديد نستمطر بها رحمة الله, سوى تقديم الذبيحة الكفارية, التي هي العشاء الرباني, وهذه الذبيحة هي في الواقع أعز وأثمن ما لدينا في الوجود. فضلاً عن ذلك فإن الذين يجردون العهد الجديد من هذه الذبيحة, وقولون إن الذبيحة في هذا العهد هي الصلاة والصدقة والأعمال الصالحة فقط, يجعلون العهد القديم أشرف من العهد الجديد، لأن اليهود مع قيامهم بهذه الأعمال, كانوا يقدمون ذبائح كفارية لله (الإفخارستيا ص ٢١٠، ٢٢٢).

الرد: (١) إن الأعمال الصالحة التي يقوم بها الناس بغية الحصول على الثواب أو النجاة من العقاب، هي أعمال تجارية, ولذلك لا تعتبر ذبائح مقدمة لله. أما الأعمال الصالحة التي يقوم بها المؤمنون الحقيقيون رغبة في مشاركة الله في شعوره من نحو الناس وإكرام اسمه وتمجيده بينهم, يعتبرها الله ذبائح مقدمة له شخصياً، لذلك قال الوحي: "لا تنسوا فعل الخير والتوزيع, لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله" (عبرانيين ١٣: ١٦).

(ب) فضلاً عن ذلك ليست هناك آية واحدة في الكتاب المقدس تنص على أن الأعمال الصالحة التي قام بها المسيح, كانت ذبائح قدمها لله كفارة عنا, إذ أن الذبيحة الوحيدة التي قدمها المسيح لهذا الغرض، هي ذبيحة نفسه على الصليب, لأن بها احتمل آلام الخطية التي كان يجب أن نحتملها نحن. وهذه الذبيحة وإن كانت قد اختفت من الأرض بعد الصليب, لكنها موجودة في السماء في شخص المسيح بكامل فاعليتها وتأثيرها, وستبقى كذلك في شخصه إلى أبد الآباد (عبرانيين ٩: ١١), الأمر الذي لا يدع مجالاً لتقديم غيرها, أو تقديمها هي بعينها على الأرض تحت أي شكل من الأشكال, إن جاز حدوث ذلك.

(ج) وبالإضافة إلى ما تقدم، فإن إجراءات الكفارة كلها كانت بين الله وبين المسيح، وبين المسيح وبين الله، ولم تكن بيننا وبين الله, أو بين الله وبيننا (رومية ٨: ٣٢). فالله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هو الذي دبر طريق الخلاص، والمسيح هو الذي أكمله لأجل مجد الله وخيرنا (يوحنا ١٠: ١١، عبرانيين ٧: ٢٧). ولذلك ليس هناك مجال للظن بوجوب تقديم ذبيحة المسيح بواسطتنا على الأرض تحت أي شكل من الأشكال (إن جاز حدوث ذلك) للتكفير عن خطايانا، كما كانت تقدم الذبائح الحيوانية بواسطة اليهود في العهد القديم, وبالتالي ليس هناك مجال للظن بوجوب تحول العشاء الرباني إلى ذات جسد المسيح ودمه بأي حال من الأحوال.

(د) أما من جهة مكانة المسيح في نظرنا, فإنه حقاً أثمن من كل ثمين وأعز من كل عزيز لدينا, لكن نحن لا نمتلكه كما نمتلك ما لدينا من متاع, حتى يجوز أن نقدمه لله ذبيحة عنا (على فرض جواز حدوث ذلك) إذ أنه له المجد ليس مملوكاً لأحد، بل إنه ملك لذاته, وهو وحده الذي له هذا الإمتياز الثمين. ولذلك فإنه بتقديم نفسه كفارة عنا، هو وحده الذي بذل أعز وأثمن ما لديه، لأنه بذل نفسه الثمينة الغالية (يوحنا ١٠: ١٥). وإذا نظرنا إلى الله في وحدانية جوهره وثالوث أقانيمه, يكون الله أيضاً هو الذي بذل أعز وأثمن ما لديه (رومية ٨: ٣٢), لأنه بذل ابنه الحبيب الوحيد. ولذلك فكل ما علينا أن نعمله, هو أن نقبل المسيح وفداءه بإخلاص في نفوسنا, فنفوز ليس بالرحمة فحسب, بل وأيضاً بكل بركة روحية في السماويات (أفسس ١: ١- ١٢).

(ه) فضلاً عن ذلك، فإن الوحي أعلن لنا بصراحة تامة أن المسيح "لا يقدم نفسه مراراً كثيرة، كما كان يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر (وإلا) كان يجب أن يتألم (المسيح) مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم. ولكنه الآن قد أظهر مرة (واحدة) عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه" (عبرانيين ٩: ٢٥- ٢٦). وفي ضوء هذه الآيات نقول: إذا كان المسيح لا يقدم نفسه لله مراراً كثيرة لأجل التكفير عن الخطايا، لأن المرة الواحدة التي قدم فيها نفسه قد كفرت عن الخطية بل وأبطلتها بالنسبة للمؤمنين من أمام الله إلى الأبد, فكيف يجيز القائلون بالاستحالة لأنفسهم إذاً أن يقدموا المسيح مراراً كثيرة تحت شكلي الخبز والخمر, للتكفير عن خطاياهم وخطايا غيرهم من الناس كما يقولون؟ ! وكيف يجيزون لأنفسهم أن يقدموا المسيح لله ذبيحة عن خطاياهم وخطايا غيرهم وهم يعلمون أن مقدم الذبيحة يكون إما أعظم منها (كما كانت الحال مع كهنة العهد القديم), أو يكون مثل الذبيحة في القيمة والقدر (كما كانت الحال مع المسيح), وهم – بالطبع – ليسوا أعظم من ذبيحة المسيح, أو حتى مثلها في القيمة والقدر؟!

(و) أخيراً نقول: إن صاحب هذه الحجة يهتم بالمظهر الديني دون جوهره, وهذا بكل أسف هو اتجاه الكثيرين في كل العصور, فإنهم يميلون إلى المظاهر الدينية دون العبادة الروحية – ليت صاحب هذه الحجة مع الذين يشاركونه رأيه, يتأملون قول المسيح الخالد "قد أكمل" (يوحنا ١٩: ٣٠), وقول الرسول عن المسيح "بقربان واحد (قدمه مرة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على الصليب) قد أكمل, إلى الأبد المقدسين" (عبرانيين ١٠: ١٤), وقوله "فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (عبرانيين ١٠: ١٠), وقوله "لا يكون بعد قربان (للتكفير) عن الخطية" (عبرانيين ١٠: ١٨), فإن هذه الآيات تدل بوضوح ليس بعده وضوح على أن المسيح بذبيحته التي قدمها مرة واحدة على الصليب, قد أكمل الخلاص لكل المؤمنين الحقيقيين في كل العصور، بل وأكملهم هم أيضاً وجعلهم مقدسين إلى الأبد, وأنه تبعاً لذلك لم تعد هناك حاجة إلى ذبيحة للتكفير عن خطاياهم بأي شكل من الشكال.

٧- قال المسيح قبل موته إنه سيمكث في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال, وإذا حسبنا المدة التي مكثها فعلاً في القبر، نجد أنها أقل من يومين كاملين. لكن إذا حسبناها من وقت نـزول العشاء الرباني إلى جوف التلاميذ, نجد أنها ثلاثة أيام وثلاثة ليال تماماً – وهذا دليل على أن العشاء الرباني هو ذات جسد المسيح ودمه (الإفخارستيا ص ٢٣٤).

الرد: (أ) إن المسيح لم يقصد بالثلاثة أيام والثلاث ليال المعنى الحرفي أو الزمني (أي ٢٧ ساعة), بل قصد المعنى العرفي أو الشرعي, الذي يحسب بواسطته الجزء من اليوم كاملاً. والدليل على ذلك أنه قال لتلاميذه قبل موته إنه "في اليوم الثالث (أو بالحري في بحر اليوم الثالث) يقوم" (متى ١٦: ٢١، ١٧: ٢٣، ٢٠: ١٩). بينما لو قصد بالثلاثة أيام والثلاث ليال المعنى الزمني، لقال إنه سيقوم بعد انتهاء اليوم الثالث أو قبل ابتداء اليوم الرابع – وهذا هو عين ما ذهب إليه القمص فيلثاؤس عوض في مواعظه (ص ١٢٤).

(ب) كما أننا لو سلمنا مع صاحب هذه الحجة بتفسيره، يكون المسيح قد غاب بالجسد عن الأرض أقل من ثلاثة أيام وثلاث ليال بالمعنى الحرفي، لأنه أعطى العشاء الرباني لتلاميذه مساء الخميس (أي حوالي الساعة السادسة مساءً بالتوقيت المعروف لدينا), وقام من القبر مساء الأحد الذي تكمل عنده المدة ثلاثة أيام وثلاث ليال بالمعنى الحرفي, بل قام في فجر الأحد أي حوالي الساعة الرابعة صباحاً بالتوقيت المعروف لدينا، وبذلك يكون قد غاب بالجسد ٥٨ ساعة وليس ٧٢ ساعة.

(ج) فضلاً عن ذلك, فإن المسيح بعدما أعطى العشاء الرباني لتلاميذه، أخذ يتحدث معهم طويلاً، وبعد ذلك ذهب إلى جثسيماني، ومن هناك أخذه الجند إلى أورشليم حيث حوكم وصلب. الأمر الذي يدل على أنه لم ينـزل فعلاً إلى جوف التلاميذ عندما تناولوا هذا العشاء. كما أننا لو سلمنا بأن المسيح نـزل فعلاً إلى جوفهم حينئذٍ, لانتهى بنا الأمر إلى إحدى الضلالات التي ذكرناها في الفصل الأول، إذ يكون المسيح الذي صلب ومات وقام من بين الموات, هو مسيح آخر غير الذي نـزل إلى جوف التلاميذ، والحال أن المسيح واحد لا سواه, ولذلك فالحجة التي نفحصها ليس لها نصيب من الصواب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٨- أما آخر حججهم وأهمها في نظرهم فهي (أن المسيح جاء كفارة عن الخطيتين الجدية التي عملها آدم, والفعلية التي نعملها نحن. ولكنه احتمل قصاص الخطية الأولى دون الثانية, لأن القصاص لا يوقع إلا بعد عمل الخطية، وخطايانا الفعلية لم تكن قد عملت بعد عندما قدم المسيح نفسه على الصليب. فلكي ينقذنا المسيح من قصاص هذه الخطايا, قال لتلاميذه "كلوا هذا هو جسدي، واشربوا هذا هو دمي" فإنه لاستيفاء حقوق عدلي ورحمتي، أحول الخبز إلى جسدي والخمر إلى دمي، اللذين سيوقع عليهما قصاص الخطية, ويأخذ العدل الإلهي منهما حقه كاملاً. خذوا كلوا واشربوا حتى تتحد بهما أجسادكم ونفوسكم, وبذلك يكون كل شخص منكم قد وقع عليه القصاص الذي وقع عليَّ بالذات، فتغفر لكم خطاياكم التي تعملونها) (الإفخارستيا ص ٤٨ – ٥٨).

الرد: هذه الحجة يسميها صاحبها "الضرورة القانونية", ويقول إن الله ألهمه إياها. ومع أنه أسند فيها إلى المسيح أقوالاً لم ينطق بها إطلاقاً، الأمر الذي يجعل حجته مرفوضة شكلاً وموضوعاً، لكن لكي لا ندع مجالاً أمام أحد للشك في الحق الإلهي الذي نتحدث عنه, نرد على كل نقطة من الحجة المذكورة بشيء من التفصيل, ليكون ردنا بمثابة فصل الخطاب في هذا الموضوع, ولذلك نقول:

(أ) إن الكتاب المقدس يعلن أن المسيح احتمل على الصليب الخطية الأصلية (أو بالحري الجدية التي عملها آدم) كما احتمل خطايانا نحن. فمن جهة خطية آدم قال الوحي عن المسيح: "لكي يبطل الخطية بذبيحة نفسه" (عبرانيين ٩: ٢٦). ومن جهة خطايانا نحن قال عنه: "قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة" (عبرانيين ١٠: ١٣)، كما قال: "أسلم من أجل خطايانا" (رومية ٤: ٥), وإنه "مات من أجل خطايانا" (١ كورنثوس ١٥: ٧), وإنه "بذل نفسه لأجل خطايانا" (غلاطية ١: ٤), وإنه "حمل هو نفسه خطايانا" (١ بطرس ٢: ٢٤), وإنه "مجروح لأجل معاصينا, مسحوق لأجل آثامنا" (أشعيا ٥٣: ٤ – ٥).

ومما يثبت أن المسيح احتمل خطايانا بأسرها, أنه لم يمت عن خطايانا بغض النظر عن نفوسنا, بل مات عن نفوسنا الخاطئة بذاتها. فقد قال بولس الرسول عن المسيح إنه "ذاق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد" أي لأجل نفس كل واحد منا (عبرانيين ٢: ٩). وقال بطرس الرسول "مات البار عوضاً عن الأثمة", أي عوضاً عن نفوس الأثمة (١ بطرس ٣: ٨). وقال داود النبي بصراحة تامة "الرب فادي نفوس عبيده", أي نفوسهم بذاتها (مزمور ٣٤: ٢). وبولس الرسول الذي عرف هذه الحقيقة كل المعرفة قال مرة عن المسيح: "الذي أحبني وأسلم نفسه من أجلي" (غلاطية ٢: ٢٠), أي من أجل نفسه بذاتها. وما قاله هذا الرسول عن نفسه, يمكن أن يقوله أيضاً كل مؤمن حقيقي عن نفسه. ولما كانت النفس لا تتجزأ, لا يكون المسيح قد مات عن أجزاء من نفوسنا تحوي خطية واحدة أو عدداً خاصاً من الخطايا, بل يكون قد مات عن نفوسنا بكاملها, وبالتبعية يكون قد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مات عن كل ما على هذه النفوس أو فيها من خطايا – أي الخطايا, الفعلية والخطية الأصلية.

والحق أن تكفير المسيح عن نفوسنا ذاتها وليس فقط عن خطاياها, هو الأساس الوحيد للقبول أمام الله والتمتع بالسلام الكامل معه في كل حين, لأننا لا نستطيع أن نحصي الخطايا التي تصدر منا بالفكر أو القول أو الفعل دون أن نشعر بها, مع أن عدم شعورنا هذا لا يقلل من كونها خطايا لها قصاصها, ولا يخلينا من مسئولية إتيانها. فقد قال الوحي: "ولا تقل قدام الملاك إنه سهو" (جامعة ٥: ٦), إقرأ أيضاً (لاويين ٤: ٢٠). ولذلك لولا أن المسيح كفَّر بموته على الصليب عن نفوسنا، وليس فقط عن الخطايا التي نعرفها ونتوب عنها، لما خلص أحد من البشر على الإطلاق "لأنه ليس هناك من بينهم من يحس بالسهوات حتى لو كان نبياً من الأنبياء" (مزمور ١٩: ١٢).

(ب) إن الحق الإلهي يقضي بأن الكفارة لا تقوم لها قائمة إلا بحلول قصاص الخطية (أو بالحري الموت) على الذبيحة المقدمة عنها (عدد ٦: ١١). وبما أن المسيح جاء كفارة لنا عن الخطيتين الجدية والفعلية (بشهادة صاحب الحجة التي نحن بصددها), يكون المسيح قد احتمل قصاصهما معاً. وما دام الأمر كذلك, لا يكون غفران خطية آدم بواسطة ذبيحة الصليب, ويكون غفران خطايانا نحن بواسطة التناول من العشاء الرباني, بل يكون غفران هذين النوعين من الخطايا بواسطة ذبيحة الصليب وحدها, لاسيما وأن الوحي لم يذكر مطلقاً أن الغرض من ممارسة العشاء الرباني هو الحصول على غفران ما.

كما أننا لو سلمنا مع صاحب هذه الحجة بأن ذبيحة الصليب هي لغفران الخطية الجدية وحدها, وأن التناول من العشاء الرباني هو لغفران الخطايا الفعلية, لترتب على ذلك ان يكون التلاميذ قد غفرت لهم الخطايا الفعلية قبل أن تغفر لهم الخطية الجدية (لأنهم تناولوا من العشاء الرباني قبل موت المسيح على الصليب). وبما أن غفراناً مثل هذا لا يتفق مع الوحي أو العقل إطلاقاً, إذاً لا بد من التسليم بأن غفران الخطايا (أي الجدية والفعلية معاً) هو بواسطة الذبيحة التي قدمها المسيح مرة على الصليب كما أعلن الوحي.

نعم إن خطايانا الفعلية لم تكن عملت قبل الصليب, لكن لا ننسى أن المسيح كان يعلمها أزلاً, كما يعلم أيضاً أننا لا نستطيع أن نكفّر عن خطية واحدة من خطايانا بأي وسيلة من الوسائل. وبما أنه لم يأت ليعلن الخلاص لآدم وحده، بل للعالم بأسره كما قال الوحي (يوحنا ٣: ١٦) لذلك يكون قد احتمل عنا ليس الخطية الأصلية فقط، بل وخطايانا الفعلية أيضاً – لا سيما وأن نفسه التي قدمها على الصليب للفداء, تكفي لخلاص كل البشر من خطاياهم, ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك, لأنه لو كان المسيح قد مات لأجل آدم فقط, لما كان قد فدى نفس أي إنسان منا أو خلصها, بل ولكان قد أغلق باب الخلاص أمامنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأمام أفضل القديسين إلى الأبد, لأننا بسبب عدم توافر العصمة فينا تصدر منا خطايا متعددة, أقلها يستحق الموت الأبدي (متى ٥: ٢١). وبما أنه لا يتفق مع الوحي أو العقل إطلاقاً أن يحرم جميع الناس بما فيهم أفضل القديسين في كل الأجيال من التمتع بالله, يكون المسيح بتقديم نفسه على الصليب احتمل ليس خطية آدم فحسب، بل وخطايا البشر جميعاً ويكون كل من يؤمن منهم إيماناً حقيقياً يتمتع بغفران خطاياه كما أعلن الوحي في الآيات السابق ذكرها. لأن هذا هو الفداء, وبدون فداء مثل هذا, لا يكون الفداء فداءً, إذ أن شخصاً يخلص آخرين من خطر الموت في منطقة, ثم يتركهم وشأنهم لمثل هذا الخطر في مناطق أخرى متعددة, لا يكون قد أنقذهم أو أبقى على حياتهم.

(ج) ثم إنه لأمر بعيد عن حق الله كل البعد, ألا يتم غفران خطية آدم إلا بواسطة موت المسيح على الصليب وتحمله هناك الآلام النفسية والجسدية الشنيعة التي استلزمها عمل الفداء, بينما يتم غفران خطايانا نحن التي لا حصر لها, (والتي لا تعتبر خطية آدم بجوارها شيئاً مذكوراً) بطريقة شكلية أو صورية ينقل بها المسيح هذا القصاص عن نفسه ويضعه على الخبز والخمر, ثم بتناولنا من هذا الخبز والخمر, يكون قد حل بنا القصاص الذي نستحقه بسبب خطايانا. لأن القصاص في هذه الحالة يكون قصاصاً وهمياً, وتبعاً لذلك يكون الغفران المترتب عليه وهمياً أيضاً. وإذا كان الأمر كذلك, تكون الحقيقة هي أن المسيح قد حمل فعلاً, وليس وهماً أو بعض وهم, قصاص كل الخطايا (أي الخطية الجدية والخطايا الفعلية معاً), وذلك عندما قدم نفسه فدية على الصليب كفارة عنا, وأن كل من يؤمن به إيماناً حقيقياً يستطيع أن يتمتع بالغفران الكامل كما أعلن الوحي.

(د) كما أنه لو كانت الحجة التي نفحصها على شيء من الصواب, لكان كل من لم يتناول من العشاء الرباني تصبح خطاياه غير مغفورة, وتبعاً لذلك يهلك إلى الأبد. ولكن إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس نجد (مثلاً) أن إبراهيم وموسى وإيليا، وكذلك اللص الذي آمن بالمسيح عندما كان معلقاً على الصليب (متى ١٧: ٣, لوقا ١٦: ٢٣, ١٣: ٤٣), قد دخلوا جميعاً إلى الفردوس مع أنهم لم يتناولوا من العشاء الرباني أو سمعوا عنه مجرد سمع – فهل أمثال هؤلاء لم تغفر لهم خطاياهم الفعلية؟ !

أما الإعتراض (بأن الله له الحرية أن يأتي إلى الفردوس بأشخاص لم يتناولوا من العشاء الرباني, ويطرح في جهنم أشخاصاً آخرين تناولوا منه مراراً) فلا مجال له على الإطلاق. لأن الله وإن كان حراً يفعل ما يشاء, لكنه لا يفعل شيئاً يتعارض مع كماله. ولذلك لولا أنه رأى في إيمان هذا اللص وإيمان إبراهيم وغيره من قديسي العهد القديم ما يكفي لتبريرهم. لما بررهم أو خلصهم على الإطلاق. فالله ليس لديه محاباة, إنما نحن الذين نسند إليه المحاباة بواسطة الاتيان بحجج ليس لها أساس في كتابه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما الفرق الوحيد بيننا وبين قديسي العهد القديم من جهة الخلاص فهو أننا نخلص بالإيمان أن المسيح أتى وكفّر عن خطايانا, بينما خلص أولئك القديسون بالإيمان أن المسيح (بالنسبة إلى الزمن الذي عاشوا فيه) عتيد أن يأتي ويكفّر عن خطاياهم, لأنهم كانوا يعرفون هذه الحقيقة في الذبائح الكفّارية الرمزية التي كانوا يقدمونها لله حسب الناموس الذي أعطاه لهم.

(ه) كما أنه لو فرضنا جدلاً أن العشاء الرباني يغفر الخطايا, لاعترضتنا ثلاثة إشكالات, (الأولى) لو كان هذا العشاء يغفر كل الخطايا, لكان من الواجب ألا يتناول منه أحد أكثر من مرة واحدة طوال حياته على الأرض, وهذا ما يتعارض مع الكتاب المقدس, لأنه يعلن لنا أن التناول يكون أسبوعياً أو في فترات متقاربة (الثاني) ولو كان يغفر بعض الخطايا, فما عددها يا ترى, حتى يستطيع كل مؤمن أن يعرف اليوم الذي يجب أن يتناول فيه؟ ! (الثالث) ولو كان يغفر خطية واحدة, وكان المؤمن معرضاً للخطية مرات متعددة في اليوم الواحد, فهل يذهب عقب كل خطية يعملها بالفكر أو القول أو الفعل إلى الكاهن لكي يناوله من العشاء الرباني, أم يحتفظ في جيبه بعلبة بها كمية من هذا العشاء لكي يتناول منه كلما أحس أنه أخطأ؟ - هل يستطيع صاحب هذه الحجة أو غيره من المؤمنين بالاستحالة أن يحل لنا هذه الإشكالات؟ وإن كان ليس لها حل عنده أو عند غيره, ألا تكون الحجة التي نفحصها لا أساس لها من الصواب أو شبه الصواب, وأن العشاء الرباني لم يصنعه المسيح لنا للغفران بل لذكر موته, وأن الغفران الكامل الشامل هو بواسطة الإيمان الحقيقي في كفاية كفارته التي قدمها على الصليب, كما أعلن الوحي مراراً وتكراراً؟

(و) أخيراً نقول إن الله العارف بطبيعتنا البشرية عرف قبل أن نعرف أننا معرضون للسقوط في الخطية حتى بعد توبتنا وإيماننا القلبي به, ولذلك لم يتركنا لآرائنا الشخصية من جهة السبيل إلى غفرانها, بل أعلن لنا هذا السبيل بكل وضوح وجلاء. فقد قال الرسول: "إن أخطأ أحد فإن شفيع عند الآب يسوع المسيح البار, وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل ولخطايا كل العالم أيضاً" (١ يوحنا ٢: ٢). وقال كذلك: "إن اعترفنا بخطايانا, فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (١ يوحنا ١: ٩), وقد عرف داود النبي هذه الحقيقة من قبل فقال "قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت عني آثام خطيتي" (مزمور ٣٢: ٥).

ومما نجدر ملاحظته في الآية الأولى أن قول الرسول "إن أخطأ أحد فلنا شفيع", لا يدل على أنه إذا أخطأنا يقوم المسيح بالشفاعة لأجلنا, بل يدل على أنه قائم باستمرار أمام الآب شفيعاً لأجلنا لكي يحفظنا في حالة القبول الكامل أمامه في كل حين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومما تجدر ملاحظته في الآية الثانية أن الرسول لا يقول عن الله إنه رحوم وشفوق حتى يغفر لنا خطايانا, ..."., بل يقول عنه إنه "أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ..." ولما كان الغفران هو من باب الرحمة والشفقة وليس من باب الأمانة والعدالة, لذلك لاشك أن المسيح بموته على الصليب كفّر عن خطايانا جميعاً, حتى أصبح من باب الأمانة والعدالة (وليس فقط من باب الرحمة والشفقة) أن تغفر لنا خطايانا التي نقع فيها بعد الإيمان بمجرد الإعتراف[٤٠] بها أمام الله, الأمر الذي يملأ القلب ثقة واطمئناناً ليس بعدهما ثقة واطمئنان.

فهل بعد هذه الآيات الواضحة يجوز لنا أن نشرع لأنفسنا تشريعاً جديداً, نقول فيه إن أخطأ أحد عليه أن يتناول من العشاء الرباني لكي تغفر له خطيته؟!

[٤٠] الإعتراف بالخطية ليس هو مجرد طلب الغفران عنها, بل هو ذكرها بوعي في ضوء قداسة الله, والله يتطلب منا ذلك لكي يشعرنا بشناعة الخطية حتى نكرهها ونحفظ أنفسنا بعيداً عنها. أما الإعتراض (بأن حصول المؤمنين على الغفران بمجرد اعترافهم بخطاياهم أمام الله, يشجعهم على العودة إليها) فلا نصيب له من الصواب, لأن المؤمنين الحقيقيين بولادة نفوسهم من الله, يحصلون منه على طبيعة روحية تنفر من الخطية نفوراً تاماً (٢ بطرس ١: ٢ – ٤). ولذلك فإنهم إن سقطوا فيها, يكون هذا السقوط رغماً عنهم, ولذلك ينهضون منها بكل سرعة ويواصلون سلوكهم مع الله بالروح. وإذا لم يفعلوا ذلك لسبب ما، فإن الله يوقع عليهم ما يراه مناسباً من التأديب حتى يستفيقوا من غفلتهم ويعودوا إليه. فقد قال الرسول "لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا, ولكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكي لا ندان مع العالم" (١ كورنثوس ١: ٣٢) – أما الذين يعيشون في الخطية من الذين دُعي عليهم اسم المسيح فليسوا بمؤمنين حقيقيين، ولا نصيب لهم معه على الإطلاق, حتى إن كانوا يشغلون أسمى المراكز الدينية (رومية ٦: ٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الباب الرابع

تاريخ الاستحالة والحلول

١

أقوال القديسين القدماء عن العشاء الرباني

على الرغم من الأدلة الكتابية والعقلية التي تثبت عدم حدوث استحالة في العشاء الرباني, فإن كثيرين لا يزالون على إيمانهم بها, لأنهم يعتقدون أن هذا هو إيمان القديسين القدماء الذين عاشوا في القرون الأولى. وإن كان من الواجب ألا نبني إيماننا على أقوال القديسين. لأنهم على أي حال بشر, والبشر مهما بلغوا أسمى درجات التقوى لا يكونون معصومين من الخطأ, لكن إتماماً للبحث نستعرض فيما يلي أقوالهم عن العشاء الرباني, وبعد فحصها ومعرفة الغرض الحقيقي منها, نأتي بملخص واف عن التاريخ الحقيقي للاستحالة والحلول, جمعناه من أهم المصادر وأصدقها.

أولاً: أقوال القديسين القدماء كما يرويها الذين يؤمنون بالاستحالة[٤١]:

١- أقوال الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى: يذكر الذين يؤمنون بالاستحالة أن اغناطيوس قال "جسد الرب يسوع واحد, ودمه المهرق عنا واحد. هو خبز واحد كسر, وكأس واحدة وزعت على الجميع". وإنه قال "الخبز الذي أريده هو جسد يسوع المسيح ابن الله المسجود له, والمشروب الذي أبتغيه هو دم هذا الإله المتأنس" وقال ايريناوس "المسيح علمنا ذبيحة جديدة للعهد الجديد, وقد تسلمتها الكنيسة من الرسل وتقدمها في كل مكان بحسب نبوة ملاخي النبي". وأنه قال "الخبز يصير إفخارستيا مؤلفة من خبز أرضي وآخر سماوي... ولو كان الوثنيون يتناولون الخمر وهي ممزوجة بالماء, وتصير لهم هكذا شركة الخبز والخمر سر الشكر, جسد المسيح ودمه اللذين يغذيان ويثبتان وجود جسدنا...". وقال يوستينوس "نقدم باسمه ذبيحة أمر الرب يسوع أن تقام, وذلك في شكر الخبز والكأس ذبيحة مقدمة من المسيحيين في كل مكان على الأرض... وأن هناك علاقة بينهما (أي بين الخبز والكأس) وبين جسد المسيح ودمه". وإنه قال: "الغذاء الروحي الذي باركه المسيح وقدسه هو, بحسب الاستحالة, لحم ودم ذلك الإله المتأنس". وقال كبريانوس "دم المسيح لا يقدم ما لم يكن في الكأس خمر, وتقديس ذبيحة الرب لا يتم قانونياً ما لم يكن قرباناً... وإني أتمنى أن تقدم في الكنيسة لله الآب الذبيحة الحقيقية بتمامها, تابعاً في ذلك مثال المخلص

---

[٤١]- عن الكتب الآتية (أ) أسرار الكنيسة السبعة ص ٩١- ١٠٦ (ب) سر العشاء الرباني ص ١٧- ١٨, ٤٩- ٥٦ (ج) اللآلئ النفيسة ج١ ص ٣١٢- ٣١٧ (د) الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ج١ ص ٩٦- ١٥٤ (ه) تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ص ٤٤١ (و) مواعظ فم الذهب ص ٣٨- ٤٨, ٢٠٢- ٢٠٤, ٢٤٨.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نفسه" – ولعل ما دفع كبريانوس للقول: "الذبيحة الحقيقية بتمامها" أن بعض الناس في عصره مارسوا العشاء الرباني بخبز دون خمر, أو بخبز وشيء غير الخمر, أو بخبز وخمر وشيء آخر. ويؤيد التاريخ هذا الاحتمال لأن بعض المسيحيين كانوا يخلطون بين العشاء الرباني ووليمة المحبة التي كانوا يعملونها قديماً.

٢- أقوال الذين عاشوا في القرنين الرابع والخامس: قال غرغوريوس النـزيزي "لما منح المسيح تلاميذه أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه, ضحى جسده بوجه لا ينطق به وغير منظور, مدبراً هذا السر كما أرادت سلطته". وقال كيرلس الأورشليمي "لكونه (أي المسيح) قال عن الخبز (هذا هو جسدي), فمن يجسر بعد ذلك أن يرتاب؟ فهو برسم الخبز يعطى الجسد, وبرسم الخمر يعطى الدم. وبالتناول منهما نصير متحدين معه جسداً ودماً, ونصير (أيضاً) مشاركي الطبيعة الإلهية". وإنه قال "بعد أن نتمم الذبيحة الروحية, نضرع إلى الله من أجل سلامة الكنائس". وقال أوغسطينوس "ما نسميه جسد ودم المسيح, هو جوهر مأخوذ (أو بالحري هما جوهران مأخوذان) من ثمار الأرض, لكن إذ يتقدس (أو يتقدسان) بأفشين القداس, يكون (أو يكونان) لخلاص نفوسنا". وقال يوحنا فم الذهب "رئيس كهنتنا العظيم قدم الذبيحة التي تطهرنا. ومن ذلك الوقت إلى الآن نقدم هذه الذبيحة عينها". وإنه قال "أي راع مثل المسيح يغذي خرافه بأعضائه, ويعطينا ذاته لا لنراه فقط, بل وأيضاً لنلمسه ونأكله؟!". وقال مجمع نيقية "على المائدة المقدسة يوضع حمل الله الرافع خطايا العالم, ويذبح من خدام الله ذبيحة غير دموية". وقال أمبروز: "الخبز الذي نقدمه في سر الشكر ورد من البتول, وهو بشرة يسوع المسيح المصلوبة والمدفونة... وإننا كلما تناولنا القرابين التي تتحول سرياً بالكلمة المقدسة إلى جسد المسيح ودمه, نخبر بموته. وقال أفرام السرياني: "جسد الرب يتحد بجسدنا على وجه لا يلفظ به, ودمه الطاهر يصب في شرايينا".

أما يوسابيوس القيصري فقال: "العشاء الرباني هو رمز سري لآلام المخلص". وقد وافقه على ذلك باسيليوس المتوشح بالله فقد قال: "الخبز والخمر رسمان لجسد المسيح ودمه". ولكن يوحنا الدمشقي (في القرن الثامن) علق على هذه العبارة بالقول "إن باسيلييوس لم يدع الخبز والخمر رسمين لجسد المسيح ودمه بعد التقديس بل قبله, لأن الخبز والخمر ليسا رسمين لهما, حاشا. بل إنهما جسد المسيح نفسه متألهاً". كما علق عليها كيرلس الكبير بالقول: "الخبز والخمر ليسا رسمين لجسد المسيح ودمه كما لفق قوم عميان, بل هما جسد المسيح ودمه".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً: أقوال القدماء كما يرويها الذين لا يؤمنون بالاستحالة أو الحلول[٤٢]:

١- أقوال الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى: يذكر الذين لا يؤمنون بالاستحالة أو الحلول أن اغناطيوس قال: "العشاء الرباني هو تقدمة العهد الجديد". وقال ايريناوس:"العشاء الرباني فيه عنصر سماوي وآخر أرضي". وقال: "المسيح علم تلاميذه في العهد الجديد أن يقدموا بشكر قرباناً جديداً. وهذا القربان هو الذبيحة التي تنبأ عنها ملاخي النبي من قبل". وقال يوستينوس "قربان الخبز والخمر مقدم لله تذكاراً لآلام المسيح, وهذا القربان يصير بالصلاة جسد المسيح ودمه". وأنه أيضاً قال "العشاء الرباني هو ذبيحة روحية, وأنه شركة جسد المسيح بسبب الطابع الروحي الذي يكتسبه بواسطة صلاة الشكر". وقال اكليمنضس الاسكندري "الكتب المقدسة دعت الخمر رمزاً سرياً للدم الطاهر, لأن المسيح قال لتلاميذه عنها (خذوا اشربوا, هذا هو دمي), ومن ثم يكزن دم الكرمة, هذا العصير المقدس المفرح, رمزاً لدم المسيح الذي سفك فدية عن كثيرين لمغفرة الخطايا". وقال ترتليان "المسيح ذكر أن الخبز هو جسده بمعنى أنه رمز لجسده", وقال "إن المسيح يوصينا بأن نصدق شهادة حواسنا فيما يقع تحت حكمها من أمور. لأننا إذ شككنا في شهادتها, ربما يصل بنا الأمر إلى القول إن المسيح انخدع عندما رأى الشيطان وهو يسقط إلى الأرض" (لوقا ١٠: ١٨), أو حينما سمع صوت الآب وهو شهد له من السماء (متى ٣: ١٧). وأن كبريانوس قال "بواسطة الخبز يشار إلى جسد المسيح, وبواسطة الخمر يشار إلى دمه الكريم". وقال أوريجانوس "الخبز الذي نتناوله في العشاء الرباني لا يختلف عن غيره من الخبز, إلا في كونه رمزاً للمسيح الذي هو الخبز الحي", لأن هذه الحياة تعطى بواسطة الإيمان الحقيقي, كما ذكرنا فيما سلف.

٢- أقوال الذين عاشوا في القرنين الرابع والخامس: قال أثناسيوس الرسولي "جسد المسيح لا يُقبل إلا روحياً". وقال غريغوريوس النزيزي "العشاء الرباني رمز لذبيحة المسيح التي بواسطتها تم الفداء للجنس البشري", وقال "التغيير الذي يحدث للعشاء الرباني, ليس في طبيعته بل في معناه". وقال كيرلس الأورشليمي "الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح ودمه, لأنه تحت رسم الخبز يُعطي المسيح جسده, وتحت رمز الخمر يُعطي دمه". وقال أسقف سرابيون في القرن الرابع "الخبز الذي نقدسه في العشاء الرباني, هو مثال لجسد المسيح". وقال أوغسطينوس "إن الرب لم يتأخّر عن القول إن الخبز هو جسده, عندما أراد أن يُعطي علامة لجسده... وكأنه يقول لتلاميذه: افهموا ما قلت لكم على معنى روحي, فإنكم لستم مزمعين أن تأكلوا جسدي الذي ترونه, أو تشربوا دمي الذي سوف يسفكه الذين سيصلبونني, بل إني رسمت لكم (في العشاء الرباني) سراً يحييكم إذا فهمتموه فهماً روحياً.

---

[٤٢]- عن المراجع الآتية: (أ) ريحانة النفوس ص ٨٢- ١٠٤ (ب) أصول الإيمان ص ٤٩٨- ٥١٣ (ج) نظام التعليم في علم اللاهوت القويم ص ٤٢٩- ٤٤١ (د) A Text Book Of The History Of Doctrine, p.p. 10 – 72 , وعن شرح كلمات""Sacrament و "Eucharist" و"Lord's Supper" في المراجع الإنكليزية العامة.

 All rights reserved © 2008-2018

وهذا السر مع أنه يتم على وجه منظور, يجب أن تفهموه على وجه غير منظور". وقال "العشاء الرباني يسمى ذبيحة, بمعنى أنه سر العيد التذكاري لذبيحة المسيح" أو بالحري علامة لهذا العيد[٤٣]. وقال فم الذهب "العشاء الرباني ذبيحة مقدسة رهيبة, وإنه يستحق أن يسمى جسد المسيح ودمه, إذ صارت لنا شركة معه بواسطة تجسده", أي أن شركتنا معه سابقة للتناول من العشاء الرباني. وقال أوستاسيوس الأنطاكي "الخبز والخمر مثال لجسد المسيح ودمه". وقال مكاريوس المصري "الخبز والخمر يشار بهما إلى جسد المسيح ودمه, ونحن لا نأكل منهما إلا روحياً". وقال أوسابيوس القيصري "إن المسيح بقوله لتلاميذه (خذوا كلوا هذا هو جسدي), لم يقصد جسده الذي كان يعيش فيه وقتئذٍ, لأن حديثه عن جسده هنا, هو حديث روحي". وقال ثاؤدوريتوس "الرمزان (يقصد الخبز والخمر المستعملين في العشاء الرباني) لا يفقدان طبيعتيهما الخاصة بعد التقديس, بل يظلان على جوهريهما وشكليهما الأولين". وأن جلاسيوس بابا رومه وقتئذٍ قال "إننا نحتفل في الأسرار المقدسة بصورة جسد المسيح ودمه". وإيرونيموس (جيروم) المؤرخ الكاثوليكي قال "العشاء الرباني مثال لجسد المسيح ودمه".

[٤٣] لأن كلمة "سر" كانت تستعمل قديماً بمعنى "علامة" كما ذكرنا في الباب الثالث:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢

مقارنة ومناقشة

في هذا الفصل سنقارن بين الأقوال التي يذكرها القائلون بحدوث الاستحالة أو الحلول, والتي يذكرها القائلون بعدم حدوث أيهما, ثم نناقش بعض أقوال القدماء لنعرف الغرض الحقيقي منها.

أولاً: المقارنة يتضح لنا من الفصل السابق, أن معظم أقوال القدماء, التي اقتبسها القائلون بالاستحالة والحلول, والتي اقتبسها الذين لا يؤمنون بهاتين العقيدتين تكاد تكون واحدة في معناها, واذلك ليس هناك داع للبحث عن أي الفريقين قد راعى الدقة في الأقوال التي ذكرها, إذ من المحتمل أن يكون فريق منهما اقتبس أقواله من مصادر أو ترجمات غير التي اقتبس منها الفريق الآخر, ولذلك نكتفي بالقول:

١- إن الذين يؤمنون بالاستحالة (أولاً) لم يتذكروا أقوال اكليمنضس الاسكندري (١٠٥- ٢٠٤م), أو ترتليان (١٥٥- ٣٢٢م), أو أوريجانوس (١٨٥- ٢٥٤م), أو أثناسيوس الرسولي (٢٩٣- ٣٣٣م), أو مكاريوس المصري، مع أنهم يفخرون بهؤلاء القديسين كثيراً. كما يعرفون أنهم عاشوا فيما بين القرنين الثاني والرابع, أي أن بعضهم عاصر إيريناوس ويوستينوس, والبعض الآخر عاصر كيرلس الأورشليمي وغريغوريوس النزيزي وفم الذهب, الذين يعتمد المؤمنون بالاستحالة على آرائهم في العشاء الرباني. (ثانياً) إنهم أيضاً لم يقتبسوا من أقوال القدماء سوى ما يدل في ظاهره على أن العشاء الرباني هو ذبيحة, وأنه يتحول إلى جسد المسيح ودمه, وتركوا من أقوالهم ما يدل على أن هذا العشاء هو رمز وإشارة.

٢- إ ن الذين لا يؤمنون بالاستحالة أو الحلول اقتبسوا من أقوال القدماء ما يدل منها على أن العشاء الرباني هو رمز وإشارة, كما اقتبسوا منها ما يدل على أنه ذبيحة وأنه يتحول إلى جسد المسيح ودمه, غير أنهم بعكس الذين يؤمنون بالاستحالة, وجدوا أن الأقوال الأخيرة لا يراد بها التحول الحرفي أو الحلول الحرفي.

٣- إن المؤمنين بالاستحالة تفردوا بالقول إن يوحنا الدمشقي ذكر أن العشاء الرباني يتحول إلى جسد المسيح نفسه متألهاً, وأن يوستينوس ذكر أن بالاستحالة يصير الخبز والخمر لحم ودم ذلك الإله المتجسد. وإذا فحصنا قول يوحنا الدمشقي نجد أنه ليس بصواب من أي ناحية من النواحي, لأنه يدل على اعتقاده بأن المسيح كان متألهاً, والحال أن المسيح لم يكن متألهاً بل متأنساً, إذ أن الناسوت وليس اللاهوت هو الذي كان حادثاً بالنسبة له. كما يدل قوله المذكور على اعتقاده بأن العشاء الرباني لا يتحول إلى ناسوت المسيح فحسب بل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وإلى لاهوته أيضاً, والحال أن هذا العشاء يظل كما هو خبزاً وخمراً, إذ أن المادة لا يمكن أن تصبح بوسيلة ما هي ذات الله الخالق لها ولغيرها. ولا غرابة إذا كان يوحنا المذكور قد أخطأ هذا الخطأ الفاحش، فهو الذي نادى من قبل بعبادة الأيقونات – أو بالحري بتأليهها- _موسهيم ص ٢٨٩).

كما أن كلمة "الاستحالة" المسندة إلى القديس يوستينوس, والتي يقابلها في الإنجليزية "transubstantiation", لم تستعمل عن العشاء الرباني إلا في القرن الثاني عشر, كما سنوضح فيما يلي, لأن القدماء كانوا يستعملون عن التحول الذي يحدث في هذا العشاء كلمتي "التحول" و"الصيرورة" اللتين يقابلهما في الإنكليزية: "transformation" و"Becomingness". وكلمة الاستحالة يراد بها "التغيير الجوهري الذي يتناول جوهر الشيء وخصائصه", بينما الكلمتان الأخريان يمكن أن يراد بهما "التغيير الخارجي الذي يتناول مكانة الشيء دون جوهره". وفي اللغة العربية أيضاً يراد "بالاستحالة" الانقلاب من الحالة الأصلية, بينما يراد "بالتحول والصيرورة" الانتقال من حالة إلى أخرى دون حدوث تغيير جوهري. فنحن نقول مثلاً "استحال الناس ذهباً" ولكننا نقول: "تحول فلان عن اتجاهه" و"صار غنياً بعد أن كان فقيراً".

ثانياً: مناقشة بعض أقوال القدماء:

١- إن باسليوس المتوشح بالله ويوسابيوس القيصري وغيرهما من القدماء الذين عاشوا في القرنين الثالث والرابع، كانوا يعتقدون أن العشاء الرباني هو رمز أو رسم لآلام المسيح. ولكن المؤمنين بالاستحالة استهجنوا أقوالهم أو عللوها ببعض العلل لكي تكون متوافقة مع العقيدة التي يؤمنون بها.

٢- ن كبريانوس وفم الذهب وإيريناوس قالوا إن العشاء الرباني ذبيحة, ولكن نستنتج من قول يوستينوس "في شكر الخبز والكأس ذبيحة مقدمة من المسيحيين", أنه كان يؤمن أن الذبيحة ليست هي العشاء الرباني, بل هي الشكر الذي يرفع أثناء ممارسة هذا العشاء. كما أن قوله "إن هناك علاقة بين الخبز والكأس, وبين جسد المسيح ودمه", يستنتج منه أنه لم يكن يؤمن بأن العشاء الرباني هو ذات جسد المسيح ودمه, لأن وجود علاقة بين شيئين يدل على أن الشيء الأول ليس هو عين الثاني.

٣- إن قول كيرلس الأورشليمي عن العشاء الرباني إنه "ذبيحة روحية", يستنتج منه إما أنه كان يعتقد أن الذبيحة ليست هي ذات العشاء الرباني بل إنها الافخارستيا, أو بالحري صلاة الشكر التي ترفع الله أثناء ممارسة هذا العشاء (لأن هذه الصلاة هي التي كانت ولا تزال تسمى ذبيحة روحية), وإما أنه كان يعتقد أن العشاء الرباني ليس ذبيحة كفارية, لأن الذبيحة الكفارية لا تكون روحية بل مادية, وكلا الاستنتاجين يتفق مع العقل والوحي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٤- إن يوستينوس وغيره من القدماء قالوا إن العشاء الرباني يتحول إلى جسد المسيح ودمه, أي أنه لا يكون بعد الصلاة (حسب اعتقاد القائلين بالاستحالة) خبزاً وخمراً. ولكن إيريناوس قال "إن هذا العشاء مؤلف من خبز أرضي وآخر سماوي", وهذا دليل على أنه لم يكن يؤمن أن الخبز يتحول فعلاً إلى جسد المسيح, بل يظل كما هو خبزاً, وأن ما يطرأ عليه من تغيير, هو أن خبزاً سماوياً يحل فيه – وليس من الضروري أن يكون الخبز السماوي هو ذات جسد المسيح ودمه, فقد يكون هبة من هباته الروحية, فإن "كلمة الله" مثلاً تسمى "خبز الحياة", مع أنها ليست مادية.

٥- إن إيريناوس قال "شركة الخبز والخمر تصير سر الشكر جسد المسيح ودمه", لكن الشركة في الخبز والخمر (أو بالحري التناول منهما) لا تصير بذاتها هي سر الشركة (الذي هو العشاء الرباني, كما كان يسمى في القرون الأولى). وإذا كان الأمر كذلك, فمن المحتمل أن تكون كلمة "سر" مستعملة هنا بمعنى "علامة" كما ذكرنا في الحديث عن الأسرار, ويكون قول إيريناوس معناه أن الاشتراك في الخبز والخمر يصير علامة للشكر من أجل جسد المسيح ودمه, أو بالحري من أجل موته على الصليب لأجلنا.

٦- إن أوغسطينوس وكيرلس الأورشليمي وغيرهما قالوا "العشاء الرباني يعمل لخلاص النفوس واشتراكها في الطبيعة الإلهية", ولكن الكتاب المقدس يعلن لنا بوضوح ليس بعده وضوح أن الخلاص هو بالإيمان الحقيقي بالمسيح (رومية ١٠: ١٠), وأن الاشتراك في الطبيعة الإلهية (أو بالحري الطبيعة الأدبية لله, التي هي القداسة والمحبة وغيرها من الصفات) هو بواسطة معرفة المسيح والتكريس الكلي له (٢ بطرس ١: ٢). كما أن قول أمبروز "إننا كلما تناولنا القرابين التي تتحول سرياً إلى جسد المسيح ودمه نخبر بموته", لا يستلزم أن يكون هذا التحول فعلياً, لأن الإخبار بموت المسيح لا يستلزم أن يكون التحول الذي يحدث في العشاء الرباني تحولا من هذا النوع.

٧- إن قول أفرام السرياني "جسد المسيح يتحد بجسدنا, ودمه الطاهر يصب في شرايينا", يستنتج منه إما أنه كان يعتقد بوجود الخطية في أجسادنا ودمائنا المادية (لأنه ارتأى أن ذات جسد المسيح ودمه يتحدان بكل منها), وهذا ليس بصواب, لأن الخطية ليست في أجسادنا ودمائنا بل في نفوسنا كما ذكرنا فيما سلف. وإما أنه كان يقصد بقوله هذا المعنى المجازي لا الحرفي, وهذا ما يتفق مع العقل والوحي. لأن اللحم الذي نأكله لا يتحول في أجسادنا إلى لحم فقط بل وإلى عظم ودم أيضاً, كما أن الدم (إذا شربناه) لا يتحول في أجسادنا إلى دم فقط, بل وإلى لحم وعظم أيضاً. وإذا كان الأمر كذلك, فمن المحتمل أن يكون غرض أفرام من عبارته هذه, أننا بالتناول من العشاء الرباني نتحد بالمسيح اتحاداً تاماً, أو بالحري نعلن أننا متحدون به بمثل هذا الاتحاد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٨- إن قول فم الذهب "المسيح يغذينا بأعضائه", لا يمكن أن يفهم بالمعنى المجازي, إذ فضلاً عن أن المسيح ليس طعاماً مادياً, فإن حاجتنا ليست إلى أن نأكل المسيح بأفواهنا تحت أي شكل من الأشكال (إن جاز حدوث ذلك), بل أن يحل هو بالروح في نفوسنا, لأن بهذه الوسيلة وبها وحدها يمكن أن تتغذى أرواحنا وتنمو (أفسس ٣: ١٧- ١٩).

ومما يثبت أن أقوال يوحنا فم الذهب من جهة جسد المسيح ودمه, هي أقوال مجازية (أولاً) أنه قال في عظة له "فيا للعجب من كون المائدة مهيأة, والدم الكريم مسفوك في الكأس من الجنب الطاهر لتطهيرك". (مواعظه ص ٢٤٨)- فقوله "النار الإلهية منحدرة من فوق لأجلك", قول مجازي, لأنه ليست هناك نار حقيقية تنحدر من السماء أثناء ممارسة العشاء الرباني, ولذلك فالراجح أن يكون قوله عن الخمر إنها "دم المسيح المسفوك من جنبه الطاهر" هو قول مجازي أيضاً. (ثانياً) إنه قال في عظة أخرى: "مثلما إذا مزق أحد ثوب الملك أو وسّخه, يكون قد أهان الملك نفسه, هكذا يجري في الأسرار المقدسة, فإن من يتناولها بنفس مدنسة, يكون كأنه قتل المسيح نفسه" (مواعظه ص ٤٨)- ومن هذا يتضح لنا أنه كان يعتبر العشاء الرباني بمنـزلة ذاته أو شخصه.

٩- إن قول اغناطيوس "... والمشروب الذي أبتغيه هو دم ذلك الإله المتأنس", لا يريد به الرغبة في التناول من كأس العشاء الرباني, بل التمتع بمحبة المسيح الحارة. وكل ما في الأمر أنه صاغ قوله هذا في أسلوب مجازي. والدليل على ذلك (أولاً) إنه لم ينطق بهذا القول قبل ذهابه إلى (كنيسة) للتناول من هذا العشاء, بل قبل انطلاقه إلى السماء مباشرة لكي يكون مع المسيح. وفي السماء لا يوجد مجال للشرب بالمعنى الحرفي. (ثانياً) إنه كان يصف دم المسيح بأنه "محبة غير قابلة للتغيير, وهو الخمر السماوي الذي يضرم في القلوب ناراً حية خالدة" (إقرأ كتاب الخريدة النفيسة ج١ ص ٩٦), ودم المسيح ليس هو ذات المحبة كما أنه ليس في ذاته خمراً نازلة من السماء.

١٠- إن قول أعضاء مجمع نيقية "المسيح يذبح من خدام الله ذبيحة غير دموية", يستنتج منه إما أنهم كانوا يعتقدون أنهم في كل مرة يعملون العشاء الرباني يقدمون إلى الله ذبيحة الصليب عينها (الأمر الذي ينفي الكتاب المقدس جواز حدوثه, تحت أي شكل من الأشكال, كما ذكرنا فيما سلف), وإما أنهم كانوا يجعلون من العشاء الرباني تذكاراً مؤثراً لآلام المسيح التي قاساها على الصليب, وهذا هو ما يتفق مع الوحي والعقل. وبذلك تكون عبارة "يذبح من خدام الله" في هذه الحالة, مستعملة بالمعنى المجازي لتصوير موت المسيح عن طريق كسر الخبز, لأن كسر الخبز (كما ذكرنا فيما سلف) رمز لموت المسيح.

وإذا كان الأمر كذلك يمكن أن يكون غريغوريوس النـزيزي أراد أيضاً بقوله "إن المسيح بتقديم هذا العشاء الرباني لتلاميذه, ضحى بجسده بوجه لا ينطق به", إن المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بتقديم هذا العشاء لهم صوّر لهم تضحيته التي كان عتيداً أن يقوم بها على الصليب في اليوم التالي, لأنه في أثناء تأسيس العشاء الرباني, لم يحدث من جانب المسيح بذل أو تضحية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣

أدلة عن عدم اعتقاد القدماء بالاستحالة أو الحلول بالمعنى الحرفي[٤٤]

١- كان القدماء الذين عاشوا في القرون الخمسة الأولى يشهدون أنه ليست هناك ذبيحة أو تقدمة غير التي قدمها المسيح مرة على الصليب. فقال أوريجانوس "إزاء الذبيحة التي قدمها المسيح مرة على الصليب من أجلنا, لا يسعنا إلا أن نقدم الذبائح الروحية لله في كل حين". وقال أوغسطينوس "إن المسيحيين بتقدمة جسد المسيح ودمه والاشتراك فيها, يداومون على تذكر الذبيحة الوحيدة التي قدمها المسيح مرة على الصليب". وقال فم الذهب "ألسنا نقدم كل يوم؟ نعم نقدم, لكن بوسيلة نتذكر بها موت المسيح لا غير. ودائماً نقدم تقدمة واحدة, ولكننا نضع ذكرى التقدمة الوحيدة التي قدمها مرة على الصليب" – ولذلك يكون قولهم عن العشاء الرباني إنه ذبيحة أو تقدمة هو من المجاز فحسب. ومما يثبت ذلك أنهم كثيراً ما كانوا يقولون عن العشاء الرباني إنه "ذبيحة حمد" و"ذبيحة روحية". فضلاً عما تقدم, فإننا إذا رجعنا إلى أقوال القدماء, نجد أنهم كانوا يطلقون كلمات "الذبيحة" و"القربان" و"التقدمة", ليس على العشاء الرباني وحده, بل وعلى الاستشهاد في سبيل الله, وعلى الأشياء التي تقدم لله, مثل الصدقة والعبادة والأعمال الصالحة والحياة المكرسة لخدمته. فمن المأثور عن اغناطيوس أنه قال لإخوته المؤمنين "استعدوا أن تكونوا كلكم حاضرين حول المذبح (أو بالأحرى ساحة الاستشهاد). لتشاهدوا ذبيحتي, لأن المسيح اجتذبني لأكون ضحية مذبوحة من أجله... فإني أريد أن أقدم نفسي ذبيحة... فتضرعوا إذاً عني لديه كي أصير قرباناً وذبيحة". وعن الشهداء أنهم كانوا يقولون للإمبراطور الروماني "اذبحنا تقدمة ليسوع" (الخريدة النفيسة ج١ ص ١٤٥- ١٥٢). ومن المأثور عن إيريناوس أنه قال: "الذبيحة هي باكورة التقدمات". وعن غيره أنه قال "باكورة التقدمات هي قربان وذبيحة"[٤٥]. وعن يوسابيوس القيصري أنه قال "الصلاة ذبيحة وبخور" وأنها أيضاً "ذبيحة غير دموية". وعن أوغسطينوس أنه قال "الذبيحة الحقيقية تقوم بأن النفس وهي مضطرمة بنار المحبة السماوية, تكرس ذاتها لله تكريساً كاملاً", وأنه أيضاً قال "جميع القديسين هم الذبيحة العامة التي تقدم لله بواسطة المسيح رئيس الكهنة". كما كانوا يطلقون الاصطلاح "جسد المسيح ودمه", ليس على العشاء الرباني وحده كما نفعل نحن، بل وأيضاً على كل الأشياء التي تظهر المسيح وتعلنه. فكانوا يقولون "إن الإيمان هو جسد المسيح وإن المحبة هي دمه الكريم", الأمر الذي يدل على أنهم بقولهم عن العشاء الرباني إنه جسد المسيح ودمه, لم يقصدوا أنه ذات جسده ودمه, بل إنه المعلن لجسده ودمه, أو بالحري المعلن لموت المسيح مصلوباً.

---

[٤٤] عن المراجع المذكورة في الفصلين السابقين.

[٤٥] وهذا ما يتجلى بكثرة على صفحات الوحي، فقد قال النبي لله "فلك أذبح ذبيحة حمد" (مزمور ١١٦: ١٧) كما قال له "لكي يكون رفع يدي كذبيحة مسائية" (مزمور ١٤١: ٢). وقال الرسول للمؤمنين "فلنقدم به (أي بالمسيح) في كل حين لله, ذبيحة التسبيح" (عبرانيين ١٣: ١٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢- جاء في (تفسير قداس الكنيسة الأرثوذكسية ص ٧٣) "إن العشاء الرباني كان يسمى تقدمة, لأنه كان من عادة المسيحيين القديمة جداً أن يحضروا من بيوتهم خبزاً وخمراً, ليقدموهما إلى الهيكل لأجل الشكر (أو بالحري لأجل العشاء الرباني)". وإن كان هذا التعليل معقولاً, وينفي الاعتقاد بأن العشاء الرباني هو تقدمة مرفوعة لله لأجل الحصول على الغفران منه (كما يقول المؤمنون بالاستحالة), غير أني أعتقد أن هذا العشاء كان يسمى "تقدمة" مثلما كان يسمى "ذبيحة", لأنه كان يعتبر تذكاراً لتقدمة المسيح أو ذبيحته التي قدمها على الصليب, إذ أن هذا هو ما يستنتج من أقوال يوستينوس وأوغسطينوس التي ذكرها الذين لا يؤمنون بالاستحالة.

وبهذه المناسبة نقول إن العشاء الرباني ليس نحن الذين قدمناه للرب, بل الرب هو الذي قدمه لنا. وقد قدمه لنا, لا لكي نقدمه بدورنا إليه كذبيحة بل لكي نأكله ونذكر محبته الشديدة لنا. ولذلك لا يكون في ذاته تقدمة لله, إنما تكون التقدمة هي صلاة الشكر التي نرفعها إليه أثناء ممارسة العشاء المذكور, والتي كانت تسمى قديماً (افخارستيا).

٣- إن إيريناوس وغريغوريوس النـزيزي وكيرلس الأورشليمي الذين يعتمد القائلون بالاستحالة على آرائهم, كانوا يقولون "التغيير الذي يحدث في العشاء الرباني يشبه التغيير الذي يحدث لزيت الميرون الذي يمسح به الذين ينالون المعمودية, أو الذي يحدث للأشخاص الذين يعينون في الوظائف الدينية, أو الذي يحدث للمباني التي تدشن أو تخصص لكي تكون بيوتاً للعبادة"- وجوهر هذا الزيت, وهؤلاء الأشخاص, وهذه المباني, لا يتغير إطلاقاً, إنما الذي يتغير هو الاستعمال الخاص بالزيت والمباني والعمل الخاص بالأشخاص المذكورين.

كما أن ترتليان, مع اختلافه عن القديسين السابق ذكرهم من جهة العشاء الرباني, ذهب إلى ما ذهبوا إليه تماماً, فقد قال "التغيير الذي يحدث في العشاء الرباني يشبه التغيير الذي يحدث في ماء المعمودية" – وماء المعمودية يظل بعد الصلاة والعماد ماء عادياً مثلما كان قبلهما, ولذلك فالتحول الذي كان يقال قديماً بحدوثه في العشاء الرباني (إن جاز أن يسمى تحولاً), هو تحول معنوي لا فعلي.

٤- إن صلاة الشكر التي كان يرفعها المؤمنون قديماً عند ممارسة العشاء الرباني, كانت "يارب: بارك لنا هذه التقدمة, التي هي مثال لجسد المسيح ودمه". كما أن يوحنا فم الذهب الذي كان يصف العشاء الرباني بصفات مرعبة مخيفة, لا يستعمل في قداسه أو عظاته[٤٦] عبارة واحدة تدل على اعتقاده بالاستحالة, أو على وجوب تقديم السجود لهذا العشاء – نعم إنه كثيراً ما كان يقول "العشاء الرباني هو سر إلهي", لكن هذه العبارة لا تدل على اعتقاده

[٤٦] اقرأ قداس يوحنا فم الذهب المطبوع بواسطة الأب ألكسيوس الشتوي, وعظاته المطبوعة بواسطة جمعية أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن هذا العشاء هو ذات المسيح, لأن الشيء الإلهي ليس هو ذات الله. فالكتاب المقدس مثلاً هو كتاب إلهي, ومع ذلك ليس هناك من يقول إنه ذات الله, ولذلك لا يكون فم الذهب قد قصد بقوله عن العشاء الرباني إنه جسد المسيح ودمه إلا المعنى المجازي, مثل معاصريه السابق ذكرهم.

٥- إن الدسقولية التي يقول المؤمنون بالاستحالة إنها تتضمن تعليم الرسل, وإن كانت تطلق على العشاء الرباني "ذبيحة" و"تقدمة", لكنها لا تذكر مطلقاً شيئاً عن حدوث استحالة فيه, أو عن وجوب تقديم السجود له. فضلاً عن ذلك فإنها تعلن أن ذبائح العهد الجديد هي فقط "الصلاة والابتهال والشكر، وتقديم المال اللازم لرجال الدين والفقراء".فعندما قارنت بين ذبائح العهد القديم وبين ذبائح العهد الجديد قالت "ضحايا ذلك الزمان (أي العهد القديم) كانت ذبائح يأتون إلى المذبح، وأما الآن فصلاة وابتهال وشكر" (ص ٦٥). كما قالت "إن الله لم يدعنا نذبح الحيوانات غير الناطقة لأجل التكفير عن الخطيئة, لكن لم يدعكم تعتقون من القرابين أو بالحري من العطايا التي تقدم لرجال الدين (دسقولية ص ٦٧, ١١٦, ١١٩), التي يجب عليكم أن تأتوا بها إلى الكنيسة, أو من الصدقات على المحتاجين" (ص ٦٤). كما أنها عندما تعرضت للكلام عن المذبح والقربان الوارد ذكرهما في (متى ٥: ٢٣), قالت "قربان الله هو الشكر... فلا يقبل شكرك لأجل الغضب الذي بينك وبين أخيك". (ص ٩٤)- وغنى عن البيان أنه لو كان العشاء الرباني يتحول فعلاً إلى جسد المسيح ودمه, أو أنه ذبيحة لمغفرة الخطايا في العهد الجديد, أو أن من الواجب على المسيحيين أن يسجدوا له سجودهم لله, لكانت الدسقولية قد نصت على كل ذلك عند تعرضها للموضوعات المذكورة. ولذلك لا سبيل للظن بأن الاستحالة كانت معروفة عند القدماء الذين عاشوا لغاية القرن الرابع, الذي تمت فيه كتابة الدسقولية كما ذكرنا في الباب الثالث.

٦- كما أننا إذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا: (أ) أن علماء الوثنيين الذين كانوا قد اعتنقوا المسيحية في القرون الأولى, ثم ارتدوا عنها بعد ذلك, مثل الملك يوليانوس الملقب بالكافر, وإن كانوا قد انتقدوا المسيحيين أمرّ الانتقاد بسبب اعتقادهم أن الله ثلاثة أقانيم وأن المسيح هو الله متجسداً, لكنهم لم يوجهوا أي انتقاد إليهم بشأن ما يسمى استحالة أو حلول في العشاء الرباني. وغني عن البيان أنه لو كان لهاتين العقيدتين وجود في تلك القرون, لكان قد أصابهما الانتقاد أيضاً, لأنهما لا تكونان أقل غرابة من عقيدتي الثالوث والتجسد, لدى هؤلاء الوثنيين.

(ب) إن المسيحيين لم يتركوا عقيدة من عقائدهم حتى بحثوها بحثاً دقيقاً في القرون الخمسة الأولى, وقد عقدوا لذلك عدة مجامع, منها مجمع الاسكندرية سنة ٣٢١م, ومجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥م, ومجمع أفسس سنة ٣٤١م, ومجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م, وبالرجوع إلى العقائد التي بحثوها في هذه المجامع, نرى أنها كانت تنحصر فيما يلي:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هل الله أقنوم واحد أم ثلاثة أقانيم؟ وإن كان ثلاثة أقانيم, فهل المسيح هو حقاً أحد هؤلاء الأقانيم, وإنه لذلك يكون هو الله متجسداً, أم أن المسيح كان إنساناً عادياً حل فيه روح الله كما كان يحل في الأنبياء قديماً؟ وإن كان هو الله متجسداً, فهل كانت له طبيعة واحدة أم طبيعتان؟ وإن كانت له طبيعتان, فهل كانتا متحدتين أم منفصلتين؟ وإن كانتا متحدتين, فهل ظلت كل منهما كما هي, أم أن الناسوت تلاشى في اللاهوت؟

ثم, هل الروح القدس منبثق من الآب, أم من الآب والابن معاً؟ وهل خطية آدم أثرت فيه وحده, أم فيه وفي أبنائه معاً؟ وإن كانت أثرت في أبنائه, فهل يؤاخذون بسبب خطية آدم أم لا يؤاخذون؟ وإن كانوا يؤاخذون بسببها وبسبب خطاياهم الشخصية معاً, فهل يكون الخلاص من الخطية الأصلية بكفارة المسيح, والخلاص من الخطايا الفعلية بالأعمال الصالحة, أم يكون الخلاص من الأولى والثانية معاً هو بنعمة الله؟ وإن كان بنعمة الله, فهل يفيد منه كل الناس, أم أشخاص معلومون اختارهم الله؟ وإن كان لا يفيد منه إلا الأشخاص المذكورون, فهل يكونون أحراراً من جهة قبول الخلاص مثل غيرهم من الناس, أم أن الله يجبرهم على قبوله رغماً عن إرادتهم؟

وغنى عن البيان أنه لو كان هناك اعتقاد بأن العشاء الرباني يتحول إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته لغاية منتصف القرن الخامس, الذي عقد فيه مجمع خلقيدونية السابق ذكره, لكان المسيحيون القدماء قد بحثوا هذا الاعتقاد في أحد المجامع المذكورة, لأنه لا يكون أقل مثاراً للبحث والمناقشة من العقائد التي بحثوها في هذه المجامع.

٧- فضلاً عن ذلك فإن من يفحص أقوال القديسين, الذين عاشوا لغاية القرن الخامس, عن العشاء الرباني يستنتج أنهم لم يجمعوا على رأي واحد بشأنه, وأنهم مع اختلاف آرائهم لم يقل واحد منهم إطلاقاً أن العشاء الرباني يتحول إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته, أو أن ذات جسده ودمه يحلان فيه, (فأولاً) إيريناوس واغناطيوس ويوستينوس كانوا يؤمنون أن العشاء الرباني هو جسد المسيح ودمه, بمعنى أن المسيح يحل فيه حلولاً روحياً مع بقاء الخبز والخمر كما هما, فحلوله في هذا العشاء, حسب اعتقادهم يشبه حلوله في المؤمنين الحقيقيين (أفسس ٣: ١٧) الذي لا يغير من أجسادهم أو دمائهم شيئاً (ثانياً) وأغسطينوس وفم الذهب وغريغوريوس كانوا يؤمنون أن العشاء الرباني هو جسد المسيح ودمه, بمعنى أن المسيح يرافقه إلى نفوس المشتركين فيه, ولذلك كان يوحنا فم الذهب يشبه العشاء الرباني بثياب المسيح (كما سبق القول), والثياب ترافق صاحبها وتلازمه, لكنها ليست شخصه, ولا جزءاً من شخصه. (ثالثاً) وأكليمنضس وأوريجانوس وترتليان وأثناسيوس ويوسابيوس كانوا يؤمنون أن العشاء الرباني هو جسد المسيح ودمه, بمعنى أنه رمز ومثال لهما.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فإذا كان القديسون الذين عاشوا في القرون الخمسة الأولى, مع تعدد آرائهم من جهة العشاء الرباني, لم يقل واحد منهم إنه يتحول إلى لاهوت المسيح وناسوته, أو إن ذات جسد المسيح ودمه يحلان فيه, فضلاً عن ذلك فإن كثيرين منهم قالوا بصراحة تامة إن التحول الذي يحدث في العشاء الرباني (إن جاز أن يسمى تحولاً) هو تحول اعتباري أو معنوي فحسب, وإنه ليس هناك ذبيحة غير الذبيحة التي قدمها الرب يسوع المسيح مرة على الصليب, إذاً لم يعد لأي جماعة منا مبرّر يدعوها للقول بالاستحالة أوالحلول بالمعنى الحرفي, أو حتى للقول بالحلول بالمعنى الروحي, لأن المسيح لا يحل بالروح في المادة, لكي ينتقل بواسطتها إلى نفوس الذين يتناولون منها بأفواههم, بل يحل مباشرة بالروح في قلوب الذين يؤمنون به إيماناً حقيقياً, ويكرسون أنفسهم له تكريساً كاملاً. كما ذكرنا فيما سلف.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٤

التاريخ الحقيقي للاستحالة والحلول[٤٧]

١- إذا رجعنا إلى القرن الأول نجد أن معظم المسيحيين كانوا يعيشون وقتئذ تحت تأثير محبة المسيح الفائقة، التي تجلت في تقديم نفسه فدية على الصليب لأجلهم ولأجل غيرهم من البشر، ولذلك كانوا يتصرفون في كل أمورهم بمحبة صادقة وإيمان قلبي بسيط،ويظهرون المسيحية في أخلاقهم وأعمالهم، أكثر مما يظهرونها في شرح مبادئها وتعليلها بأسباب عقلية أو منطقية. ولذلك لو كان يقال لهم (مثلاً) وقتئذٍ "هل العشاء الرباني يستحيل فعلاً إلى لاهوت المسيح وناسوته؟", لكانوا يجيبون على الفور "كلا!". ولو كان يقال لهم "هل ذات جسد المسيح ودمه يحلان في العشاء الرباني؟", لكانوا يجيبون على الفور أيضاً "كلا!". ولو كان يقال لهم "هل هذا العشاء يمثل جسد المسيح ودمه؟", لكانوا يجيبون دون إبطاء أو تردد "نعم!". ولو كان يقال لهم "كيف تشتركون في جسد المسيح ودمه بواسطة التناول من خبز وخمر عاديين؟", لكانوا يجيبون بكل بساطة "لا ندري!". ذلك لأنه لم تكن قد حدثت بينهم وقتئذٍ أي مجادلة أو مباحثة بشأن العشاء الرباني, أو اتخذوا قراراً أو عقيدة تفصيلية بشأنه, إذ كانوا يقبلونه كرمز لجسد المسيح ودمه دون أن يجهدوا أنفسهم في تفهم حدود هذا الرمز, أو ما يدل عليه من معنى.

٢- ولما انتشر الإنجيل شرقاً وغرباً في القرن الثاني والقرون التالية له, وقبله كثير من العلماء والفلاسفة, كان من الطبيعي أن يفكروا ويفكروا كثيراً في غرض المسيح من قوله عن الخبز والخمر إنهما جسده ودمه, لكي يضعوا عقيدة لهم ولغيرهم عن العشاء الرباني. والعلماء والفلاسفة كما نعلم, يختلف اتجاه بعضهم عن البعض الآخر في التفكير اختلافاً كبيراً. فمنهم المحافظون (أو المتزمتون) الذين وإن كانوا يتركون الحرية لأفكارهم لكي تبحث في بعض الموضوعات الدينية, غير أنهم يتقيدون بالنصوص التي يتعذر عليهم فهمها. ومنهم الأحرار الذين يعتقدون أن النصوص ليست إلا غلافاً للحقيقة, ولذلك يسعون وراء الجوهر دون العرض, ووراء الباطن دون الظاهر.

وقد أشار كتاب (ضحى المسيحية) إلى هذه الحقيقة فقال "وكان مفكرو المسيحية على العموم فئتين: فئة تتنكر للفلسفة اليونانية وتعتبرها شراً وبيلاً يجب تجنبه. وفئة لا ترى بأساً من دراستها والاستعانة بها في تأييد النظريات الدينية. ومن هذه الفئة أوريجانوس في الإسكندرية, وأوغسطينوس في شمال إفريقيا. وهذا الأخير كان يرى أن الفلسفة والدين هما شيء واحد, وأن الفلسفة إنما وجدت لتوضيح أحكام الدين الصحيح. كما كان هناك اختلاف بين مدرستي أنطاكية والإسكندرية. فالأولى كانت تتمسك بحرفية الكتاب المقدس وتعتنق

[٤٧] عن المراجع السابق ذكرها, والمراجع التي سيشار إليها فيما بعد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفلسفة الأرسطوطالية, أما الثانية فكانت في صوفيتها تفهم الكثير من نصوص الكتاب المقدس فهماً روحياً, وتعتنق الفلسفة الأفلاطونية, على النقيض من الأول (ص ١١٤-١١٩).

وإذا علمنا أن للبيئة التي ينشأ فيها الإنسان أثراً كبيراً في اتجاه تفكيره, اتضح لنا أنه كان من البديهي أن يختلف علماء الإسكندرية وفلاسفتها عن علماء روما (مثلاً) وفلاسفتها في ذلك الحين اختلافاً كبيراً. فالإسكندرية التي كانت في القرن الثاني والقرنين التاليين له محط الثقافات والفلسفات الشرقية منها والغربية, والقديمة منها والحديثة, طبعت رجالها ورجال البلاد الواقعة في نطاقها بحصافة الفكر وسمو الإدراك وسعة الأفق, بينما روما (مثلاً) التي كانت في ذلك الوقت منطوية على نفسها, طبعت رجالها بالتحفظ والتزمت دون كبير داعٍ أو مبرر.

وقد أشار كتاب (ضحى المسيحية) أيضاً إلى هذه الحقيقة فقال: "وكان للمسيحية في القرنين الثاني والثالث عدة مراكز فكرية, أهمها الإسكندرية. وكانت هذه المدينة قبل العصر المسيحي مركزاً هاماً للعلوم والآداب اليونانية. فلما انتشرت فيها المسيحية تحولت إلى مركز للفلسفة واللاهوت, ومنها تخرج ونبغ نخبة من عظماء المفكرين. وهكذا خدمت التاريخ الإنساني كمركز للإشعاع الفكري في العصور القديمة. وقد كان علماؤها أكثر نشاطاً من مفكري العاصمة البيزنطية وأوسع أفقاً من علماء الغرب اللاتيني" (ص ١٤٤-١٥٠), كما أشار موسهيم إلى هذه الحقيقة عينها في تاريخه (ص ١٣٦- ١٩١).

لذلك لا غرابة إذا رأينا اكليمنضس الإسكندري وأوريجانوس وأثناسيوس الرسولي, ومعهم ترتليان القرطجني[٤٨] ويوسابيوس القيصري وغيرهم من فلاسفة الشرق وعلمائه, يقولون إن العشاء الرباني هو رمز ومثال وإشارة إلى جسد المسيح ودمه, وإن التحول الذي يحدث فيه (إن جاز أن يسمى تحولاً) هو تحول اعتباري أو معنوي فحسب. ورأينا إيريناوس واغناطيوس ويوستينوس الذين تأثروا بالثقافة اللاتينية وحدها, قد بلغ بهم الأمر أحياناً إلى القول إن العشاء الرباني هو ذات جسد المسيح ودمه, أو إنه جسده ودمه الحقيقيان, مع أنهم كانوا جميعاً يعتقدون أن الخبز والخمر لا يستحيلان إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته, أو يحل ذات جسده ودمه فيهما, بل كانوا يعتقدون أن المسيح يحل في الخبز والخمر كما هما. وطبعاً يرجع السبب في قولهم هذا, إلى خوفهم من أن ينحرفوا (حسب اعتقادهم) عن قول المسيح عن الخبز والخمر إنهما جسده ودمه. لكن فاتهم أنهم بقولهم الذي ذهبوا إليه قد انحرفوا عما قاله المسيح, لأنه لم يقل عن العشاء الرباني إنه ذات جسده ودمه بدون كلمتي "ذات" و"الحقيقيان" المذكورتين, الأمر الذي يفتح المجال لفهم

[٤٨] مما تجدر الإشارة إليه أن ترتليان وإن كان قد تلقى شطراً من دراسته في روما, غير أنه لم يتأثر بفلسفتها, ولذلك كانت آراؤه مشابهة كل الشبه لآراء فلاسفة الإسكندرية وعلمائها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قوله بالمعنى المجازي أو الروحي, لا سيما وأن الأدلة على فهمه بهذا المعنى كثيرة كما ذكرنا فيما سلف.

٣- وكان من نتائج قولهم إن المسيح يحل في العشاء الرباني, أن ذهب فريق من المسيحيين في القرن الثاني (كما يقول بعض المؤرخين) أو في القرن الثالث (كما يقول بعض آخر) إلى أن العشاء الرباني هو ذبيحة كفارية وإنه ضروري للخلاص, وإن الذين يقومون بعمله يكونون كهنة بالمعنى الحرفي (موسهيم ص ٧٣, ٧٥ والمبادئ الإلهية ص ٤٠), مع أن المسيح لم يقل شيئاً من ذلك على الإطلاق, كما أنه لم يعين, هو أو رسله, كهنة بالمعنى الحرفي للقيام بهذا العشاء, كما اتضح لنا من الباب الثالث.

ثم تحولت أنظار خلفاء هذا الفريق بعد ذلك من توقير المعنى الروحي الذي يدل عليه العشاء الرباني, إلى توقير هذا العشاء نفسه, ولذلك أخذ الأساقفة لديهم في أوائل القرن الرابع يرفعونه فوق رؤوسهم أثناء الصلاة الخاصة به, للدلالة على أنه يستحق في ذاته الإكرام والتبجيل (موسهيم ١٦٠- ١٦٢) اللذين للمسيح نفسه.

٤- وفي القرن الخامس, الذي هو بدء العصور المعروفة في التاريخ بالعصور المظلمة, أخذ الجهل يخيم على العالم بسبب الحروب الطاحنة التي انتشرت فيه وقتئذٍ, وكان من الطبيعي أن ينشغل الناس بهذه الحروب, وبالاضطرابات والمجاعات التي كانت تترتب عليها, ويقل إقبالهم على البحوث العلمية والدينية التي ساعدت على سوء الحالة الدينية في ذلك الوقت, تحريم دراسة الكتاب المقدس بواسطة كنيسة روما, وتوقيع أقصى العقوبات على من يقرؤونه – في جو مثل هذا, كان من السهل لدى الجهلاء من رجال الدين وغيرهم أن يفهموا التحول أو الحلول اللذين كان يقول بهما بعض القدماء, على أنهما تحول أو حلول بالمعنى الحرفي. ومن هذا الوقت بدأ الخلاف يدب بين المسيحيين من جهة ماهية العشاء الرباني.

٥- وكان أول من نادى في الشرق بحدوث تغيير جوهري في العشاء الرباني شخص يدعى أوتيخوس, عاش في أواخر القرن الخامس للميلاد. ومع أنه لم يقصد بهذا التغيير أن الخبز والخمر يتحولان إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته, بل إلى ذات جسده ودمه فحسب, غير أن ثاؤدوريتوس قاومه بكل شدة قائلاً: "إن شرف الرمزين المنظورين المعروفين باسم الجسد والدم غير محولة طبيعتهما, بل النعمة مضافة إليهما. لأن هذين الرمزين السريين لا يتحولان بعد التقديس بل يلبثان كما هما خبزاً عاديين", ثم كتب كتاباً ذكر فيه آراء الكنيسة الأرثوذكسية عن لسان شخص يدعى أرثوذكسوس كان في مركز نائب للكنيسة في عصره, (ولعل المقصود من ذلك أنه كان شخصاً موهوباً يتكلم بلسان الكنيسة وينوب عنها في الدفاع عن عقائدها), وكان أرثوذكسوس هذا يقول بأن "الأفخارستيا" لا تتحول بعد التقديس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عن طبيعتها, بل تظل باقية على جوهرها وشكلها الأصليين. ثم انضم إلى ثاؤدوريتوس كثير من رجال الدين المشهورين, وفي مقدمتهم جلاسيوس بابا رومة وقتئذٍ.

٦- وفي القرن السادس قاوم أفرام (أسقف أنطاكية) أتباع أوتيخوس المذكور قائلاً لهم "ليس هناك شخص عاقل يقول إن الأشياء المحسوسة وغير المحسوسة سواء, وإن المنظورة وغير المنظورة لا فرق بينهما, ولذلك فإن العشاء الرباني وإن كان بواسطة التقديس يقرن بنعمة خاصة, غير أنه يظل كما هو, لأنه كما نرى, لا يطرأ على مادتيه تغيير ما".

وفي سنة ٧٥٤م قرر المجمع المسكوني السابع في القسطنطينية أن "الخبز والخمر اللذين يقدسان بالشكر, هما رمز للمسيح", غير أن المجمع النيقاوي الثاني الذي عقد سنة ٧٨٧م, وحكم بإكرام الصور والتماثيل, نقض قرار مجمع القسطنطينية المذكور وحكم "بأن الخبز والخمر هما ذات جسد المسيح ودمه", لكن حكمه هذا لم يصادف قبولاً لدى كثير من المسيحيين, ولذلك لم يضم إلى موضوعات الإيمان الكنسية وقتئذٍ.

٧- أما أول من نادى في الغرب بحدوث تغيير في العشاء الرباني, فهو شخص يدعى باسكاسيوس رادبورت, وذلك في القرن التاسع للميلاد ورادبورت هذا هو أول من نادى بعقيدة الحبل بلا دنس, وهي كما يقال "إن العذراء مريم حبل بها بطريقة عجيبة وإنها ولدت هي بذاتها على خلاف مجرى الطبيعة, حتى لا تكون مشتركة في الخطيئة الأصلية" (اللاهوت النظري ج٣ ص ١٥٤), وبمجرد مناداة رادبورت برأيه المذكور, أقام الملك كيرللوس رجلين مشهورين بالتقوى والمعرفة الكتابية, هما راتومنس الراهب ويوحنا سكوتس, لكي يوضحا حقيقة العشاء الرباني. فكتب كل منهما كتاباً على حدة أثبت فيه أن الخبز والخمر المستعملين في هذا العشاء, هما فقط رمزان لجسد المسيح ودمه, ولذلك فإن المؤمنين يتناولون من جسد المسيح ودمه عقلياً بالذهن وليس جسدياً بالأسنان". وانضم إلى رأيهما رابانس مورس أشهر رؤساء الأساقفة وقتئذٍ, وكثير من علماء الدين البارزين مثل هاربيلد وألفرد استرابون وكريستيان ودوثمار وفلاروس.

لكن وإن كانت عقيدة تحول العشاء الرباني إلى ذات جسد المسيح ودمه قد قوبلت بالمقاومة في أول الأمر, غير أنها أخذت في الانتشار شيئاً فشيئاً في إيطاليا وفرنسا تحت التأثير بأنها "معجزة العهد الجديد", واستمرت الحال على هذا المنوال حتى نهاية القرن التاسع... أما في القرن العاشر فقد ظهر من بين رجال الدين مقاومون كثيرون لعقيدة التحول هذه, ولذلك استقر رأيهم جميعاً في ذلك الوقت على ألا يلزموا أحداً من المسيحيين بالإيمان بعقيدة ما بشأن العشاء الرباني, بل أن يتركوا لهم الحرية لكي يعتقدوا بشأنه كما يريدون.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٨- وفي القرن الحادي عشر قاوم برنغاريوس (أحد علماء الإكليروس بفرنسا) عقيدة تحول العشاء الرباني إلى ذات جسد المسيح ودمه، فرد عليه معظم الأساقفة بأن التحول الذي يحدث في العشاء الرباني يفوق العقل والإدراك، ولذلك عليه أن يقبله بالأيمان لأن"البار بالإيمان يحيا"[٤٩]، ولكن برنغاريوس لم يوافقهم على رأيهم. وحينئذ حمى وطيس الجدال بشأن ماهية العشاء الرباني بين الاكليروس جميعاً، وتشعب الجدال بينهم إلى كيفية وجود ذات جسد المسيح ودمه في هذا العشاء...وأخيراً استقر رأي الأغلبية بينهم على (أن العشاء الرباني يتحول إلى ذات جسد المسيح ودمه، ليس سرياً فقط بل وحسياً أيضاً، ولذلك فإن جسد المسيح ودمه يلمسان حقاً في العشاء المذكور، كما يمضغ الأول ويشرب الثاني فعلا بواسطة المتناولين منهما)ثم حرموا برنغاريوس من رتبته وأقصوه من جماعتهم، فكان لذلك أثر كبير في نفسه. وبعد فترة من التردد بين الاعتقاد بالتحول وعدم التحول، عاد برنغاريوس إلى عقيدته الأولى، وعضده في ذلك كثير من رفقائه القدامى.

٩-وفي القرن الثاني عشر، كان لا يزال هناك اختلاف في الآراء من جهة كيفية حضور ذات جسد المسيح ودمه في العشاء الرباني، ولذلك حدث نـزاع كبير بشأن هذا الموضوع في بلاد اليونان واللاتين معاً، تارة بين العلماء ورجال الدين، وتارة بين الملوك وأفراد الشعب. ومن الذين ظهروا في هذا القرن وكان لهم تأثير على الرأي العام شخص يدعى هلدبرت، وهذا الشخص كان ينادي بين الجماهير سنة ١١٣٤م بأن العشاء الرباني لا يظل بعد التقديس كما هو، بل يتحول تحولا جوهرياً إلى ذات جسد المسيح، بما في هذا الجسد من لحم ودم وعظم وعروق. واستعمل للتعبير عن هذا التحول كلمة "transubstantiation"، فكان بذلك أول من استعمل الكلمة المذكورة- وبعد ذلك أ خذ يتسرب إلى أتباعه الفكر بأن العشاء الرباني لا يتحول فقط إلى ذات جسد المسيح ودمه، بل وإلى ذات لاهوته أيضاً، مستندين في ذلك إلى الاعتقاد المسيحي العام بأن "لاهوت المسيح لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين". ثم أخذ هذا الفكر يتمكن من نفوسهم حتى أصبح عقيدة لديهم يذيعونها وينادون بها بكل جرأة ونشاط، حتى وصلت إلى مسامع البابا والكرادلة واستحوذت على عقولهم ومشاعرهم.

وفي سنة ١٢١٨م عقد المجمع اللاتراني الرابع، فأقر عقيدة الاستحالة كعقيدة من العقائد الكنسية الأساسية، وذلك بتأثير البابا أنوسنت الثالث. وفي هذه السنة قرر البابا هنوريوس تحت تأثير الكاردينال ويدو أن العشاء الرباني لايستحيل فقط إلى ناسوت المسيح بل وإلى لاهوته أيضاً، وبذلك أصبح الكاهن، كما قال البابا إربان، هو الذي يعمل المسيح ويقدمه لله ذبيحة كفارية عن الناس. ومن ثم أخذ معظم القائلين بالاستحالة يقدمون السجود للعشاء الرباني"١"، ويدعون الأماكن الخاصة بحفظه "مساكن اللاهوت"، كما أخذوا

[٤٩] مما تجدر ملاحظته أن الأساقفة المذكورين استعملوا هذه العبارة في غير موضعها، لأنه لا يراد بها في الوحي التسليم بعقيدة من العقائد، بل يراد بها أن البار هو من يحيا بالإيمان مع الله في هذا العالم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يحتفلون بهذا العشاء بصفة خاصة في يوم معين أطلقوا عليه "عيد جسد المسيح" (موسهيم ص٤٦٦).

وبعد ذلك نادت جماعة اليسوعيين بأن في العشاء الرباني قوة ذاتية تفيد كل من يتناول منه، بغض النظر عن حالته الروحية، ولذلك قالوا "إن الله لا يتطلب من الراغبين في التناول من هذا العشاء القلوب الطاهرة أو النفوس المملوءة بالمحبة السماوية"، ويعرف رأيهم هذا "بكفاية مجرد الاشتراك الخارجي في السر" (موسهيم ص٥٥٦).

(١) ولكن الحقيقة التي يعرفها الجميع أن المسيح لم يأمر تلاميذه بالسجود للعشاء الرباني، ولا التلاميذ سجدوا له، أو أوصوا أحداً بهذا السجود. بل إن وصية الله لنا تنهي عن هذا السجود نهياً باتاً، فمكتوب: "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (متى٤:١٠). ومكتوب: "لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق ومما على الأرض من تحت، لا تسجد لهن ولا تعبدهن" (خروج٤،٥:٢٠).

أما قول المؤمنين بالاستحالة "إن السجود للعشاء الرباني "يتم بناء على نظرة صوفية روحية، تسمو فوق ما يبدو أنه يتعارض مع العقل أو المنطق" فقول باطل، لأن الصوفية التي يقولون عنها هي صوفية وهمية نسجوها بأنفسهم لأنفسهم بسبب اعتقادهم بالاستحالة، إذ أنه ليس هناك أساس لهذا السجود في الكتاب المقدس على الإطلاق كما ذكرنا.

وفي سنة ١٣٥٠ م أرسل البابا بندكت الثالث بعض الرسائل إلى أساقفة الأرمن عن الإستحالة، إذ كانوا لم يسمعوا حتى هذا التاريخ بشئ عنها. كما ذهب دون الكسيس بعد ذلك إلى السريان ونادى بينهم بها، فقبلها بعضهم ورفضها البعض الآخر.

١٠-ولما أقبل عصر النهضة في القرن الخامس عشر، وخرج الكتاب المقدس من معقله أخذ العلماء ينظرون إلى العقائد الدينية في ضوئه.فقال دانتي إن بعض الباباوات لا يستحقون إلا جهنم، لأن سلوكهم يتعارض مع تعليم الإنجيل. وأثبت لاونتينوس أن الكتاب المسمى "الدسقولية"لم يكتب بواسطة الرسل، لأنه يحتوي على أقوال تتعارض مع تعليمهم (تاريخ الاصلاح لدوبنيه ص٤٩-٦٢، وأصول العالم الحديث ص٤٨-٦٠).

أما من جهة العشاء الرباني، فقد اختلفت آراؤهم بشأنه تبعاً لدرجة استيعابهم لكلمة الله وتحررهم من سلطان التقاليد أو العقائد البشرية:-(أ) فلوثر الذي كان متأثراً منذ حداثته بالعقيدة الكاثوليكية من جهة العشاء الرباني، حاول التوفيق بين الكتاب المقدس وبين هذه العقيدة، ولذلك قال"إن العشاء الرباني لا يستحيل إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته، لأنه لو حدث ذلك، لكان هذا العشاء هو ذات الله الخالق للعالمين، الأمر الذي لا يتفق مع الوحي أو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العقل على الاطلاق، ولذلك فان ما يحدث في العشاء الرباني من تغيير، هو أن جسد المسيح ودمه فحسب يحلان بطريقة سرية في هذا العشاء، مع بقاء مادتيه كما هما".

(ب)وزونجلي وويكلف اللذان تحررا من التقاليد البشرية تحرراً تاماً قالا " العشاء الرباني لا يتحول إلى لاهوت المسيح وناسوته، ولايحل جسد المسيح ودمه فيه، بل إنه يظل كما هو خبزاً وخمراً عاديين، لأن هذا العشاء هو رمز فقط لجسد المسيح ودمه"، مستندين في ذلك إلى الكثير من الأدلة الدينية والعقلية.. التي ذكرنا طرفاً منها في الفصول السابقة.

ولما عقد مؤتمر لتوحيد آراء رجال الإصلاح من جهة العشاء الرباني، كانت الحجة الوحيدة التي يرددها لوثر لتأييد عقيدته، هي قول المسيح عن الخبز "هذا هو جسدي". وكان يفسر هذا القول تارة بالمعنى الروحي وتارة أخرى بالمعنى الحرفي، الأمر الذي جعل أقواله متناقضة. ولما ذكر له زونجلي "أن قول المسيح هذا لا يراد به إلا المعنى المجازي،لأن الجسد الذي اتخذه لنفسه كان جسداً مادياً مثل أجسادنا، وهذا الجسد لا يوجد إلا في مكان واحد في وقت واحد. ونظراً لأن المسيح موجود بهذا الجسد في السماء في الوقت الحاضر، لذلك لا يمكن أن يكون موجوداً الآن به على الأرض بأي شكل من الأشكال"، أجاب لوثر:بأنه لا يعبأ بالرياضيات (والصواب أنه لا يعبأ بالبديهيات)، وأنه لا يتزحزح عن الاعتقاد بأنه حالما تقال كلمات التقديس يتكوّن في العشاء الرباني ذات جسد المسيح ودمه، حتى لو كان القائم بالتقديس شريراً... وأضاف إلى ذلك أنه لا يقبل المناقشة في كيفية حضور ذات جسد المسيح ودمه في العشاء الرباني، لأن هذه المناقشة (كما يقول) معناها الارتداد عن الإيمان (مختصر تاريخ الكنيسة للأستاذ أندرو مولر ص١٠٥٤-١٠٧٩).

(ج) وكرلستاد الذي كان يتفق مع زونجلي وويكلف في الرأي قال: "الاعتقاد بأن التناول من العشاء الرباني كاف للخلاص، يجعل الديانة المسيحية أعمالاً مادية لا روحية، كما يجعل المسيح طعاماً جسدياً لا روحياً". كما قال إن الآية "خذوا كلوا، هذا هو جسدي"، تنقسم إلى فقرتين (الأولى)"خذوا كلوا" و(الثانية) "هذا هو جسدي". والمراد بالأكل في الفقرة الأولى،الأكل من الخبز الذي أعطاه المسيح لتلاميذه، بينما المراد بالجسد في الفقرة الثانية ليس الخبز الذي أعطاه لهم، بل الجسد الذي كان يعيش فيه وقتئذ، والذي لم يكن الخبز المذكور إلا رمزاً له". وقد ذهب كرلستاد في تأييد رأيه هذا، إلى أن قول المسيح لتلاميذه "خذوا كلوا، هذا هو جسدي" يشبه كل الشبه قوله لبطرس من قبل "أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي"، فإن القول الأخير ينقسم إلى فقرتين (الأولى) "أنت بطرس" و(الثانية) "وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي". والمراد ببطرس في الفقرة الأولى، بطرس ذاته، بينما المراد بالصخرة في الفقرة الثانية ليس بطرس، بل المسيح، لأنه هو المرموز إليه في الكتاب المقدس بالصخرة التي يقابلها في اللغة الأصلية "بطرس" (أفسس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢:٢٠)، ولأن المسيح أيضاً، وليس بطرس الرسول، هو الذي بنيت عليه كنيسة الله (١ كورنثوس٤:١٠،١١:٣). ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، لأن بطرس لم يكن إلا بشراً مثلنا، فضلا عن ذلك فانه كان كثير الخطأ والزلل (متى ٢٦:٦٩،٢٣:١٦ -٧٥) ولذلك لا يكون أهلا لأن تبنى عليه كنيسة الله.

(د) وأما كلفن فقد أمسك العصا من منتصفها فقال "العشاء الرباني ليس مجرد رمز للمسيح، لأن المسيح لم يقل عنه إنه رمز لجسده ودمه، بل قال عنه إنه جسده ودمه، ولذلك لا بد أن جسد المسيح ودمه يكونان فيه أو ينطبعان عليه بأي شكل من الأشكال، ولا بد أنه بالتناول من هذا العشاء يحل المسيح في نفوسنا على نحو ما"- ورأي كلفن (كما أجمع المؤرخون) ليس شرحاً لأقوال الوحي بل تأويل لها، لأن كلفن كان يرمي إلى التوفيق بين الرأي اللوثري والرأي الزونجلى، والتوفيق بينهما محال، لأن العشاء الرباني لا يكون إلا أحد أمرين: فإما أن يكون هو ذات جسد المسيح ودمه بالاستحالة أو الحلول، وفي هذه الحالة يكون السجود للعشاء الرباني أمراً لازماً، كما لا يكون المسيح طعاماً روحياً بل طعاماً مادياً يعطى لغفران الخطايا. وإما أن يكون رمزاً وإشارة للمسيح، وتكون الفائدة التي نحصل عليها من ممارسته، هي التغذي بذكرى موت المسيح وما يترتب على ذلك من بركات روحية، وفي هذه الحالة يكون السجود للعشاء الرباني عملاً لا يليق.

مما تقدم يتضح لنا أن رجال الإصلاح لم يأتوا في الواقع بجديد، لأن رأي لوثر هو رأي اغناطيوس ويوستينوس وايريناوس مفهوماً بمعنى حرفي أو مادي، وذلك لتأثر لوثر بالكثلكة منذ حداثته، ورأي زونجلي وويكلف هو رأي اكليمنضس الإسكندري واريجانوس وأثناسيوس وترتليان، ورأي كلفن هو رأي أوغسطينوس ويوحنا فم الذهب وغريغوريوس.

هذا هو تاريخ الاستحالة والحلول، وإزاءه لا يجد المؤمنون بهما سوى هذا الاعتراض وهو: هل يعقل أن المؤمنين الحقيقيين الذين يعتقدون بالاستحالة أو الحلول (وهؤلاء كثيرون في كل عصر من العصور) ليس لهم قبول أمام الله، وأن مصيرهم تبعاً لذلك هو الهلاك الأبدي؟! وللرد على ذلك نقول:

إن القبول أمام الله والتمتع بالحياة الأبدية معه لا يتوقفان على المعرفة الدقيقة لكل أقواله، بل على الإيمان القلبي بالمسيح كما ذكرنا في الباب الثاني. ولذلك فهناك أشخاص كثيرون يعرفون أقوال الله كلها معرفة دقيقة ولكن لأنهم لا يؤمنون بالمسيح إيماناً حقيقياً، سوف يحرمون من التمتع به إلى الأبد (متى٧:٢١ -٢٢)، ومن الناحية الأخرى هنالك أشخاص عاميون لا يعرفون من أقوال الله الشيء الكثير، ومع ذلك سوف يتمتعون بالمسيح إلى الأبد لأنهم يؤمنون به إيماناً حقيقياً (لوقا ١٦:٢٢) - غير أن هذه الحقيقة لا تقلل طبعاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من أهمية المعرفة الدقيقة بأقوال الله، لأن هذه المعرفة إذا اجتمعت مع الإيمان الحقيقي تجعل صاحبها أكثر إدراكا لمقاصد الله، وأكثر قدرة على إرضائه وعمل مشيئته في الحياة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخاتمة

من هذا الكتاب يتضح لنا (أولاً) أن العشاء الرباني لا يتحول إلى لاهوت المسيح وناسوته، أو إلى جسده ودمه فحسب، كما أن المسيح لا يحل في هذا العشاء بالروح أو الجسد. بل إن العشاء المذكور يظل كما هو دون تغيير أو تبديل، وكل ما في الأمر انه نظراً لكونه تذكاراً لموت المسيح، يجب أن يمارس بالقداسة اللائقة بالمسيح نفسه. كما أن الغرض من ممارسة العشاء الرباني ليس الحصول على الغفران أو الحياة الأبدية، بل تذكر موت المسيح وما يترتب على تذكره من تجديد الشكر لله، والتفاني في حبه وخدمته، ومواصلة السير في طريقه.

و(ثانيا) أن القائلين بالاستحالة والحلول لا يتمسكون بحرفية ما سجله الكتاب المقدس عن العشاء الرباني إلا خوفاً من الانحراف (حسب وجهة نظرهم) عن الحق الإلهي. فغرضهم سام ونبيل ولكن تفسيرهم ليس بصواب، إذ أنه أبعدهم دون أن يدروا عن الحق الإلهي الذي يعتزون به بعداً عظيما، بينما لو درسوا الكتاب المقدس بتدقيق وحصروا تفكيرهم في أقواله وحدها، لأدركوا أن الآيات الخاصة بالعشاء الرباني لا يراد بها إلا المعنى الروحي.

والحق إن السبيل الذي اتجه إليه القائلون بالاستحالة والحلول، هو ما اتجه إليه كثيرون في الأديان المتعددة، فإن نظرة إلى تاريخ هذه الأديان ترينا أن كثيرين من المتمسكين بها قد تركوا جوهر عقائدها،وسمعوا وراء حرفية هذه العقائد- والإنسان هو الإنسان في كل العصور إذا كان يتعصب لرأيه الخاص ويرفض دراسة الآراء المخالفة لرأيه بوداعة وإخلاص.

لكن من التجني على الحقيقة أن يقال أن جميع الكاثوليك والأرثوذكس يؤمنون بالاستحالة التي ذكرناها، فإن بينهم أشخاصاً درسوا الكتاب المقدس دراسة دقيقة وعرفوا أن الحياة الأبدية لا تعطى بواسطة التناول من العشاء الرباني، بل أنها هبة مجانية يمنحها الله لكل الذين يؤمنون به يماناً حقيقياً، وهؤلاء الأشخاص انقسموا إزاء العشاء الرباني إلى فريقين: فريق حذا حذو اللاأدريين، فقال إنه لا يستطيع أن يجزم برأي من جهة الاستحالة، وأن العلم بها عند الله دون سواه. وفريق حدد موقفه بوضوح وقال إن الاستحالة التي تحدث في العشاء الرباني هي استحالة معنوية أو اعتبارية فحسب. لكن معظم المنتمين إلى هذا الفريق لا يجاهرون بآرائهم لئلا يتهمون بأنهم إنجيليون، ولذلك يخفون الحقيقة التي يؤمنون بها في أنفسهم لكي يواصلوا الوعظ والتعليم اللذين يقومون بهما- غير أن الغاية لا تبرر الواسطة، وكل مؤمن يجب أن يكون صريحاً في الإيمان (١ تيموثاوس ١: ٢)،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والطاعة لله أفضل من تقديم الذبائح (١ صموئيل ١٥:٢٢)، ومن يرضي الناس على حساب الله، لا يستطيع أن يكون عبداً للمسيح (غلاطية١٠:١).

والكاتب لا يدعوا بهذا الكتاب إلى طائفة جديدة، أو إلى طائفة من الطوائف الموجودة، لأنه فضلاً عن كونه ليس قسيساً أو واعظاً، أو شخصاً ينتظر من وراء الكتابة أجراً أو ربحاً، فإنه ينظر إلى الطوائف بنظرة الحسرة والألم لأنها أكبر إساءة للمسيحية، كما يؤمن أنه ليست طائفة من هذه الطوائف هي الكنيسة الحقيقية، لأن الكنيسة المذكورة تتكون من المؤمنين الحقيقيين فحسب، وهؤلاء موجودون في كل الطوائف دون استثناء، ولذلك لا تهمه إذا زاد أفراد طائفة أو قل أفراد أخرى.

ولكنه يدعوا بكتابه هذا إلى دراسة الكتاب المقدس وتفهمه والتمسك به، إذ فضلاً عن أنه يحوي أقوال الله نفسه. وأنه الأساس الوحيد الذي يجب أن نبني عليه إيماننا، فإنه يزيل ما بيننا من انقسام واختلاف. ويقودنا إلى أن نعمل بنفس واحدة لأجل تمجيد الله دون سواه، وبذلك تتحقق رغبة المسيح الغالية المعلنة في قوله الكريم: "أيها الأب القدوس ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا" (يوحنا ١٧: ١١-٢١). ليت هذه الرغبة الغالية يكون لها تأثيرها في نفوس المؤمنين الحقيقيين جميعاً-آمين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المراجع

أولاً مراجع أساسية

١ـ الكتب المقدس

٢ـ تفسيره لمفسرين أرثوذكس وكاثوليك وإنجيليين

ثانياً- كتب عقائدية للأرثوذكس والكاثوليك

١ـ اللاهوت النظري	تأليف البريوط الياس الجميل
٢ـ الدسقولية	تأليف بعض الآباء في القرون الأربعة الأولى
٣-الإقرار بالإيمان الأرثوذكسي للكنيسة الشرقية	تأليف الأسقف بطرس مرغيلاس
٤ـ شرح التعليم المسيحي	تأليف الأب بوصو
٥ـ مختصر المقالات اللاهوتية	" الأب بيروني
٦ـ الأنوار في الأسرار	" الشماس جراسيموس مسرة
٧ـ الإفخارستيا	" الشماس جرجس صموئيل
٨ـ ملخص قانون الأرثوذكسية	" الشماس جرجس صموئيل
٩ـ حياة الصلاة الأرثوذكسية	" جماعة من دير الرهبان
١٠ـ أسرار الكنيسة السبعة	" الأستاذ حبيب جرجس
١١ـ الدرة البهية في الأسرار الربية	" الأستاذ عريان جرجس مفتاح
١٢ـ إيضاح التعليم المسيحي	" الأب فرماج اليسوعي
١٣ـ انطلاق الروح	إصدار بيت مدارس الأحد
١٤ـ علم اللاهوت	تأليف القمص ميخائيل مينا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٥ـ لماذا أنا أرثوذكسي؟	" الأستاذ نسيم مجلى
١٦ـ سر العشاء الرباني	" الشماس نقولا بشارة
١٧ـ اللآلئ النفيسة في شرح طقوس الكنيسة	" القمص يوحنا سلامه
١٨ـ اللاهوت النظري	" الأب يوحنا غورى
١٩ـ الفنار في فلسفة الأنوار	" القمص يوحنا فرج
٢٠ـ القداديس	" يوحنا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس وكيرلس

ثالثاً ـ كتب عقائدية للإنجيليين والأسقفيين

١ـ أصول الإيمان	تأليف الدكتور أندراوس طومسون والدكتور ابراهيم سعد
٢ـ تأملات في عشاء الرب	تأليف تشارلس ماكنتوش
٣ـ بادئ الإلهية في الاجتماعات المسيحية	تأليف جورج جودمان
٤ـ نظام التعليم في علم اللاهوت القويم	تأليف دكتور جيمس أنس
٥ـ الخطوات الأولى في الحياة المسيحية	تأليف دكتور فرديك ناتفورد
By Bellarmine	6- The Sacrament Of The Eucharist
By J. Benjamin	7- Modernism And Reformation
By Charles Hodges	8- Systematic Theology
By De Sela	9- The Book Of Prayers

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

& Services	
10- Hand Book For Bible Students	By Herald
11- At The Lord S Table	By Howard Crosly
12- Christ S Presence In The Echarist	By Hugh Cecil
13- Christian Belif	By Malden
14- Jsus And The Eucharist	By Dr. Morrice
15- The Christian Sacraments	By W. Spen
16- The Mysteries	By T. Thompson
17- The Lord S Supper	By Thomas Houston
18-Truth Triumphant	By Wilkinson

رابعاً- كتب تاريخية دينية وسياسية

١- تاريخ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى	تأليف الدكتور أسد رستم
٢- مختصر تاريخ الكنيسة	تأليف الأستاذ أندرو مولر
٣- قصة الكنيسة القبطية	" الأستاذة إيريس المصري
٤- الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة	" الأسقف إيسوذوروس
٥- ريحانة النفوس في أصل المعتقدات والطقوس	" القس بنيامين شنيدر
٦- تاريخ الإصلاح	" الأستاذ روبينيه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٧- أصول العالم الحديث	" الأستاذين عبد الرحيم مصطفى ومحمد أحمد حسونة
٨- تاريخ الأمة القبطية	تأليف لجنة التاريخ القبطي
٩- تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة	" العلامة يوحنا موسهيم
١٠- تاريخ الكنيسة	" الأسقف يوسابيوس في القرن الرابع
By Dr. Augustus Neader	11- Lectures On The History Of Christian Dogmas
By George Hodges	12- The Early Church
By Dr. Hagenback	13- A Text Book Of The History Of Doctrines
By Dr. T. Burs	14- First Three Christian Centuries
By Pressense	15- Early Years Of Christianity
By Malk	16- Memoeial Of Early Christianity
By Watson	17- The Church

خامساً- مراجع عامة

1- Encyclopaedia Britannica

2- Encyclopaedia Of Biblical Theological Literature

3- Encyclopaedia Of Religion & Ethics

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

4- Dictionary Of The Bible

5- Interpreter Dictionary Of The Bible

6- The International Standard Bible Encyclopaedia

7- The New Schaff Herzog Encyclopaedia

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com